ابن سينا

الشفاء

المنطق

٨ - الخطابة

تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور
حققه الدكتور محمد سليم سالم

نشر وزارة المعارف العمومية
الإدارة العامة للثقافة
بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

JrSy-CPS-BK-0000000012-JrS

00465525

ابن سينا

الشفاء

المنطق

٨ - الخطابة

تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور

حققه الدكتور محمد سليم سالم

نشر وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

فهرس الكتاب

المقـالة الثالثة

المقـالة الرابعة

رموز المخطوطات

بخيت ... ... (ب)

بخيت (هامش) ... ... (بخ)

حسن العطار ... ... (ح)

دار الكتب ... ... (د)

دار الكتب (١) ... ... (د١)

سليمانية داماد ... ... (س)

داماد الجديد ... ... (سا)

متحف بريطانى ... ... (م)

نور عثمانية ... ... (ن)

مكتب هندى ... ... (ه)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للدكتور إبراهيم مدكور

البلاغة عند ابن سينا

لم يكن ابن سينا خطيبا ولا محاضرا ، ولئن كان قد اشتغل بالسياسة فإنها لم تفسح له المجال لمخاطبة الجماهير والتأثير فيها . وأستاذيته أقرب الى المحادثة والتلقين منها إلى العرض والشرح، ذلك لأنه لم يقم بالتدريس فى مسجد أو مدرسة، وإنما التف حوله نفر قليل من التلاميذ والأتباع الذين كانوا يسجلون ما يمليه عليهم أو يتدارسون فى حضرته بعض كتبه ورسائله ؛ وإن استعجم عليهم أمر استوضحوا عنه . على أنه فى حياته القلقة المضطربة لم ينعم كثيرا بتلك الجلسات العلمية الهادئة .

ولا يمكن أن يعد أيضا كاتبا ولا شاعرا ، لأن نثره لا يخلو من غموض وتعقيد، وإن روى فيه بدا مركزا تركيزا مضنيا ، وقد يتأنق فيسجع ويعنى بالصناعة اللفظية. ونظمه فى أغلبه تعليمى يقوم على أداء المعانى واستكمال الحقائق ، دون حرص على جزالة اللفظ وسمو التركيب. وأسلوبه فى جملته لا يسمو إلى مستوى الأساليب الأدبية الممتازة ، وإنما كان همه أن يعرض القضايا العلمية والفلسفية بطريقة واضحة ما أمكن .

ولم يعن بالأدب عناية خاصة، ولم يقف عليه شيئا يذكر من كتبه ورسائله. وأغلب الظن أنه لم يكتب فى الخطابة والشعر إلا محاكاة لأرسطو وسيرا على سننه، وهو فى هذا أقرب إلى التشريع والتقنين منه إلى النقد والتحليل، يعرض القاعدة والنظرية دون أن يقف عند الأمثلة والنماذج الأدبية. وما الخطابة والشعر فى رأيه إلا بابان من أبواب الجدل والمنطق، أو بعبارة أخرى فرعان من فروع الفلسفة

* * *

ولابن سينا كتابان هامان فى الخطابة، يصدران عن أصل واحد، ويكونان جزءا من المنطق، ويلتقيان فيما اشتملا عليه من آراء ونظريات، أحدهما مختصر والآخر مبسوط.

والأول "فى معانى كتاب ريطوريقا"، وهو قسم من "الحكمة العروضية"، أو "كتاب المجموع" الذى ألفه فى بخارى، ولما يجاوز الحادية والعشرين، بناء على طلب أبى الحسن العروضى. ويقوم على تعريف الخطابة، وبيان منفعتها، وصلتها بالجدل، وأغراض الخطيب، ووسائل الاستدلال، ويعرض فى اختصار المبادئ الأساسية للفن الخطابى[1]. وكل ذلك فى أسلوب واضح امتزج فيه الجدل بالسياسة، والمنطق بالأخلاق وعلم النفس، وهو بهذا يعتبر ملخصا دقيقا للكتاب الأول من "خطابة أرسطو"، ومقدمة صالحة لفن البلاغة عند ابن سينا.

والثانى "الخطابة" — موضوع تحقيقنا — وهو الفن الثامن من فنون المنطق التى تكون الجملة الأولى من جمل "الشفاء"[2]. ويشتمل على أربع

---

(1) ابن سينا، كتاب المجموع، القاهرة ١٩٥٠، ص ١٥ — ٧٦.

(2) ابن سينا، المدخل، القاهرة ١٩٥٢، ص ٤٤.

مقالات ، وتحت كل مقالة عدة فصول . وتقف المقالة الأولى عند شرح حدّ الخطابة ، ومنفعتها ، وصلتها بالصنائع الأخرى ، ووسائل الاستدلال . وهى أشبه ما يكون بمقدمة عامة للكتاب جميعه ، وفى هذا ما يقرِّبها كل القرب من " معانى كتاب ريطوريقا " ، وإن كانت أشمل بحثا وأغزر مادة[1] . وتفصّل الثانية القول فى أنواع الاستدلال الخطابى ، وخاصة المشورات والمنافرات ، محالة إياها فى ضوء الطباع والميول والانفعالات ، من لذة وألم ، وحب وكره ، فتربط الخطابة بالسيكلوجيا ربطا وثيقا[2] . وتوضح الثالثة المشاجرات ، وهى النوع الأخير من الاستدلال الخطابى ، مبينة صلتها بالسياسة والسجايا الخلقية ، من شفقة وقسوة ، وشجاعة وجبن[3] . وتعالج الرابعة ترتيب القول الخطابى وخصائصه ، والتحسينات اللفظية ، والألفاظ المستهجنة ، وبذا تكتمل آراء ابن سينا البلاغية[4] .

ويمكن أن تردّ هذه الآراء إلى بابين رئيسيين : يدور أولها حول الأقيسة البلاغية الصالحة لمخاطبة الجماهير مدحا أو ذما ، اعتذارا أو عتبا . وأهم هذه الأقيسة الضمير (ἐνθύμημα=enthymème) ، والتمثيل (παράδειγμα= exemple) . ويدور الثانى حول الترتيبات والتحسينات التى تجعل هذه الأقيسة أوضح عرضا ، وأكثر إقناعا ، كتخير اللفظ ، وتحديد مكانه فى الجملة ، واستعماله على طريق الحقيقة أو المجاز ، وكيفية نطقه ، ونغمة الصوت ونبراته ، وهيئة الخطيب وموقفه من المستمعين . دراسة موضوعية وقف عليها

---

(1) ابن سينا ، الخطابة ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١ — ٤٩ .
(2) المصدر نفسه ، ص ٥٣ - ١٢٦ .
(3) » » ، ص ١٢٩ — ١٩٣ .
(4) » » ، ١٩٧ — ٢٤٧ .

ابن سينا المقالات الثلاث الأولى من كتابه ، وأخرى شكلية عرضها فى المقالة الرابعة والأخيرة ؛ والدراستان متصلتان ومتكاملتان .

١ — الضمير :

وهو قياس اكتفى بمقدمته الصغرى، وأهملت الكبرى ، خشية ظهور كذبها أو إمكان معارضتها، كقول القائل: هذا الشاب متردد فى ظلمة الليل، فهو إذن متهز لفرصة التلصص،وفى هذا ما يكفى للإقناع الخطابى. ولو ذكرت الكبرى، وقيل : كل متردد فى ظلمة الليل منتهز لفرصة التلصص ، لبان تهافت الدليل وفات الإقناع المنشود[1] . والضمير من الخطابة كالبرهان من العلوم ، فهو استدلال ظنى يلائم الإقناع العابر ومخاطبة الجماهير[2] . ويبذل ابن سينا الجهد كله فى تطبيقه على أنواع الاستدلال الخطابى ، من مشورات ومنافرات ومشاجرات . ومن الضمائر ما هو محرّف ، ومع ذلك يقبل فى الخطابة ، ومنها ما هو معيب مرذول يقصد به المغالطة ، وواجب الخطيب أن يتحرز منه[3] .

٢ — التمثيل :

وهو الحكم على جزئى بمثل ما فى جزئى آخر يشترك معه أو يشابهه فى معنى جامع. وقد يكون هذا الاشتراك والمشابهة حقيقيين، أو بحسب الرأى الذائع أو الظاهر، وقد تكون الصلة مجرد اشتراك فى الاسم[4] . ومن هنا كان التمثيل دليلا غير يقينى، وأقواه ما كان المعنى المتشابه فيه هو الموجب للحكم فى الشبيه[5] . أما أوجه

---

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع ، ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٣) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١٨٧ — ١٩٠ .

(٤) ابن سينا، الاشارات، ليدن، سنة ١٨٩٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ كتاب المجموع، ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

الاشتراك الأخرى فلا تفيد إلا ظنا ، وتكسب الجماهير ضربا من الاقتناع . وهذا التمثيل المنطقي هو الذي اصطلح الفقهاء على تسميته بالقياس [1] . ومن القدامى من لم يوافق على استعماله في الاستدلال الخطابي، واقتصر على الضمير [2] . وأنكره في الإسلام أيضا بعض أنصار الظاهر ، كالروافض والداودية من نفاة القياس [3] .

واضح أن ابن سينا إنما يعرض في كل هذا نظريات منطقية ، سبق له أن عالجها فيما سماه " لواحق القياس " ، وقرر أنها لاتسمو إلى مستوى الاستدلال اليقيني [4] . وكل ما أضافه من جديد هنا إنما هو محاولة تطبيقها على الاستدلال البلاغي ، وفي هذه المحاولة يسترسل في دراسات سياسية وأخلاقية وسيكلوجية . ولم يفته أن يشير إلى أن هناك أدلة خطابية غير هذه الأدلة المنطقية ، ومنها الشهود ، والعهود ، والأيمان [5] .

٣ — البحث البلاغي الخالص :

ما إن فرغ ابن سينا من هذا حتى عرض لموضوعات تمس أقسام البلاغة المختلفة ، من معاني ، وبيان ، وبديع . فيدعو إلى ضرورة تخير الألفاظ وفصاحتها ومطابقتها لمقتضى الحال، ذلك لأن درجة الاقتناع بمعنى تخضع للفظ الذي يؤديه ، وكثيرا ما آذن اللفظ الجزل بجزالة المعنى ، ورصانة التعبير تقترن

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) » » .

(٣) » » .

(٤) ابن سينا ، النجاة ، القاهرة ، سنة ١٩١٣ ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٥) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١١٧ — ١٢٦ .

عادة بعمق التفكير ، وقد يجعل اللفظ السفساف المعنى سفسافا أيضا[1] . وما أحوج الخطيب لأن يوجز حيث ينبغي الإيجاز ، ويطنب في مقام الإطناب[2] .

وفي الاستعارة والتشبيه ما يؤكد المعنى ويقويه ، لأنهما يبعثان على الاستغراب والتعجب الذي يستولي على السامع ويأسر لبه[3] . والاستعارة ، وإن كانت إلى الشعر أقرب ، مفيدة في النثر كذلك ، والمهم هو حسن استعمالها ووضعها في المكان الملائم لها[4] . وقيمة كل استعارة فيما أخذت عنه وما استعملت فيه ، فكلما كان المستعار منه لطيفا معروفا ، كان الانتقال إلى المستعار إليه يسيرا . والتشبيه يجري في الخطابة مجرى الاستعارة ، وينفع نفعها ، ومن أمثلته : وثب أخيل كالأسد[5] .

لسنا في حاجة أن نلاحظ أن ابن سينا يصدر في كل هذا عن أرسطو ، يردد آراءه ، ويرد على معارضيه ، ويقدم لنا في " الخطابة " أوضح صورة عربية لما كتبه المعلم الأول باليونانية[6] . وقد يختلف عنه في بعض التفاصيل والجزئيات ، كتبويب الكتاب ، وتعريف بعض المصطلحات ، ولكن آراءه البلاغية تحمل شارة أرسطية واضحة . ولعله في حرصه على تأثر خطا استاذه لم يحاول أن يمزج هذه الآراء بالأدب العربي المزج الذي كنا نرتجيه .

* * *

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ — ٢١٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٦) الدكتور طه حسين ، نقد النثر ، القاهرة سنة ١٩٣٣ ، ص ٢٤ — ٢٧ .

ولم يبق اليوم شك فى أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة ، وبالمنطق على الأخص[١] . وقديما فرقوا بين الطريقة الكلامية والأدبية ، وما الأولى الا درس للبلاغة فى ضوء الكلام والفلسفة[٢] . وفى تاريخ هذه البلاغة ما يشهد بأن معظم من كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون ، ويكفى أن نشير إلى قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجانى اللذين يعدان بحق فى مقدمة مؤسسيها [٣] .

ولا شك فى أن منطق أرسطو — والخطابة من أجزائه — كان أكثر نفوذا الى البلاغة العربية ، ارتبط بها منذ نشأتها ، وسايرها حتى وصلت القمة . وفى ثناياها بحوث منطقية متنوعة فى الألفاظ والقضايا والأقيسة ، لأنها كانت تعتبر ضرورية للبحث البيانى ضرورة الأبحاث اللغوية والنحوية ، ومتممة لعلم المعانى الذى يقوم على الحد والاستدلال [٤] .

وتشاء الصدف أن يكون منطق أرسطو من أولى كتبه ترجمة إلى العربية ، بحيث استطاع أن يلتقى مع نشأة البلاغة [٥] . ويظهر أن " كتاب الخطابة " بالذات ترجم غير مرة ، وكانت ترجمته الأولى مبكرة فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة [٦] . ولقد لخصه فلاسفة الإسلام أو علقوا عليه وشرحوه ،

---

(١) المصدر السابق ؛ أمين الخولى ، البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، القاهرة سنة ١٩٣١

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ — ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤ — ٨ .

(٤) السكاكى ، مفتاح العلوم ، القاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ص ٧٠ .

(٥) Madkour—L'Organon d'Aristote dans le monde Arabe, Paris, 1934, p. 27-29.

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة أوروبا ، ص ٢٤٤ .

وابن سينا — فيما وصلنا — أوضحهم شرحا وأكثرهم تحليلا . وفى نشر كتابه فى " الخطابة " اليوم ما يلقى ضوءا جديدا على البلاغة العربية ومدى صلتها بالبلاغة اليونانية .

* * *

وقد اضطلع بهذا النشر الدكتور محمد سليم سالم ، فتوفر عليه منذ أربع سنوات أو يزيد ، جامعا للمخطوطات وموازنا بينها . واكتمل له منها تسع متفاوتة الرتبة ، إلا أنها كافية لتحقيق النص المعروض [1] . على أنه لم يقف عندها ، بل رجع إلى الأصل اليونانى " لخطابة " أرسطو ، وكان لابد له أن يفعل ، لأن ابن سينا نفسه تمنى هذا ، وأشار غير مرة إلى ورود أمور على لسان أرسطو لم يتيسر له فهمها [2] . وأعان المحقق على ذلك تمكنه من اليونانية وإحاطته بآدابها ، فهو استاذ الدراسات القديمة بجامعة ابراهيم . هذا إلى أنه ليس حديث العهد بالخطابة عند ابن سينا ، فقد سبق أن نشر " فى معانى كتاب ريطوريقا "، الذى أشرنا اليه من قبل نشرا دقيقا .

وأضاف إلى هذا التحقيق مقدمة عرض فيها للمدارس البلاغية اليونانية التى وردت على ألسنة مفكرى الإسلام ، والتى كان لآرائها شأن خاص فى بلاغة أرسطو وتلاميذه . ثم ختم بفهرس للأعلام ودليل للكتاب . وبذا ساهم بنصيب ملحوظ فى نشر " كتاب الشفاء " الذى يتطلب جهودا متضافرة .

ولا شك فى أن نشر " كتاب الخطابة " على هذا النحو سيفتح أبوابا لدراسات مختلفة ، ويحيى معلما من معالم التراث الإسلامى .

---

(١) ص (٢٤) — (٣٠) .

(٢) ص (٢٠) .

مقـــــدمة

للدكتور محمد سليم سالم

الخطابة قبل أرسطو :

نشأت الخطابة كفن يلقن وقواعد تبحث فى جزيرة صقلية وذلك على أثر الأحداث التى مرت بالجزيرة بعد طرد الطغاة[1] ، وما تلاه من عودة الحياة الديمقراطية ورجوع من شردهم الطغيان ومطالبتهم بأموالهم المصادرة وتعدد المنازعات وقيام الدعاوى بينهم وبين من وقعت فى أيديهم هذه الأموال[2] .

وكان أول من اتجه إلى تعليم الخطابة رجل من أهل جزيرة صقلية يسمى « كوراكس » Κόραξ [3] ، عرفه العرب باسم «غراب» الخطيب[4]. وقد وضع كوراكس لتلاميذه رسالة فى صناعة الخطابة عنى فيها بأمرين : أولها الترتيب ، فإليه ينسب التقسيم الخماسى للخطبة[5] ؛ وثانيهما الأدلة المستقاة من مواضع الممكن وغير الممكن[6] .

---

(١) عبارة سيشرون فى كتابه بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : sublatis in Sicilia tyrannis مبهمة ، فلا يمكن أن تتبين منها أى طاغية يقصد سيشرون ، غير أن آخر طاغية طرد من صقلية هو ثراسو بولوس ، وكان ذلك فى عام ٤٦٦ ق . م .

(٢) استق سيشرون ، بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : Itaque ait Aristoteles ، ما ذكر عن نشأة الخطابة من كتاب لأرسطو هو Τεχνῶν συναγωγή . وقد ضاع هذا الكتاب الذى لخص فيه أرسطو كل ما عرف فى زمانه من قواعد الخطابة وتاريخها .

(٣) أنظر مقال : Aulitzky فى Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie تحت اسم : Korax ، الأعمدة ١٣٧٩ — ١٣٨١ .

(٤) القفطى ، تأريخ الحكماء ، ٢٥٣ — ٢٥٤ (طبعة ليبسك ، ١٩٠٣) .

(٥) Sandys, Cicero, Orator, introduction, p. v, n. 4.

(٦) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ١١ (١٤٠٢ أ ١٧) : ἔστι δ' ἐκ τούτου τοῦ τόπου ἡ Κόρακος τέχνη συγκειμένη — من مواضع الممكن : أنظر أيضا ص ١٦٤ وما بعدها من كتابنا هذا .

وجاء بعده تلميذه « تيسياس » Τεισίας[1] الذى كان من عادته أن يكتب خطبا يتقاضى عنها أجرا[2] . وقد أقام مدرسته أولا فى سراقوسه ؛ ولما لم يطب له المقام فيها، انتقل إلى ثورى التى أنشئت عام ٤٤٣ ق.م. وفى مقره الجديد درس عليه «لوسياس» Λυσίας الذى أصبح فيما بعد من أشهر خطباء أثينه ، وامتاز أسلوبه بأنه السهل الممتنع[3]. ويقال إنه لما أرسلت بلدة ليونتينى وفدا يطلب العون من أثينه عام ٤٢٧ ق.م، كان تيسياس من بين أعضائه[4] ، كما كان تلميذه جورجياس . وتقول هذه الرواية إن تيسياس استطاب العيش فى أثينه فاشتغل فيها بتدريس الخطابة ، وكان من بين تلاميذه هناك إيسوقراطيس[5] .

والثابت أن تيسياس ألف فى الخطابة كتابا سار فيه على نهج أستاذ « كوراكس » ، وقد ذاع كتابه واشتهر وتداوله الناس[6] .

---

(١) عرف العرب تيسياس ، وقد حرف اسمه إلى ثيسناس فى القفطى ، تاريخ الحكماء، ١٠٩ . وسرد القفطى فى ترجمته حياة غراب الخطيب ذلك الحوار المشهور الذى قيل إنه دار بين كوراكس وتيسياس .

(٢) Pausanias, VI, 17, 8

(٣) حياة لوسياس المنسوبة إلى فلوطارخوس ، ١٥ : παιδευόμενος παρὰ Τεισίᾳ . أحسن من كتب عن لوسياس هو Jobb فى كتابه خطباء أتيكا Attic Orators ، ج ١ ، ص ١٤٣ وما بعدها .

(٤) Pausanias, VI, 17, 8 : ἀφικόμενον κατὰ πρεσβείαν ὁμοῦ Τισίᾳ παρ' Ἀθηναίους هذه رواية ضعيفة إذ يبعد أن يذهب تيسياس إلى أثينه يستعديها على بلدة سراقوسه ، إلا إذا افترضنا أنه بانتقاله إلى ثورى قد قطع كل علاقة بموطنه الأصلى .

(٥) حياة ايسوقراطيس المنسوبة إلى فلوطارخس ، ٢

(٦) سيشرون ، عن الأدلة ، ٢—٦ : a principe illo et inventore Tisia . ولكنه يعدل عن هذا الرأى فى كتبه الأخرى .

أفلاطون ، فيدروس ، ٢٧٣ ب — ج ، يشير إلى أحد الأمثلة الموجودة فى كتاب تيسياس عن الرجل الضعيف الذى يعتدى على رجل ضخم ، فإذا أراد أن يدفع عن نفسه التهمة قال : كيف يمكن لمثلى أن يعتدى على مثله ؟ وهو مثال معروف . أنظر : الحكمة العروضية ، ص ٦٨ ، هامش ٢ ؛ وقارن ص ١٠٥ من كتابنا هذا .

وفن الخطابة الذى علمه كوراكس وتلميذه تيسياس كان قاصرا على تلقين مبادئ الإقناع . وقد أثار تعريف مدرستهما للخطابة بأنها منتجة الإقناع : πειθοῦς δημιουργός[1] انتقادات مريرة من الناحيتين الخلقية والفنية ، فمن الناحية الخلقية قد يدعو مثل هذا التهافت على الإقناع إلى أن يحاول الخطيب أن يقنع بأى وسيلة ، وبهذا تنحدر الخطابة إلى مهاوى السفسطة[2] . وهذا هو الجانب الذى أثار غضب الأثينيين على الفن الجديد . ومن الناحية العلمية يعتبر مثل هذا التعريف ناقصا لأنه لايحد ما يراد تعريفه ؛ فليس القول وحده هو منتج الإقناع ، بل قد يقنع المال والجاه والجمال وغير ذلك[3] .

ثراسوماخوس :

ومن أعظم معلمى الخطابة الذين ساروا فى أثر تيسياس رجل من بلدة خالقيدون (أو قالخيدون) ولد حوالى عام ٤٥٥ ق.م. وقد ذكره أرسطو مرات فى كتاب « ريطوريقا »[4] ، وردد ابن سينا — نقلا عن أرسطو — اسمه[5] . وجعله أفلاطون فى كتابه « فيدروس » على رأس معلمى الخطابة[6] وأسند إليه

---

(١) أفلاطون ، جورجياس ، الفصل الثامن ، ٤٥٣ أ ؛ القفطى ، تاريخ الحكماء ، ١٠٩ : "الخطابة المفيدة للإقناع" ؛ ٢٥٣ : "المنتخبة للإقناع"

(٢) رمى السفسطائيون بأنهم يعلمون الشباب كيف يجعل الدليل الضعيف قويا والقوى ضعيفا ، وهذه هى إحدى الإتهامات التى وجهها العامة إلى سقراط (أفلاطون ، الدفاع عن سقراط ، الفصل الثالث ، ١٩ ب) . وقد نسب أبو حيان التوحيدى ، البصائر والذخائر ، ٩٣ ، إلى سقراط تعريفا للخطابة يردد هـذا القول : "قيـل لسقراطيس الفيلسوف — وكان من خطبائهم — ما صناعة الخطيب ؟ قال : أن يعظم شأن الأشياء الحقيرة ، و يصغر شأن الأشياء العظيمة" .

(٣) ص ٩ ، ١٠ من كتابنا هذا .

(٤) الكتاب الثانى ، ٢٣ — ٢٩ (١٤٠٠ ب ٢٠) . الكتاب الثالث ، ١ — ٧ (١٤٠٤ أ ١٤ — ١٥) ؛ ٨ — ٤ (١٤٠٩ أ ٢) ؛ ١١ — ١٣ (١٤١٣ أ ٨)

(٥) أنظر ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤

(٦) أفلاطون ، فيدروس ، ٢٦٦ ج ؛ ٢٧١ أ

فى كتاب الجمهورية دور الجدلى العنيد . وقد عنى به ثيوفراستوس ، تلميذ أرسطو ، فقال عنه فى كتابه « عن الأسلوب » περὶ λέξεως إنه بدأ عصراً جديداً فى النثر اليونانى[1] ،وخصه الناقد اليونانى الذائع الصيت «ديونوسيوس» بالتفوق فى الأسلوب الوسيط الذى لا يهبط إلى السهولة المبتذلة ولا يرتفع إلى الأسلوب الرفيع المتسامى[2] . ويمكن أن نستنتج مما ذكره سيشرون فى كتابه «الخطيب» أن ثراسوماخوس هو مبتدع النثر الموزون[3] ؛وربما كان الخطيب الرومانى ينقل ما يرويه عن ثيوفراستوس. ويؤكد أرسطو أن خطباء اليونان بدأوا منذ زمن ثراسوماخوس يستعملون البيان παιάν فى وزن النثر ، لأن البيان أكثر مواءمة للنثر[4] ؛ ولكن أرسطو لا يقول فى جلاء إن كان ثراسوماخوس هو أول من ابتدع ذلك . وربما كان هذا هو الحق ، لا سيما إن رجعنا إلى رواية سيشرون .

ومن الثابت أن ثراسوماخوس أغرم بالمحسنات البديعية ، ولا سيما تلك التى تهدف إلى جعل النثر قريبا من الشعر ؛ وقد امتاز بالقدرة على ابتداع الأفكار والإبداع فى التعبير عنها . كما ألف كتابا فى إثارة الشفقة ذكره كل من أفلاطون وأرسطو[5] .

---

(١) أنظر مقال Klaus Oppenheimer فى Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie تحت اسم Thrasymachus الأعمدة ٥٨٤ — ٥٩٢ ؛
Suidas, S.V. Θρασύμαχος: ὃς πρῶτος περίοδον καὶ κῶλον κατέδειξε

(٢) Dionys. Hal., Demosth., 3.

(٣) سيشرون ، الخطيب ، ٣٩ : haec tractasse Thrasymachum Calchedonium primum

(٤) ارسطو ، ٣ — ٨ — ٤ (١٤٠٩ أ ٢ — ٣) ؛ أنظر ص ٢٢٤ من كتابنا هذا .

(٥) أفلاطون ، فيدروس ، ٢٦٧ ج ، د ؛ أرسطو ، ٣ — ١ — ٧ (١٤٠٤ أ ١٤ — ١٥) :
οἷον Θρασύμαχος ἐν τοῖς ἐλέοις

أفلاطون :

أما أفلاطون فقد تعرض للخطابة فى كثير من مؤلفاته ؛ ولكنه خصها بكتابين هما : جورجياس وفيدروس . وقد حمل فى "جورجياس" حملة عنيفة على الخطابة السفسطائية ؛ بينما هو يحاول فى " فيدروس " أن يدلل على أن فن الخطابة الذى يستأهل هذا الاسم يجب أن يرتكز على علمى النفس والجدل.

يدور النقاش فى "جورجياس" حول ماهية الخطابة . ويحاول جورجياس وبولس أن يقدما تعريفا يتلقاه سقراط بالرضا، ولكن سقراط لا يجد صعوبة فى دحض كل ما يتقدمان به . أما سقراط نفسه فعندما يطالب بتعريف الخطابة ينكر أن الخطابة فن حقيقى يمكن أن يحد على نهج علمى. إذ هى فى نظره ملكة أو قدرة على إقناع الجهال واستمالة النظارة . فهى إذن نوع من التملق(١)

ويظهر أثر " فيدروس " جليا فى كتاب الخطابة الذى وضعه أرسطو . فالفكرة التى بسطها أفلاطون هى التى أفاض تلميذه أرسطو فى تنسيقها فى الكتابين الأول والثانى من ريطوريقا. ذلك لأن أرسطو فى الكتاب الأول من ريطوريقا يبحث فى وسائل الإقناع التى تستمد من المنطق ، أعنى تلك تؤخذ من الضمائر والأمثلة ؛ أما فى الكتاب الثانى فإنه يشرح الجانب النفسى من الخطابة ، فهو يدرس الانفعالات وتأثيرها فى الإقناع .

---

(١) أفلاطون ، جورجياس ، ٤٦٦ أ :

Κολακείας μὲν οὖν ἔγωγε εἶπον μόριον.

أرسطو والخطابة :

وضع أرسطو فى الخطابة كتبا عديدة[1] قبل أن يؤلف كتابه الخالد "ريطوريقا" الذى أصبح العمدة فى هذا الفن ، والذى ترجم أكثر من مرة إلى اللغة العربية وصنف له فلاسفة العرب شروحا كثيرة .

ولسنا نعرف على وجه التحديد التاريخ الذى أملى فيه أرسطو كتاب الخطابة. ولكن المعروف أنه ألفه فى مدينة أثينه عندما نزح إليها مرة ثانية وأقام بها ثلاث عشرة سنة (٣٣٥ — ٣٢٢ ق . م) . ومن الراجح أن أرسطو ألف هذا الكتاب بين ٣٣٥ — ٣٣٠ ق . م[2] .

ويؤيد هذا أن أحدث إشارة يمكن تأريخها على وجه الدقة هى ذكره للصلح الذى تم فى كورنثه بين الإسكندر الأكبر وبين بقية بلاد اليونان ، ما عدا اسبرطه ، فى خريف عام ٣٣٦ ق . م[3] .

ويمكن أن نجد تأييدا آخر فى كثرة ما اقتطف أرسطو من كتابات إيسوقراطيس على ما عرف من جفاء بينهما . ولا بد أن يكون هذا قد حدث بعد موت إيسوقراطيس عام ٣٣٨ ق.م. والموت يخفف عادة الموجدة ويقضى على كل سخيمة .

---

(١) Diogenes Laertius, v, 24 . أشار أرسطو، ريطوريقا، ٣ — ٩ — ٩ (١٤١٠ ب ٣) إلى أحد هذه الكتب .

(٢) Dufour, Aristote, Rhétorique I, p. 14—16, . يظن ديفور أن كتاب الخطابة ألف حوالى سنة ٣٢٩ — ٣٢٣ ق.م

(٣) ٢ — ٢٣ — ١٨ (١٣٩٩ ب ١٢ — ١٣) : καὶ τὸ μετέχειν τῆς κοινῆς εἰρήνης ولكن أنظر الهامش السابق .

وعلى كثرة ما اقتطف أرسطو من مؤلفات إيسوقراطيس ، فمن الغريب أننا لانجد إشارة صريحة إلى ديموستنيس، أعظم خطباء العالم القديم. فهل يمكن أن يكون العداء المتبادل بين فيليب وابنه وبين زعيم أثينه هو الذى صرف أرسطو (الذى عاش فى بلاط فيليب وعلم الاسكندر) عن الإشارة إلى خطب ديموستنيس ؟

كتاب ريطوريقا :

يعتبر كتاب ريطوريقا من أهم ما ألف أرسطو، بل هو فى الحق كتاب وحيد فى بابه ، أتى فيــه أرسطو على تجاريب خطباء اليونان ومؤلفى كتب الخطابة من قبله .. وينفرد هذا الكتاب بشيء من وضع أرسطو نفسه ، ألا وهو تطبيق المنطق على الخطابة . فكتاب ريطوريقا إن هو إلا دراسة جديدة للخطابة على ضوء علمى الجدل والنفس .

وجه أرسطو قارص لومه إلى مؤلفى الرسائل التعليمية τέχναι لإهمالهم الجانب المنطق من الخطابة وإسهابهم فى شرح الخارجيات ومحاولات التأثير على القضاة[1] .

ولكن عذر هؤلاء أنهم لم يعرفوا "عمود" الخطابة فهو من وضع أرسطو .

وقد تُرجم كتاب ريطوريقا إلى اللغة العربية أكثر من مرة . فهناك محاولة أولى يسميها ابن النديم "النقل القديم" ، دون أن يذكر اسم مترجمها ولا زمانه.

---

(1) انظر كتابنا هذا ص ١٢٨ .

ولكنه يقول إنه رآها فى نحو مائة ورقة بخط أحمد بن الطيب السرخسى تلميذ الكندى ومعلم المعتضد[1] .

أما الترجمة الثانية فتنسب إلى اسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ﻫ أو سنة ٢٩٩ﻫ . غير أن ابن النديم يتردد فى قبول هذه الرواية التى يصدرها بكلمة "قيل"[2] .

وكان هناك ترجمة أخرى قام بها ابراهيم بن عبد الله وهو الذى نقل المقالة الثامنة من كتاب طوبيقا[3] .

وقد بقيت لدينا ترجمة وحيدة لا نستطيع أن ننسبها إلى أحد ، فلسنا ندرى من ترجمها ولا فى أى زمن ترجمت[4] .

ولكنى أظن أنها هى ذاك النقل القديم ، لما فيها من أخطاء تؤذن بأنها محاولة أولى .

وقد شرح الفارابى كتاب ريطوريقا شرحا ذاع وانتشر[5] وبقى حتى اطلع عليه ابن رشد[6] وإن لم يصل إلينا .

---

(١) الفهرست ، ص ٢٥٠ (طبعة فلوجل) ؛ القفطى ، تأريخ الحكماء ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢) الفهرست ، ٢٥٠ : "وقيل إن اسحق نقله إلى العربى" ؛ القفطى تأريخ الحكماء ، ٣٧ .

(٣) الفهرست ، ص ٢٤٩ ؛ Khalil Georr, Les catégories D'Aristote, p. 197

(٤) Kalil Georr, Les catégories d'Aristote, p. 186-9. فيه وصف المخطوط ؛ Steinschneider, 48 ؛ Wenrich, 133 ؛ الحكمة العروضية ، ص ٨ وما بعدها .

(٥) الفهرست ، ٢٥٠ : "فسره الفارابى أبو نصر" ؛ القفطى ، تأريخ الحكماء ، ٣٧ ؛ الفهرست ، ٢٦٣ : "وفسر الفارابى من كتب أرسطاليس مما يوجد ويتداوله الناس ... كتاب الخطابة أروطوريقا" .

(٦) ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، ٢٩ (طبعة القاهرة) ؛ ابن رشد ، تلخيص الشعر ، ٤٤ (طبعة لازينيو Lasinio)

وشرحه ابن سينا كاملا فى الشفاء . واختصه قبل ذلك وهو شاب فى الحادية والعشرين من عمره بفصل موجز فى كتاب المجموع أو الحكمة العروضية فسر فيه الكتاب الأول من ريطوريقا ، خلا الفصل الأخير الذى يبحث فى الأدلة التى ليست عن صناعة[1] .

وعلق ابن سينا على هذا الجزء بعينه من السفر الأول من كتاب ريطوريقا فى بعض كتبه الأخرى كالبهجة فى المنطق[2] .

وقد حاولت أن أدلل عند نشرى للفصل الذى يبحث فى معانى كتاب ريطوريقا من كتاب المجموع أو الحكمة العروضية على أن ابن سينا لم يطلع إلا على الترجمة العربية التى وصلت إلينا والتى نجدها فى مخطوط محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس . فابن سينا ينقل عن هذه الترجمة نقلا حرفيا[3] ، ويردد الكثير من أغلاطها دون أن يدرك أنها لا تمت إلى أرسطو[4] .

ومع ذلك استطاع ابن سينا بثاقب فكره وتمكنه من المبادئ الأرسطية واطلاعه على مؤلفات أرسطو الأخرى وشروحها العربية أن يتبين بعض مواطن الخطأ فى الترجمة العربية . ونجده فى " الحكمة العروضية " وهو شاب لم تكتمل

---

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع أو الحكمة العروضية ، فى معانى كتاب ريطوريقا (طبعة محمد سليم سالم)

(٢) الأب قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ١١٢ رقم ٤٢ (البهجة فى المنطق) ؛ ص ١١٤ رقم ٤٤ (الموجز) ؛ انظر : الحكمة العروضية ص ٤٥ هامش ٢ .

(٣) ردد ابن سينا تعريف الخطابة كما جاء فى الترجمة العربية القديمة ، ٣ أ ٢٤ : "قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأمور المفردة" فى كتابنا هذا ص ٢٨ ؛ وفى الحكمة العروضية ، ص ١٥ ، ونقل من الترجمة العربية (١٦ أ ١٨ — ٢٠) نقلا حرفيا فى الحكمة العروضية ص ٦٠

(٤) أنظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ١ ؛ ص ٣٤ هامش ٢ ؛ ص ٣٥ هامش ١ ؛ ص ٣٦ هامش ١ ، ٣ ؛ ص ٣٨ هامش ١ ، ٢ ؛ ص ٤٣ هامش ٢ ؛ ص ٤٩ هامش ١ ؛ ص ٥٢ هامش ٤ ؛ ص ٥٥ هامش ٢ ؛ ص ٥٦ هامش ١ ؛ ص ٦٢ هامش ٣ ؛ ص ٦٣ هامش ٥ ؛ ص ٦٤ هامش ٢ ؛ ص ٦٥ هامش ٥ ؛ ص ٧١ هامش ١ ، ٣ ، ٤ ؛ ص ٧٤ هامش ١ ، ٣ ؛ ص ٧٥ هامش

قوته يتردد فى الجهر بذلك ، أما فى " الشفاء " فيبدو أكثر جرأة لأنه أغزر علما . وأول نقد وجهه ابن سينا لترجمة كتاب أرسطو جاء فى كتاب المجموع أو الحكمة العروضية عند بحثه فى أجناس الكلام الريطورى وأغراض كل قسم. ولم يكن ابن سينا يعتمد فى تفهمه لهذا الجزء من كتاب ريطوريقا على الترجمة العربية وحدها ، لأن بعض أجزاء هذه الترجمة كما وصلت إلينا — وربما لم تك أحسن حالا فى زمن ابن سينا — لا يمكن أن تؤدى أى معنى[1] . ولدينا أدلة كثيرة على أن ابن سينا فى شرحه لكتاب ريطوريقا لم يعتمد على الترجمة العربية فقط بل رجع إلى كتب أرسطو فى السياسة والأخلاق وإلى رسالة فى آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى[2] . ومن الصعب أن يقال إنه لم ير شرح الفارابى للخطابة .

ولا يحجم ابن سينا فى كتاب الشفاء عن أن يعلن أن هناك أجزاء فى الترجمة العربية لم يستطع فهمها ؛ فهو يقول فى ص ٨١ من كتابنا هذا : " وأورد لهذا الباب أمثلة فى التعليم الأول لم أفهمها " [3] ؛ واللوم لا يقع على الشيخ الرئيس وإنما على المترجم ، فليس هناك ذكاء بشرى يستطيع أن يفقه معنى للألفاظ المرصوصة التى نجدها فى الترجمة العربية كما وصلت إلينا[4] . وواضح من كلام ابن سينا أنه لم يحظ بنص أفضل .

---

(١) الحكمة العروضية ، ص ١٩ ، ولا سيما هامش ٢ .

(٢) انظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ٢ ؛ وكتابنا هذا ص ٦٢ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٣٨ هامش ٣ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٤٠ هامش ٢ ؛ ص ٤١ هامش ٤ ؛ وكتابنا هذا ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣) أنظر أيضا ص ٢٢٤ من كتابنا هذا : " ويشبه — والله أعلم — ... " ؛ " ثم لليونانيين فى هذا الباب أحوال لم نحصلها ... " .

(٤) الترجمة العربية القديمة ، ١٢ ب ٢١ — ١٣ أ ١ ؛ أوسطو ، ١ — ٧ — ٣٢ ، ٣٣ (١٣٦٥ أ ٢٤ وما بعده) .

ونجد فى كتاب الشفاء أمارات على أن ابن سينا ربما يكون قد اطلع على شروح وضعها غيره لكتاب ريطوريقا .

فهو يقول بجلاء عند محاولته التفرقة بين المقنع الحقيق وبين ما يرى مقنعا : "فهذا هو الفرق بين المقنع الحقيق وغير الحقيق ، لا وجوه أخرى قيلت فى كتب خطابية لأقوام محدثين" (١) .

ويحذرنا ابن سينا عند شرحه لتعريف الخطابة من السير فى أثر من أخطأوا فى تحديد معنى "الإقناع الممكن" ، فيقول : "ولا يلتفت إلى تفسير آخر" (٢) .

وقد ردد ابن سينا فى أكثر من مكان واحد عبارات يفهم منها مخالفته لشراح آخرين تعرضوا لمناقشة تلك الأصول التى يتناولها بالبحث فى كتابه . فيقول : "هكذا ينبغى أن يفهم هذا الموضع" أو "والأحب إلى أن يفهم هذا الفصل هكذا" (٣) .

وأهم من ذلك كله تلك المواضع التى تظهر من ناحية مخالفة ابن سينا لغيره من الشراح ، ومن ناحية أخرى عدم رضائه عن الترجمة العربية ، ومطالبته من يعرفون اللغة اليونانية بالرجوع إليها .

ومن هذه الأمثلة ما نجده فى صفحة ٨١ من كتابنا هذا . فابن سينا يردد أولا عبارة الترجمة العربية ، ١٣ ا ٥ — ٦ ، وهى : "والصحة أفضل من الضعف ، لأن تلك له ، فأما هذا فلا" ؛ ثم يضيف : وقد "فُهم من الضِّعف الضَّعف بمعنى اليسار وتضاعف المال ، وفهم من الخاص ليس الخاص بالغاية ، بل الخاص بالكاسب" . ولكن ابن سينا لا يرضى عن هذا الرأى ، ولا يوافق على الترجمة ، فيجهر برأيه قائلا : "وعندى أنه وقع فى النسخ غلط ،

---

(١) أنظر ص ٢٦ من كتابنا هذا .

(٢) أنظر ص ٢٩ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢

ويجب مكان الضعف عدم الضعف أو ما به وهو القوة . ولكن يجب أن يرجع إلى الأصل اليونانى " .

فاذا رجعنا إلى النص اليونانى رأينا صدق حدس ابن سينا . فالمترجم إلى اللغة العربية قد أخطأ . لأن أرسطو ، ريطوريقا ، ١ — ٣٥،٧ (١٣٦٥ أ ٣٥ — ٣٦) ، لا يتحدث عن الصحة والمرض ، ولا عن الصحة والمال ، ولا عن القوة وعكسها ، بل يذكر أن الممكن أفضل من غير الممكن :

Καὶ τὸ δυνατὸν τοῦ ἀδυνάτου· τὸ μὲν γὰρ αὐτῷ, τὸ δ' οὔ.

وقد أشار ابن سينا فى صفحة ٧٤ من كتابنا هذا إلى رأى لأحد من تصدوا للتعليق على كتاب ريطوريقا ، فشرح ابن سينا ذلك التفسير ووضحه ، و بيّن أن الخلاف فى هذا الموضع يدور أيضا حول قراءة كلمة "الضعف" وهل هى بكسر الضاد أم بفتحها .

يقول ابن سينا : " و إذا دام الإذعان للحن واشتد الضعف والخوف حتى جاوز بالجفاء وقت الضرورة أورث الاستيحاش لا محالة . وقد فهم بعضهم من الضِّعف الضِّعف وهو التضاعف ، فكان معناه أن الشىء إذا تضاعف أمل و إن كان قبله سهلا " .

غير أن ابن سينا هنا لم يدرك ، كما أدرك فى صفحة ٨١ ، أن المترجم إلى اللغة العربية ربما يكون قد أخطأ ، فضلّ وأضل ، وقاد إلى الاختلاف حيث لا خلاف . ذلك أننا لو رجعنا إلى الأصل اليونانى لوجدنا أن أرسطوطاليس(١) لا يبحث فى ضعف أو خوف ، و إنما فى حد الصعب τὸ χαλεπόν الذى يعرف أو يميز بما يصاحبه من ألم أو بما يستغرقه من زمن . غير أننا نستطيع أن نتبين فى الترجمة العربية التى وصلت إلينا ذكرا للخوف والحزن والضعف(٢) .

(١) أرسطو ، ١ — ٦ — ٢٧ (١٣٦٣ أ ٢٣ — ٢٤) :

τὸ γὰρ χαλεπὸν ὁρίζεται ἢ λύπῃ ἢ πλήθει χρόνου.

(٢) الترجمة العربية القديمة ، ١٠ ب ٢٣ — ١١ أ ١ : «لأن الضعف . . الحزن فى طول الزمان» . ومن الواضح أن المترجم عرّب كلمة λύπη (ألم) بالحزن .

وهناك موضع جدير بالذكر بحث فيه ابن سينا أمثلة ساقها أرسطو للتدليل بها على المغالطات السفسطائية . وقد قرر ابن سينا أنها من باب اللواحق أو جزئية اللواحق ، وهو على حق فى ذلك ، غير أنه يرى أنها تأخرت عن مكانها لغلط من النساخ[١] . فإذا رجعنا إلى الأصل اليونانى وجدنا أنها فى مكانها ؛ إلا أن ابن سينا صادق الحدس ، فهناك خطأ فى الترجمة العربية ، لأن أرسطو يصدّر هذه الأمثلة بما يدل على بابها[٢] . ومن الجائز أن يكون المترجم قد صحف كلمة ἑπόμενον فقرأها εἰρόμενον [٣] .

وفى موضع آخر نجد أن ابن سينا قد أحس بأن هناك خطأ ما فى الترجمة العربية ، ولكنه لا يجزم بذلك ، فقد تكون الترجمة صحيحة ، ويكون التأويل كفيلا بأن يزيل ما بها من صعوبة[٤] . فإذا ما رجعنا إلى الأصل اليونانى[٥] ، وضح لنا أن المترجم أخطأ[٦] ؛ وأن خطأه قد أضل من ساروا على هديه . فأرسطو لا يذكر هنا شيئا عن القضاء أو القدر ، وعلى ذلك فليس هناك مايدعو إلى البحث فى إثبات " لا " أو حذفها ، لأن الترجمة العربية قد بعدت عن الأصل اليونانى .

---

(١) ص ١٩٠ من كتابنا هذا : « وعندى أنها قريبة من باب اللواحق ، أو جزئية اللاحق ، وأنه تأخر عنه لغلط من النساخ » .

(٢) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ٧ (١٤٠١ ب ٢٠ — ٢١) :
ἄλλος τὸ παρὰ τὸ ἑπόμενον.

(٣) قارن ص ١٨٩ من كتابنا هذا : « ومن ذلك قوله : ينبغى أن يفهم على ما أخبر عنه » .

(٤) ص ١٠٠ من كتابنا هذا : « وقيل فى التعليم الأول : فأما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضاء . يشبه أن تكون لفظة " لا " قد وقعت زائدة سهوا من الناقلين أو غيرهم ، أو يشبه أن يكون معناه بلا حتم من الكاسبين ، ولا تقدير منهم ، فيكون كأنه قال : بلا توقع من الناس وتقدير » .

(٥) ارسطو ، ٢ — ٩ — ٢ (١٣٨٦ ب ١٥) : τοῖς δὲ εὖ νεμεσᾶν .

(٦) الترجمة العربية القديمة ، ٣٣ ب ١٨ — ١٩ : « فاما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضى فينبغى أن ... » .

المخطوطات

إعتمدت فى تحقيق نص كتاب الخطابة على تسعة مخطوطات ، منها ما هو تام كامل لم يفقد منه شيء ، ومنها ما ضاعت منه وريقات عدا عليها الدهر فأطارها من مكانها ، ومنها ما لم يبق منه إلا فصول قليلة .

وهذه المخطوطات هى :

(١) مخطوط بخيت (مخطوط الأزهر) ورمزه ب
(٢) « العطار « ح
(٣) « داماد الجديد « سا
(٤) « سليمانية (داماد) « س
(٥) مخطوط المكتب الهندى « هـ
(٦) « المتحف البريطانى « م
(٧) « نور عثمانية « ن
(٨) « دار الكتب (٨٩٤ فلسفة) « د
(٩) « « « (١) (٢٦٢ فلسفة) « دا

وترجع هذه المخطوطات إلى أزمنة مختلفة ، وقد كتبت بخطوط متباينة ، فى بلاد متفرقة ، وهى تنقسم إلى فصائل أو عائلات سنحاول أن نتبينها فيما يأتى ، لأنه على قدر معرفتنا بتاريخ كل مخطوط وصلته بغيره يمكننا أن نقدر قيمة القراءات التى نجدها فيه .

وأفضل هذه المخطوطات وأصحها هو المخطوط الذى كان يملكه المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية .

وقد وقفه على أهل العلم سنة ١٣٢٨ هـ ، وهو الآن محفوظ بمكتبة الجامعة الأزهرية .

وقد كتب بخط نسخى ، قليل النقط ، ولكنه واضح أشد الوضوح ، و يحتمل أنه يرجع إلى القرن السابع الهجرى .

وتوجد على هامشه قراءات وتفسيرات ، أخذت على ما يظهر من الأصل الذى نسخ منه ؛ لأن هناك ألفاظا وشروحا مما يكتبه الناس على الهوامش قد تسربت إلى المتن ؛ لأن الناسخ يظنها عادة تصحيحات . ومن هذه الألفاظ فى مخطوط الأزهر كلمتا المشورة والمشير اللتان حلتا مكان لفظين لم يفهمهما الناسخ وهما التفسير والمفسر . وقد حدث ذلك فى ص ١٨ س ١٠ ، ١٣ ، ١٤ وفى الموضع الأخير نجد " المشورة أو المدح " وهما شرح وشرح للشرح ، وقد تسرب كلاهما إلى المتن . وكذلك نجد المشورة بدلا من التفسير فى ص ١٩ س ٥ ، ١٢ ؛ وفى ص ٢٠ س ١ . ونجد كذلك المشير بدلا من المفسر فى ص ١٩ س ١ . ومما يؤيد رأينا هذا أننا نجد فى ص ١٩ س ١٢ لفظ التفسير فى المتن، بينما نقرأ " المشورة " فى الهامش ، ولعل وجود اسم الإشارة المفرد المذكر قبل كلمة التفسير حال بين الناسخ و بين التبديل .

و يأتى بعد مخطوط الأزهر فى الجودة والإتقان قطعة من كتاب الشفاء كان يملكها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر .

وهذه القطعة كتبت بخط جميل ، وقد ضبطت كلماتها بالشكل و بذلت عناية كبيرة فى وضع النقط . وقد قوبلت بعد أن تم نسخها على مخطوط آخر ، يدلنا على ذلك كتابة القراءات المختلفة فوق الكلمات المقابلة أو تحتها . وقد يكون تاريخ نسخ هذه القطعة متأخرا ، ولكنها قد نقلت عن أصل قديم .

وهذه القطعة محفوظة بمكتبة المجلس البلدى بسوهاج ، عاصمة مديرية جرجا ، تحت رقم ٣٩ منطق .

وأوراقها غير مرتبة ، وقد قمت بترتيب اللوحات الشمسية التى اقتنتها دار الكتب المصرية (٣٠٧٨ و) ليسهل الاطلاع عليها .

وبهذه القطعة ، فضلا عن أجزاء من كتاب السفسطة ، المقالة الأولى من كتاب الخطابة ، والفصل الأول وجزء من الفصل الثانى من المقالة الثانية من كتاب الخطابة أيضا . وبالجزء الذى وصل إلينا من كتاب الخطابة نقص (خرم) يبدأ بعد كلمة موته (ص ٦٨ س ٣) وينتهى بعد كلمة عديدة (ص ٦١ س ١) من كتابنا هذا . ونجد فى نهاية القطعة التى لدينا مكتوبا بخط ناسخها : « تم الجزء التاسع من كتاب الشفاء من المنطقيات ولله الحمد والمنة ، يتلوه إن شاء الله الجزء العاشر فصل فى المنافريات وهو باب المدح والذم » . ووجه الغرابة فى هذا الانتهاء أن الفصل الثانى من المقالة الثانية لا ينتهى عند الكلمات : كان ممكنا فعله (ص ٧٣ س ١٢ من كتابنا هذا) . ثم إن الفصل الذى يتلوه هو فصل فى الأشد والأضعف وختم القول فى المشوريات ؛ أما المنافريات فتأتى فى الفصل الرابع . على أن هذا الختام يدلنا على أن القطعة التى وصلت إلينا كونت قسما من الجزء التاسع ، وأنه قد سبقها وتلاها أجزاء أخرى .

وهذه القطعة الباقية تتبع الفصيلة أو العائلة التى ينتمى إليها مخطوط الأزهر. وآية ذلك اتفاقهما فى أكثر القراءات إن لم يكن كلها ، إذا صرفنا النظر عن الأخطاء التى تنسب عادة إلى النساخ . ومما يؤيد هذا الرأى سقوط موضعين هامين من كل منهما ، ربما لم يكونا فى الأصل الأول ، وأحدهما فى ص ٥٨ ، س ١٤ من كتابنا هذا ، وهو «والمتعطل أقعدته الزمانة والعلة عن الاحتراف» .

ويشارك هذين المخطوطين فى سقوط هذا الموضع مخطوطا سليمانية (داماد) وداماد الجديد . أما عن صلة المخطوط الأخير (داماد الجديد) بمخطوط العطار فسأتكلم عنها فيما بعد؛ وأما عن صلة مخطوط سليمانية (داماد) بمخطوط الأزهر فيكفى أن أشير هنا الى أن محقق المدخل (إيساغوغى)، مقدمة، ص (٧٥) ظنوا أنهما من أصل واحد، لأنهما يلتقيان فى أكثر من موضع. وثانيهما فى ص٧١ س١٠ — ١١ من كتابنا هذا وهو : « والأفضل أزيد على ما هو دونه ، فيكون الشر الأكبر الذى هو فى نفسه أخص أنقص فى الحقيقة » . ويشاركهما فى هذا النقص مخطوط سليمانية (داماد) وحده .

ومخطوط داماد الجديد الذى ذكرت آنفا أنه مرتبط بمخطوطى الأزهر والعطار من أنفس المخطوطات التى وصلت إلينا : خطه نسخى جميل ، وكلماته مضبوطة بالشكل ، وعناوين فصوله كتبت بخط كبير جدا . ويكفينا فى التدليل على صلة هذا المخطوط بمخطوط العطار أن أشير إلى قراءة عجيبة توجد فى كليهما . يقول ابن سينا فى ص ١٤ س ٣ من كتابنا هذا : كمعاقدة ، ولكن يظهر أن الأصل الأول الذى ينتمى إليه مخطوطا العطار وداماد الجديد كانت به حروف غير واضحة قرأها الناسخان « جمعاهذه » . وينفرد هذان المخطوطان أيضا بقراءات نذكر منها على سبيل المثال : ص ٧ س ٤ : الأولتين ؛ ص ١٠ س ٣ : يشرعه ؛ ص ٢٥ س ٥ : المقابلات ؛ ص ٥٥ س ٧ : لغرض ؛ ص ٦٢ س ٧ — ٨ : بتدبير يتدبره .

ويرجع مخطوط داماد الجديد إلى أوائل القرن الثامن الهجرى . وقد كتب فى آخره بخط ناسخه أنه اتفق إنجازه فى مستهل ربيع الأول من شهور سنة عشرين وأربعمائة ، وجاء فى هامش آخر صفحة منه : « بلغ قراءة

ومقابلة وأنا مؤلفه أبو علي الحسين الشهير بابن سينا . . . بثالث رغب ٤٢٢هـ» .
ولما كان المخطوط الذى وصل إلينا لا يمكن أن يكون من القرن الخامس الهجرى ، ولا يمكن أن يكون قد قرئ على ابن سينا نفسه لأن به مواضع كثيرة قد سقطت سهوا من الناسخ ولم تصحح عند المقابلة ، فمن المحتمل — إن أردنا أن لا نرمى الناسخ بجريمة التزوير والتزييف — أن نعتبر أن التاريخ المذكور فى المخطوط وأن الحاشية المكتوبة فى الهامش كانا فى المخطوط الذى نقل عنه مخطوطنا ، وأن الناسخ — وهو بالتأكيد غير محترف — قد نقل حرفيا ما وجد أمامه .

وهناك فصيلة أو عائلة ثانية من المخطوطات التى وصلت إلينا تتميز عن العائلة السابقة التى مثلنا لها بمخطوطات الأزهر والعطار وداماد الجديد ؛ وهذه الفصيلة الثانية تتمثل بأوضح بيان فى مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى ؛ وينتمى إليها أيضا مخطوط دار الكتب المصرية (٨٩٤ فلسفة) .

فمخطوط سليمانية (داماد) مخطوط ثمين حقا ، كتب بخط واضح قليل النقط ، غير أنه إذا نقط فكثيرا ما يفعل ذلك بعناية ودقة ؛ وهو خال من الشكل ، ولكنه يضع أحيانا علامة التشديد . ولسنا نعرف اسم ناسخه ولا مكان نسخه ؛ ولكن ذكر فى آخره أنه فرغ من نسخه سنة ٨٣٤ هـ . وقد فقدت منه أوراق أشرت إليها فى موضعها من كتابنا هذا .

أما مخطوط المكتب الهندى فقد كتب فى كشمير عام ١١٤٨ هـ نقلا عن نسخة ترجع إلى سنة ٨٩١ هـ ، كتبه ناسخ متمرن بخط نسخى واضح منقوط دائما . وقد قوبل على نسخة أخرى تنتمى إلى فصيلة (ب ، ح ، سا) السالفة ، وقد كتبت القراءات الجديدة والتصحيحات تارة فى الهامش وتارة فوق الكلمة أو تحتها .

ومما يدل على الصلة الوثيقة بين مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى ، ويبرهن فى الوقت نفسه على أنها من عائلة متميزة ، انفرادهما دون بقية المخطوطات

بقراءات كثيرة ، يثير بعضها اهتماما شديدا ؛ ومن هـــذه القراءات : ص ٥ س ١٠ : كله ؛ ص ١٢ س ٥ : فالعمود ؛ ص ١٦ س ١٧ : به ؛ ص ٢٤ س ١١ : فضيلة ؛ ص ٢٧ س ٥ : نفس ؛ ص ٢٩ س ١٢ : فاذا ؛ ص٢٩ س ١٥ : بما ؛ ص ٣٠ س ٧ : تعاطى ؛ ص ٣٠ س ٣ : وليس ؛ ص ٣١ س ١ : المخاطبة ؛ ص ٣١ س ٢ : أكثرية ممكنة ؛ ص ٤٢ س ٥ : فيها .

وابتداء من ص ٤٤ يكثر انفرادهما بقراءات وسقوط ألفاظ بعينها من كليهما ؛ نذكر منها الأمثلة الآتية :

ص ٧٠ س ١٢ : الجسم؛ ص ٨٥ س ٥ : خلافه؛ص ٨٧ س ٥ : الحلم؛ ص ٩٢ س ٢ — ٣ : فعل مثله فعلا ؛ ص ٩٢ س ٩ : استكره ؛ ص ٩٨ س ٦ : وهم ؛ ص ١١٤ س ٦ : اليدين ؛ ص ١١٥ س ٨ : مما يفعله من القبيح ؛ ص ١١٨ س ٢ : بحسب قوله ومخالفته للواجب حين يقول ؛ ص ١٢٦ س ١ : كما فى المشاجرة إلى اليمين ؛ ص ١٣٨ س ٦ : فان الكسل.

وأحسب هذه الأمثلة كافية لإثبات الصلة الوثيقة التى تربط بين مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى .

ولكن ناسخ مخطوط المكتب الهنـدى قد أتيح له أكثر من أصل واحد . ولذلك نلحظ تشابها بين مخطوطى المكتب الهندى ودار الكتب(٨٩٤فلسفة)[١]

وهذا المخطوط (دار الكتب رقم٨٩٤ فلسفة) يرجع إلى القرن الحادى عشر، وهو مكتوب بخط تعليق دقيق ، خال من النقط والشكل ، صعب القراءة

---

(١) أنظر ص ١٤٩ س ٨ : الإنسان ، بالإنسان ؛ ص ١٥٠ س ٣ : بسبب شر ؛ ص ١٥٠ س ٨ : ليس ؛ ص ١٥٠ س ١٢ : والنقمة وذو ؛ ص ١٥١ س ١٦ : بل ؛ ص ١٥٣ س ٨ : أمن .

على المبتدئ ، ولكن بينه و بين مخطوط المكتب الهندى ارتباط ، كما يتفق مع مخطوط نور عثمانية فى بعض القراءات ..

بقى علينا أن نستعرض ثلاثة مخطوطات هى : مخطوط المتحف البريطانى . ومخطوط نور عثمانية ومخطوط دار الكتب المصرية (٢٦٢ فلسفة) . وقد آثرنا بحثها معا ، لأنها متصلة فيما بينها ، ولكنها لا تكون فصيلة قائمة بذاتها .

فمخطوط المتحف البريطانى قد يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو مكتوب بخط نسخى منقوط دائما ، ولكن نقطه لا يوثق به فى كل حالة ، و إن بقيت فيه قراءات ممتازة ، أذكر منها فى ص ١٨٩ س ١٣ : تخلى ، التخلى ، وهى القراءة التى تتفق والنص اليونانى ، وكذلك فى ص ١٣٢ س ٥ : يتطانزون .

و بين مخطوطى المتحف البريطانى ودار الكتب (د ١) صلة ما ، فهما يقسمان المقالة الثالثة إلى سبعة فصول ، و يتركان أول المقالة بدون عنوان ، وكأنه مقدمة .

أما مخطوط نور عثمانية فالأغلب أنه يرجع إلى القرن العاشر وليس به ذكر لناسخه ولا مكان نسخه ، وخطه نسخى ونقطه قليل جدا حتى كأنه غير منقوط . و بينه و بين مخطوط المتحف البريطانى تشابه كبير . وكذلك نجد فيه قراءات عديدة تربطه بمخطوط دار الكتب (د ١) ..

أما مخطوط دار الكتب (د ١) فقد كتب عام ١٣٣٧ هـ ، ١٩١٩ م بأيدى نساخ مختلفين من نسخة تصعد إلى سنة ٩٩٢ هـ . وأصل هـــذا المخطوط ، على ما سمعت ، نسخة ثمينة كان يملكها والد الدكتور محمد نور الدين المحامى بالقاهرة ، ولكنها بيعت إلى أحد الأجانب وأخرجت من الديار المصرية . ولو أن دار الكتب المصرية أمرت بتصوير الأصل ، لأعطتنا نسخة يمكن الاعتماد عليها . أما المجلدات التى تقتنيها الآن فقد أفسدها النساخ الذين لم يكن لهم من هم إلا السرعة . ولذا صرفت النظر عن هذا المخطوط ولم أذكره إلا إذا كان هناك فائدة محققة .

الفن الثامن

من

الجملة الأولى

من

المنطق

ريطوريقا

أربع مقالات

المقـالة الأولى

سبعة فصول

فصل [الفصل الأول]

فى منفعة الخطابة

قد سلف لك الفرق بين الصنائع القياسية الخمس ، واستبنت صورة التصديق اليقين ، وصورة ما يقاربه ، وصورة الإقناع المظنون ، وعلمت مفارقة الإقناع للوجهين الأولين ، وتحققت أن للإقناع درجات فى التأكد والوهن ، وبان لك أن الصنائع الحائمة حوم التصديق أربع من الخمس ، وأن المغالطية مرفوضة ، وأن الجدلية قليلة الجدوى على الحكماء إلا بالطرق المشتركة بينها وبين البرهان ، وإلا بالارتياض وبالإقناع فى المبادئ ، وإلا فى تخطئة مخالفين للحق من نفس ما يسلمون ، وأن الجدلية أيضا يسيرة الفائدة على العامة ، فإنها وإن كانت مستوهنة ضعيفة بالقياس إلى الصناعة البرهانية ، فهى متينة صعبة بالقياس إلى نظر العامة ، وأن العامة — بما هم عامة — تعجز عن تقبل الجدل إلا إذا صاقب باينه حدود الخطابة ، وأن الجدل ، إذا ألزمهم شيئا ، وأذعنوا للزومه ، خالوه مغالطة أضلتهم ، أو شيئا ليس يستوى لهم انكشافه ، فهم فى حيرة منه ،

---

(١) فصل : فصل أ ~ ب : الفصل الأول م ، س ، هـ (٣) بين : بين بين د || استبنت : استثنيت ب ، دا (٣—٤) التصديق اليقين : التصديق واليقين دا : اليقين ن ، هـ (٤) يقاربه : يقارنه هـ ، دا (٥) للاقناع : الاقناع د (٦) مرفوضة : مرفوعة (؟) د : موصوفة ب (٧) بالطرق : بالطريق م || بينها : سقطت من م (٨) بالارتياض : بارتياض د || مخالفين : المخالفين ب ، س ، هـ (٩) يسيرة : يسير س (١١) نظر : فطن ب ، ح ، د ، سا || وان : فان ن ، هـ (ثم كتب تحت فا فى هـ : وا) || تعجز عن : تعرض عن هـ : سقطت من س || تقبل : قبول م ، ن : قبول قبل هـ (١٢) صاقب : إصاب م : اضافت ن : اضاقت دا || باينه : بلنه د ، س : بلنه هـ : بلينه ح : ناسه ب : ثانيه دا : ناسه ن : بلنيه م ، بلنه سا || شيئا : سقطت من ن ، هـ (١٣) أضلتهم : سقطت من ن || أو : و د || فهم : سقطت من ن

ونسبوه إلى العامل بفضل القوة لا بفضل الصواب ، والمسكوت عنه للحيرة ولقصور المُنة ، لا لمصادفة الموقع . فيكون عندهم أنهم لو تيسرت لهم نُقْلة عن درجتهم إلى فضل استظهار بنظر واستبصار بعرفان ، لم يبعد أن ينقضوا ما سمعوه ويعلموا موضع التلبيس فيما عجزوا عنه . وبالجملة : إذا استقصروا أنفسهم عن شأو المفاوض بالقياسات الجدلية زالت ثقتهم بما أنتج عليهم ، فلم يعلموا أن الحق موجبه ، أو القصور مخيله .

فيجب أن تكون المخاطبة التى يتلقاها العامى بعاميته من الجنس الذى لا يسترفعه عن مقامه استرفاعا بعيدا كأنه متعال عن درجة مثله ، بل يجب أن يكون الفائق فيها فائقا فى الباب ، أعنى أن يكون المقتدر على إجادته معدودا فى جملة مخاطبى العامة ، لكنه أثقف منهم من غير مجاوزة لحدودهم .

وليس تبقى لنا صناعة قياسية تناسب هذا الغرض غير الخطابة . فلتكن الخطابة هى التى تعد نحو إقناع الجمهور فيما يحق عليهم أن يصدقوا به . ولتتضع عن نفع يعود منها على الحكمة أو على الجدل .

ولما كان المخاطب إنسانا ؛ وكل إنسان إما خاصى ، وإما عامى ؛ والخاصى لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق الخواص إلا بالبرهان ؛ والعامى لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق العوام إلا بالخطابة ؛ فالصناعتان النافعتان فى أن يكتسب الناس تصديقا نافعا هما : البرهان والخطابة .

(١) العامل : العامه س (٢) لمصادفة : المصادمه سا (٣) فضل : أفضل م (٤) سمعوه : سمعوا س (٦) يعلموا : يعلمون ب || موجبه : موجبة ، م هـ || القصور : لقصور ب ، د || مخيله : مخيلة م ، هـ : محلته د (٨) يسترفعه : يسترفع ب ، ح (هناك فى ح محاولة لتصحيح الكلمة) || مقامه : مقاومة م (١٠) منهم : منه م : سقطت من ن (١٢) تعد : سقطت من م (١٣) الحكمة : سقطت من د (١٥) بالبرهان : بالبرهانى ح

وأما الجدل فينتفع فى أن يغلب المحاور محاوره غلبةً . وأما أن يفيده تصديقا ينفعه ، فهو فى بعض حواشى الصناعة ، دون أُسها ، أو بما يعرض عنها ، لا لأنها جدل . وليس قصد الغلبة هو بعينه قصد إفادة التصديق . فإن السوفسطائية تقصد الغلبة ، ولا تقصد إفادة البتة . وكذلك المفاوضة الامتحانية والمحاورة العنادية . ولو أريد بالجدل الدلالة على الصدق ، لما كانت الصناعة متجهة إلى المتقابلات ، ومبنية على المسلمات . وحيث يراد بالجدل إقناع المتعلم فى المبادئ ، فليس يراد أن يفاد تصديقا جزما . فإن المعلم يكون قد جانب فيه طريقة من يعلم ، وجنح إلى سيرة من يغر ، وآثر مذهب من يغش ، إن أوهم ذلك وكذب فيما يقول . بل غاية غرضه فى ذلك أن يزيل عن نفس المتعلم الاستنكار ، ويشعره قرب الوضع من الإمكان ، ويميل بظنه إلى طرف واحد من طرفى النقيض ومثله .

وإن كان من العامى تصديقا ، فليس يكون من الخاصى تصديقا . فإن الخاصى قد تمت منه الإحاطة بأن تصديق مثله إنما هو بالحق ، وأنه لا تصديق له بما فيه بعدُ إمكان عناد . وأما تصديق العامى فليس من شرطه أن ينمحق الشك معه . ولذلك من شأن العامى أن يقول لمخاطبه : صدقت وأحققت . وليس من شأن الخاصى أن يقول فى مثل ذلك لمخاطبه : صدقت وأحققت .

---

(١) محاوره : محاورة م || غلبة : غلبةً ح (٢) أو : و س (٥) المحاورة : المجاوره س || الدلالة : الدالة م || الصدق : التصديق ن (٦) المسلمات : المتسلمات ب ، ح ، د ، س ، سا (٧) تصديقا : تصديق د || جزما : جزء ما د : جزئيا ح : جزما هـ (٨) يغر : يغير س (١٠) الاستنكار : الانكار ح (١١) مثله : ميله ح (١٣) منه : فيه ب : له من س : له منه هـ (١٥) ولذلك : وكذلك ح ، ن || لمخاطبه : المخاطبة م ، هـ ، سا : سقطت من ن (١٥–١٦) وليس ... وأحققت : سقطت من ح (١٦) لمخاطبه : المخاطبة م ، ن ، سا

وليس لقائل أن يقول : إن التصديق أعم من التصديق الخاصى ، فيكون المتعلم ، إذا أقنع فى المبادئ كيف كان، فقد أفيد التصديق المطلق ، و إن لم يفد التصديق الخاصى. فإنا نجيبه : أن الخاصى لو وقع له بمثل هذه المعاملة تصديق من جنس التصديق العامى ، لكان يحق علينا أن نقول : إن هذه المخاطبة تفيده تصديقا ، و إن لم يكن تصديقا خاصيا . لكن الشاعر بالتصديق الخاصى والمستعد له ليس من شأنه أن يقع له التصديق البتة ، إلا على نحو التصديق الخاصى والشبيه به الذى لا يخطر مقابله بالبال خطور مايجوز وجوده. فما خرج عن ذلك أو لم يناسبه ، لم يقع له تصديق به . وأما العامى فلا يشعر بذلك ، بل يأخذ الأمر مصدقا به ، إذا مالت إليه نفسه ، و يتحرى أن يميط المقابل عن ذهنه . و إن لاح له جوازه، فيكون ميل نفسه إليه مقارنا للتصديق وعلة له ، و إن لم يكن نفس التصديق . فإنه إذا كان ميل نفس مع شعور بجواز النقيض مخطراً بالبال مساعداً على أنه لا يبعد أن يكون، فليس بعدُ هناك تصديق ولا ظن مؤكد ، بل ميل ظن . فإذا انعقد الرأى ، وجعل النقيض — مع إمكان كونه عند المستشعر — فى حكم ما لا يكون، كحكمنا على كثير مما يمكن عندنا كونه بأنها لا تكون ، فحينئذ يكون تصديقا . وميل النفس يوقع التصديق عند العامى

(١) أعم من التصديق : سقطت من م || الخاصى : العامى ن (١ — ٣) فيكون المتعلم ... و إن لم يفد التصديق الخاصى : سقطت من م (٢) إذا أقنع : إذا قنع س ، ه (٣) المعاملة : العامة م (٤) العامى : + دون الخاصى د : العام س : سقطت من ن || تفيده : تفيد م (٥) تصديقا : + خاصا ح : + خاصيا ب ، ن ، د ا ، سا : وتصديقا س (٧) فما : فيام ، ه (٨) به : سقطت من د || وأما : و م : ناما ه (١٠) مقارنا : مقاربا ه ، سا : مقارنا ب ، د ، ن (١٢) مخطرا : مخطرب ، ح ، د ، ن || مساعدا س : مساعد بقية المخطوطات || يبعد : نعد ب ، ح (ثم صحح) ، م ، ن ، سا || لا يبعد ... مع إمكان كونه : سقطت من د (١٣) ميل : مثل س (١٤) كحكمنا : لحكمنا م || مما : ما م || يمكن : سقطت من ح || بأنها : بانهم ، ن ، ه ، د ا (١٥) وميل : مثل س

ويمقت إليه اعتقاد أن طرفه الآخر يكون ، وإن كان جائزا عنده أن يكون . ولا يفعل ذلك بالخاصى . فإن كان المتعلم فى درجة العوام ، والمعلم فى درجة المروجين ، كان ذلك يصدق من حيث هو عامى ، لا من حيث انتقل إلى التخصيص ؛ وكان هذا يروج من حيث هو مغالطى ، لا من حيث هو مجادل ، أو معلم . على أن المناقشة فى هذا مما عنه مندوحة . فلنضع أن هذا النوع من استعمال قوانين الجدل موقع للتصديق. إلا أن هذا النوع ليس من الأغراض الأولية للجدل، بل هو من الأمور المتعلقة بالجدل والمنافع المستدرة عن صناعة الجدل. ولربما نفعت صناعة فى غير ما أعدت له . فإذاً الغاية القصوى فى الجدل هى الإلزام . ولربما حسنت معونته على التصديق إما مع العامى إذا ترافع عن العامية يسيرا ، فأريد أن يحبب إليه عقد أو يبغض عليه رأى ، من غير أن تعم منها هذه المعونة جماعة المنسوبين إلى العقل من الجمهور كلهم، بل أفرادا منهم، كأنهم خواص ، وكأنهم مذبذبون، لا إلى الخاصة حقا ، ولا إلى العامة حقا ؛ وإما مع المتعلم إذا أريدت منه السلاسة لقبول المبادئ ، من غير أن يقتصر به عليه ، أو يوهم كفاية له فيه .

وكما أن المخاطبة البرهانية لا يبعد أن يراد بها الغلبة نفسا ، وكذلك المخاطبة الخطابية ، فكذلك المخاطبة الجدلية لا يستنكر أ يعدل باستعمالها عن جهتها

(٢) والمعلم : + الأول ب (٣) يصدق : تصديق ح ، م ، ه ، ن، د ا (٤) مجادل : محال س (٦) للتصديق : التصديق م (٧) المنافع : المواضع س || المستدرة : المستديرة ح : المستفيدة م ، د ا (٩) ترافع : ترفع ح (١٠) عقد : عقداب ، م، ن ، د ا || يبغض : يتحص ح : متحص س || رأى : رأيا ب ، م، ن ، د ا (١١) كلهم : كله س ، ه || أفرادا : أفراد ح || كأنهم : كانوا د (١٢) مذبذبون : متبدس س (١٣) أريدت : أريد م (١٤) أو : و م || فيه : فيها م (١٥) نفسها : فى نفسها م ، ن || وكذلك : ولذلك ن (١٦) الخطابية : + فكذلك المخاطبة الخطابية س || فكذلك المخاطبة : سقطت من م || الجدلية : بالجدلية م

إلى جهة التصديق . وقد نطق الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذى هو تنزيل العزيز الحكيم بمثله ، فقال : « ادع إلى سبيل ربك » أى الديانة الحقيقية « بالحكمة » أى بالبرهان ، وذلك ممن يحتمله « والموعظة الحسنة » أى الخطابة ، وذلك لمن يقصر عنه « وجادلهم بالتى هى أحسن » أى بالمشهورات المحمودة . فأخر الجدل عن الصناعتين لأن تينك مصروفتان إلى الفائدة ، والمجادلة مصروفة إلى المقاومة . والغرض الأول هو الإفادة ، والغرض الثانى هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة .

فالخطابة ملكة وافرة النفع فى مصالح المدن ، وبها يدبر العامة .

فصل [الفصل الثانى]

فى عمود الخطابة وأجزائها والتفريق بينها وبين الجدل

الخطابة قد تشارك الجدل باعتبار ، وتشاكله باعتبار . أما المشاركة فمن جهتين : إحداهما فى القصد، والثانية فى الموضوع. أما المشاركة بالقصد فلأن كل واحد منهما يروم الغلبة فى المفاوضة . أما القائس فبالإلزام ، وأما الآخر

---

(١) بجهة : سقطت من ح (٣) بالحكمة : سقطت من م || ممن : لمن ب : مع د
(٤) لمن : لم م (٥) بالمشهورات : المشهورات س (٥) تينك د ، ن : ذينك ب، ح، س، هـ، سا
(٨) فى مصالح المدن : سقطت من ن || المدن : البدن م || يدبر : يدير م : يدين ح : تدبير هـ
(٩) فصل : فصل ب َ ب : الفصل الثانى س : فصل ٢ هـ (١٠) أجزائها : أعوانها ب || التفريق : الفرق س ، ن، هـ (١١) أما : و د (١٢) إحداهما م، سا : أحدهما ب، ح، د، س، هـ، ن || الثانية م، ن : الثانى ب ، ح ، د ، س ، هـ ، سا || أما : وأما س || بالقصد : فى القصد د || فلأن : ولان د (١٣) كل : كلا ن || واحد : سقطت من ن || منهما : منها ب ، هـ

فبالانفصال . وإن كان فى الخطابة غرض آخر هو غرض القائس ، وذلك هو إيقاع التصديق ، وكان الآخر لا يكفيه فى كمال فعله أن يقاوم المقدمات والقياس فقط ، بل وأن يعود قائسا على مقابل نتيجة الخصم فيبين كذبه .

والجهة الثانية من الجهتين الأوليين أنه ليس ولا لواحد منهما موضوع يختص به نظره . أما الجدل فقد علم أمره . وأما الخطابة ، فإن العامة لا يهتدون إلى تمييز الموضوعات بعضها عن بعض ، وتخصيص الكلام فى موضوع مبنى على مباد تليق به وحده ، على ما توجبه الصناعة البرهانية . بل الخطابة فى ذلك كالجدل . وإن كان الجدل التفاته الأول إلى الكليات ، والخطابة التفاتها الأول إلى الجزئيات . على أن لها أيضا أن تتعاطى الكلام فى الكليات من الإلهيات والطبيعيات والخلقيات . فهذا هو المشاركة .

وأما المشاكلة ، فلأن مبادئهما جميعا المحمودات . لكن الجدل محموداته حقيقية ، والخطابة محموداتها ظنية .

ولما كان كل واحد من الجدل والخطابة متعرضا لكل موضوع ، صارا مشاركين للعلوم البرهانية فى موضوعاتها من وجه ، فحصل أيضا بينهما وبين العلوم مناسبة ومشاكلة .

وهذه الصناعة قد يتعاطى أفعالها كل إنسان، وتجرى بينهم فيها مفاوضات، تبين لك بأن تتأمل ما يختلفون فيه من مدح ، أو ذم ، أو شكاية، أو اعتذار،

---

(١) غرض (القائس) : الغرض د || القائس : للقايس ب ، د : للقياس م (١—٢) وذلك هو : وهو د || وذلك هو إيقاع التصديق ... ... والقياس : سقطت من م (٢) يكفيه : يكفى ن (٣) بل : سقطت من م || فيبين : + به س ، م ، ه (٤) الأوليين : الأولين ه : الأولتين ح ، سا || ولا لواحد : ولا واحد ن : واحد س (٤—٥) يختص به نظره : مختص بنظره د (٥) فإن : فلأن د ، س (٦) مبنى : مبنيا ح ، د ، س (٧) مباد : مبادى ح || على : سقطت من س (٨) وإن : فان ن || الأول : الأولى ن (٩) الأول : الأولى ن (١٠) الطبيعيات : الطبيعات م (١١) وأما : فأما ب ، م || مبادئهما : مبادىها م ، س ، ن (١٤) موضوعاتها : موضعاتها م || بينهما : بينها ح (١٦) وتجرى : سقطت من س || بينهم : سقطت من ح || فيها مفاوضات : مفاوضات فيها د (١٧) بأن : سقطت من م

أو مشورة . فمنهم من تصرفه فى بعض هذه المعانى أنفذ، ومنهم من هو متصرف فى جميعها ، ومنهم من ينفذ فى ذلك بملكة حصلت له عن اعتياد أفاعيلها من غير أن تكون القوانين الكلية محصلة عنده حتى يعلم لمية ما يفعله وتكون عنده أحكام صناعية مجردة عن موادها ، ومنهم من يجمع إلى الملكة الاعتيادية ملكة صناعية حتى تكون القوانين محققة عنده ، وهو الإنسان الذى أحاط بهذا الجزء من المنطق علما ، واكتسب الملكة بالمزاولة . والملكة الاعتيادية وحدها ، وإن كانت تنجح ، فلا عن بصيرة . والملكة الصناعية وحدها أيضا تكون فاترة الإنجاح غير نافذة .

وقد ذكر المعلم الأول : أن سلفه إنما كان مقامهم فى الخطابة مقام من له ملكة اعتيادية ، ولم تكن تميزت له صورة الملكة الصناعية ، ولا تكلموا فيها ولا خاضوا خوضا يعتد به . إذ كان أكثر ما تكلموا فيه هو النظر فى الأمور الخارجة عن عمود الخطابة .

وذلك لأن الخطابة لها عمود ، ولها أعوان . أما العمود : فالقول الذى يظن أنه ينتج بذاته المطلوب. وأما الأعوان : فأحوال أيضا وأقوال خارجة عن ذلك العمود . وذلك لأنه ، لما لم يكن الغرض فى الخطابة إصابة الحق ، ولا إلزام العدل بل الإقناع وحده ، كان كل مقنع مناسبا للغرض . وليس كل ما يقنع هو قول قياسى أو تمثيلى ، أو شىء مما يجرى مجرى ذلك . فإنك قد تقنع

(١) مشورة : مشهورة م (٢) عن : من ح (٣—٥) محصلة عنده حتى يعلم ... ... حتى تكون القوانين : سقطت من م (٣) وتكون : فتكون د ، س (٤) موادها : مرادها د (٦) بالمزاولة : + والمزاولة ه (٧—١٠) الصناعية ... ملكة : سقطت من م (٨) نافذة : نافذته ح ، ه ، سا : نافدة د (١٠) تكن : يكن له سا (١١) خوضا : سقطت من س : عرضا ه (١٤) أنه : سقطت من ن || خارجة : خارجا ب ، م : خارجتان ح (١٥) لم : سقطت من ن || لا : سقطت من م ، ب || إلزام : الالزام ح ، م ، ن (١٦) العدل : القول ه (١٦) مناسبا : [illegible] (١٧) هو : فهو ح || أو تمثيلى : سقطت من ح : او تمثل س

بما يحكم به المعروف بالصدق من غير أن تسومه إقامة البرهان، وتقنع بما يخبر به من تشهد سحنته وهيئته بما يخبر به، كالذى هيئته هيئة مرعوب مذعور، إذا حدثك بأن وراءه فتنة أو آفة. وكل من يحاول إقناع آخر، فإما أن يحاول ذلك بالشىء الذى من شأنه أن يقنعه به، وإما أن يجعله مستعدا للقناعة بما لولا الاستعداد أوشك أن لا يكون مقنعا.

والأشياء المقنعة: إما قول تروم منه صحة قول آخر، وإما شهادة. والشهادة: إما شهادة قول، وإما شهادة حال. وشهادة القول مثل الاستشهاد بقول نبى أو إمام أو حكيم أو شاعر؛ ومثل الاستشهاد بقوم يحضرون ويصدقون قول القائل مشافهة بأن الأمر كان؛ أو مثل الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بأن القول مقنع. فالأول شهادة مأثورة، والآخر شهادة محضورة.

وأما شهادة الحال: فإما حال تدرك بالعقل، أو حال تدرك بالحس. فأما الحال التى تدرك بالعقل فمثل فضيلة القائل، واشتهاره بالصدق والتمييز. وأما الحال التى تدرك بالحس: فإما قول، وإما غير قول. والقول مثل التحدى، ومثل اليمين، ومثل العهود. أما التحدى فكمن يأتى بما يعجز عنه، فيعلم أن دعواه دعوى صادقة، ولولا ذلك لما أيد من السماء بما ليس فى طباع البشر أن يوجد

(١) بما : بمام (٣) بان : ان ب || كل من : كل ما م، ن : كلما ب || اقناع : اقناعا د || فاما : اما س (٧) إما شهادة : سقطت من د || وإما : أو م (٨) أوحكيم : وحكيم د || بقوم : بقول قوم ن || قول : بمقول م : بقول ب، ن، ه (ثم كتب فوق الباء ح) (٩) بان : سقطت من ب (١٠) مأثورة : ما يوثره م، ن || الآخر : لاخر د || شهادة : شها ن (١١) أو : واما ح (١٢) فأما : واما س م، ه : فلها د || فمثل : مثل م || اشتهاره : إشهاره د، ن، ه || التمييز : التميزم، ن، ه (١٣) والقول : فالقول م، ن || مثل : فمثل سا (١٤) ومثل اليمين : سقطت من د || اليمين : التميز ه || فكمن : كمن م، ن (١٥) بما ليس : سقطت من ن || يوجد : يوجده س، ه : يوجدوه د، دا : يوجدو ن

بقواهم، ولكن يدعى أنه أعلم من إنسان آخر بالطب ، و إلا فليعالج هو معالجته. وأما اليمين فحالها معروفة . وأما العهود فهى أقاويل أيضا مدونة مكتوبة ، وهى شريعة ما ، يشرعها المتعاهدان على أنفسهما .

وأما الحال المحسوسة ، غير القول ، فمثل من يخبر ببشارة ، وسحنة وجهه سحنة مسرور بهج ، أو يخبر بإظلال آفة وسحنة وجهه سحنة مذعور خائف ، أو ينطق عن تقرير بالعذاب والثواب . فمن ذلك ما تكون الحال الشاهدة تتبع الانفعال النفسانى مثل السحنة والهيئة ؛ ومن ذلك ما تكون الحال الشاهدة طارئة من خارج مثل العقوبة أو المبرة .

وأما الحيل للإعداد المذكورة فتتوجه نحو من يراد إقناعه. ومن يراد إقناعه: إما المفاوض نفسه الذى تتوجه إليه المفاوضة ، و إما غيره . وغيره : إما ناظر يحكم بين المتحاورين ، و إما السامعون من النظارة . فههنا : قائل ، وقول ، وسامعون. فالحيلة الإعدادية: إما أن تكون بحيث تجعل القائل مقبول القول ، أو بحيث تجعل القول أنجع ، أو بحيث تجعل السامعين أقبل. فأما القائل، فأن يتكلف الاستشهاد بحال نفسه تكلفا، إذا لم يكن ذلك واقعا بنفسه ، وذلك أن يتكلف الدلالة على فضيلة نفسه ، أو يتهيأ بهيئة وسحنة تجعل مثله مقبول القول. وأما القول فإنه يحتاج تارة إلى أن يرفع به الصوت ، وتارة إلى أن يخفض به الصوت، وتارة إلى أن يثقل الصوت ، وتارة إلى أن يحد ، وتارة إلى أن تخلط فيه هذه الأمور . ولكل عرض أيضا ترتيب خاص .

---

(١) بقواهم : بقواه س، ه || أعلم : علم م (٢) اليمين : فاليمين م || فهى : هى م
(٣) ما : سقطت من س || يشرعها : يشرعه ح ، سا (٤) المحسوسة : + عن ب
(٥) بهج : بهيج م (٦) أو : و سا (٧) الحال : سقطت من د (٨) أو : و ح ، س
(٩) المذكورة : المذكور ح، س (١٠) وإما : اما ب || وغيره : سقطت من د || إما : فأما ح
(١١) فههنا : وهاهنا م : وفههنا ه (١٢) ان : سقطت من م (١٣) بحيث : سقطت من د || السامعين : السامعون م (١٥) فضيلة : فضله ب (١٧) يحد : يحده ح (١٨) عرض : غرض سا

وأما السامع فيحتاج أن يستعطف ويستمال حتى يجنح ويميل إلى تصديق القائل ، أو يرد إلى هيئة مصدق ، وإن لم يصدق . وكذلك الحاكم . وأما المناظر فيكفى منه أن يهيأ بهذه الحيلة بهيئة مذعن مصدق ، وإن لم يقع له التصديق .

وهذا التأثير يوجبه أمران : أحدهما ما يحدث انفعالا ، والثانى منهما يوهم خلقا . فإن الأخلاق تختلف بالناس ؛ فبعضها يجعل الإنسان أسرع تصديقا ؛ وبعضها يجعل الإنسان أميل إلى إيثار العناد . والانفعالات أيضا فإنها تقوم وقت ما تحدث مقام الأخلاق فى ذلك . فإن مَنْ انفعل بخوف ، واتقى عاقبة عناد ، كان أقرب إلى الشهادة . ومن رحم ، كان أدنى إلى التصديق . ومن أحب ، كان أخلق بأن يميل إلى معاونة المحبوب . ومن مدح وأعجب بنفسه ، كان ميله إلى مادحه الذى عجبه بنفسه وتصديقه إياه أكثر . ومن أغضب على إنسان ، كان أحرى أن يكذبه . ومن مكنت منه القسوة ، كان أجدر أن لا يذعن للرحمة . ويشرح جميع هذا من ذى قبل . وأكثر ما يستدرج من هذه الحيل قولى . فيكون إذاً فى الخطابة أقوال غير العمود المذكور : من ذلك أقوال يراد بها تقرير هذه الحيل ؛ ومنها أقوال يراد بها إيجاب التصديق بمقتضى الأمور المذكورة . مثال الأول : القول الذى يريد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين ليصدقوا بها ، أو القول الذى يثير به سخط

---

(١) يجنح : يجبح م ، ن (٢) مصدق : يصدق ن ، هـ (٣) المناظر : الناظر د ، س || فيكفى : وكفى د || يقع : يصح س (٤) وهذا : فهذا ب ، ن || ما : سقطت من س || يحدث : يوجب م ، ن (٥) منهما : + ما ب ، د ، ن || يوهم : سقطت من سا || بالناس : الناس ن (٧) فإنها : سقطت من د ، ن || من : ما م (٨) ومن : من د || أدنى : أدنا ح (٩) بأن : بمن ب (١١) مكنت : تمكنت ب ، د : تمكن ن ، دا (١٢) يشرح : لنشرح س ، هـ (١٣) الحيل : الحيله س || أقوال : أحوال د || العمود : المعمود ح (١٥) إيجاب : إيقاع ب : إيراد ح ، م ، ن (١٦) فضيلته : فضيلة ح ، س : فضة هـ || بها : سقطت من ن || أو : و د ، م ، ن

القاضى على خصمه . ومثال الثانى : القول الذى يروم به إثبات كون الشهادة مقنعة ، وإثبات كون المعجز حجة ، وإثبات كون الشهادة بينة زكية .

فيعود الأمر إلى أن الأقاويل الخطابية التى يراد بها التصديق ثلثة أصناف: العمود ، والحيلة ، والنصرة .

والعمود هو القول الذى يراد به التصديق بالمطلوب نفسه .

والحيلة هى قول يفاد به انفعال لشىء أو إيهام بخلق .

والنصرة قول ينصر به ما له تصديق .

فقد اتضح لك إذاً أن ههنا شيئا هو العمود ، وشيئا خارجا عنه ، وأن جميع ذلك صناعى .

وذكر فى التعليم الأول : أن السلف المتكلمين فى أصول الخطابة لم يزيدوا على أحكام تكلموا فيها متعلقة بالأمور الخارجية ، ولم يفطنوا للكلام فى العمود أصلا . فأما الأقاويل الانفعالية والخلقية فقد أكثروا فيها ، وكذلك ما يتعلق بالترتيب من الصدر ، والاقتصاص ، والخاتمة ، وجميع ما هو غير العمود مما ليس الغرض فيه نفس التصديق ، بل الغرض فيه استدراج السامع . فلو اتفق أن يصطلح الخطباء كلهم فى المدن كلها على ترذيل الخارجيات والاشتغال بالعمود ، كما كان قد اصطلح عليه فى عدة مدن فى زمان المعلم الأول ، لكان سعى أولئك الخطباء حينئذ قد بطل ، ولم يكن إلى ما دونوه من أصولهم

---

(١) القول : سقطت من م || به : سقطت من س (٥) والعمود : فالعمود س ، ه
(٦) يفاد : يراد م : يراد يفاد ن || لشىء : شىء د || بخلق : الخلق م ، ن ، ه (٧) والنصرة : ومعنى النصرة د : ويعنى بالنصرة ن ، ه (وقد كتبت النصرة فى هامش ه) || ينصر : خبر ه || له تصديق : لم نصدق ه (٨) إذا : سقطت من ح ، ن (١١) الخارجية : الخارجة بس (١٥) يصطلح : يصطلحوا م || ترذيل : ردىل د (١٦) كان : سقطت من س

فى الخارجيات حاجة ، بل كان كأنه مما يزيف ويسقط ، وكان مذهب الخطباء فى ذلك العصر مذهبين : مذهب تختص به بلاد من بلادهم يسوغ للخطيب استعمال كل مقنع من العمود ، ومن الحيلة ، ومن النصرة ؛ ومذهب يحظر ذلك كله ويحرمه ولا يسوغ أن يشتغل بشىء عدا القول المقنع . والصواب هو المذهب الأول . ومن لطف للتصرف فى ذلك كله ، واقتنى الملكة فيه ، عد فطنا لبيبا ، وحَسَنَ التأتى أديبا .

فصل [الفصل الثالث]

فى الأغراض التى تختص بالخطيب وكيفيتها

وكل خطيب يتكلم فى الأمور الجزئية ، فإنه يحتاج إلى أن يثبت كون شىء موجوداً أو غير موجود ، فى الحاضر أو الماضى أو المستقبل . وأما كون ذلك الشىء عدلا أو جورا ، نافعا أوضارا ، فضيلة أو رذيلة ، فربما لزمه أن يثبته ، وربما لم يلزمه .

---

(١) مما : سقطت من ب (٢) العصر : سقطت من د || مذهبين : مذهبان س || به : بها س، م (٣) الحيلة : الحلقية ن (٤) كله : سقطت من ح ، د ، س || عدا : عد س : عند ب (٥) لطف : لطلف س || للتصرف : التصرف ح ، س ، م ، د ا (٦) حسن : حسب هـ || التأتى : التانى م : الثانى ن : الباقى هـ (٧) فصل : فصل ٣ ا : فصل حـ ب : الفصل الثالث م (٩) شىء : الشىء ح (١٠) أو (غير) : و سا || الماضى : فى الماضى م : الغائب ح (١١) نافعا : أو نافعا ب ، د ، م || فضيلة : أو فضيلة ب ، د ، م || يثبته : يبينه ح ، سا

فإنه إن كانت الشريعة — إما المشتركة التى لا تنسب إلى شارع ، بل تنسبها العامة إلى العقل، فمثل قولهم : الإحسان إلى الآباء واجب، وشكر المنعم فرض؛ و إما الخاصة لقوم وأمة ؛ و إما ما هو أخص من ذلك كمعاقدة ومعاهدة — قد بينت أنه عدل أو جور ، فقد كفى المثبت لوجود الأمر إثباته كونه عدلا أو جورا . وكذلك إن كان الخطباء والأئمة قد قضوا بذلك تفريعا على الأصول. و إما إن كان لا حكم فيه ، فربما كان الأمر فيه موكولا إلى نظر الإمام والقاضى ،ولم يكن إلى الخصمين أن يتشاجرا فيه، و يتوليا إقناعا فى أمره ؛ور بما لم يكن ، بل كان عليهما أن يتشاجرا فى ذلك ، فأيهما أقنع الإمام والقاضى قضى له .وكان هذا القسم مما يقل وجوده و يعسر اتفاقه فى هذا الزمان ،وكان المستمر فى الأقاليم كلها هو تفويض الحكم فى أن الأمر عدل ، أو ليس بعدل إلى رأى الحاكم .

وأما النافع والضار فمن ذلك ما يعرفه الجمهور كلهم ، ومنه ما يعرفه خواص منهم . وكل فرقة تختص باستبصار فى ضرب من النفع والضر ومنه ما يكون الحال فيه خفيا . فما كان — مما يثبت الخطيب وجوده — ظاهر التأدى إلى النفع والضر، وكان ذلك الضرب من النفع والضرمشتهرا عند الجمهور،

(١) تنسب : تتسبب ح || تنسبها : نسبه ح ، س ، م، سا (٢) فمثل : مثل س ، م ، ه (كتب أولا فمثل ثم كتب خ فوق الفاء) (٣) هو : هى ن || كمعاقدة ومعاهدة : كمعاهدة ومعاقدة س ، ه : مدة ومعاهدة ن ، دا : جمعا هذه ومعاهدة سا ، ح (ثم كتب فوق معاهدة خ مع) : جميعا هده م (٤) فقد : قد ن || اثباته : اثبات ب ، س (٥) قد : يكون قد ن ، ه (ثم كتب تحت النون : يو) || والأئمة : أو الأئمة د : الأئمة س (٦) و إما : وامرا ه || فربما : سقطت من م (٧) يتوليا : سولنا د ، ن (٨) لم يكن : كان لم يكن ن || والقاضى : أو القاضى س ، م (٩) قضى : قضا ح : سقطت من س || وكان : فكان سا || القسم : سقطت من د || يعسر : يعزم (١٠) كلها : سقطت من م || أن : سقطت من م (١٢) كلهم : سقطت من م (١٣) فى ضرب : سقطت من م (١٤ — ١٥) ومنه ما يكون الحال فيه خفيا . . من النفع والضر : سقطت من دسا || فما : مما م || مما : سقطت من م ، ن ، دا (١٥) التأدى : البادى س || الضر : الضرر س || مشتهرا : مستمرا د ، م

لم يحتج الخطيب إلا إلى أن يثبت كونه أو لا كونه . وما كان خفى التأدية ، جلى النفع أو المضرة ، لزمه تصحيح التأدية فقط . وما كان خفى التأدية ، خفى النفع والضر ، لزمه إيضاح حال كونه نافعا أو ضارا . ففى مثل هذه المواضع يحتاج فيه إلى أن يبين أن أمرا يكون أو لا يكون . فإن كان نفس ذلك الأمر مؤديا إلى الغاية المطلوبة ، أو إلى ضدها ، بلا توسط شيء آخر ، لم يحتج إلى إثبات تأديته إلى النافع أو الضار ، بل ربما احتيج إلى إثبات كونه فى نفسه نافعا أو ضارا . وإن كان مؤديا بتوسط ، لم يكن بد من إثبات تأديته إلى النافع أو الضار ، إن لم يكن بينا . ويكون ذلك إلى الخطيب . ويكون إلى الحاكم أن يحكم بأن قوله أشد إقناعا من قول خصمه . ولا يكون إلى الحاكم أن يحكم فى ذلك بشيء هو عنده . اللهم إلا أن يكون ذلك أحكاما أخروية ، ليست أمورا دنيوية . فحينئذ إذا أثبت الخطيب كون أمر أو لا كونه ، قضى الحاكم أنه يجريه أو لا يجريه . ومعناه أنه نافع فى الآخرة أو غير نافع .

وأما الأمور التى يمدح بها أو يذم : فمنها ما يكون إيجابه للمدح والذم قائما فى الشريعة المشتركة ، والمشهور المستفيض كما يكون دفع الشر عن المظلوم فضيلة ؛ أو بالشريعة الخاصة كما يكون الصيام فضيلة ، والحج فضيلة .

(١) الخطيب : سقطت من ح || الا : سقطت من ب ، د ، ن || إلى : سقطت من م || أن يثبت : سقطت من س (٢) جلى : + به م || جلى النفع أو المضرة ... خفى التأدية : سقطت من ح || التأدية : الباديه س (٣) حال : سقطت من ح || حال كونه نافعا أو ضارا : الحال فى الأمرين جميعا س ، ه (فى هامش ه : ن حال كونه نافعا أو ضارا) || هذه المواضع : هذا الموضع س ، ه (٤) فيه : سقطت من ن || إلى : سقطت من د ، س || يبين : يتبين د ، (٦) إلى إثبات : سقطت من س (٧) وإن : فان ح ، ه : أو ب ، م ، ن ، د (٨) أو الضار : والضار ن || إن : فان ه || ويكون (ذلك) : فيكون س ، ه (ثم كتب تحت الفاء واو) (١٠) أخروية : آخرية د ، س : اخرية ح || ليست : ليس س (١١) أثبت : إنسد د || قضى : مضى م ، ١١ أنه : بأنه (١٢) غير نافع : + فلها س (١٣) يمدح : تمدح ح || أو : وما || يذم : تذم ح

ومنه ما يكون استحقاقه للمدح والذم غير بين ، فيحتاج أن يثبت كون الأمر محموداً ، أو مذموماً .

فقد تميز لك الموضع المفتقر إلى أن يتعدى فيه نفس إثبات الشيء أو نفيه إلى كلام آخر ، والموضع المغنى عنه . فإذا كان كذلك ، فكيف تغنى الأمور الخارجية فى إثبات أحكام كلية ، يحتاج إلى تصحيحها أحيانا ، إذا لم تكن الشريعة حددتها ، مثل أن كل ما كان كذا فهو عدل ، أو جور ، أو نافع ، أو ضار ، أو حسن ، أو قبيح ، أو عظيم ، أو صغير . حتى إذا صححت ، أدخل تحتها الأمر المثبت وجوده أو لا وجوده . فإن الأمور الخارجية تنفع فى أن يقنع فى الأمور الجزئية . وأما الأحكام الكلية فلا ينتفع فى إثباتها بأن يستدرج السامعون بالحيل الموصوفة ، وتكاد تكون الانفعالات النفسانية كلها إنما تتناول شخصا بعينه . فإن المخوف ، والمرجو ، والمحبوب ، والممقوت إنما يكون شخصا بعينه . وإن كان قد يخاف معنى كليا لنفسه ، فإن الواقع منه فى عرض الاستدراج أمر جزئى . على أن الأولى أن تكون الأحكام الكلية مفروغا عن التشاجر فيها ، وأن يكون الشارع والأئمة فرغوا من تحديدها . وإنما تكون التفريعات الجزئية مفوضة إلى الحكام أنفسهم ، دون المتنازعين . فإن القضاء على العدل ، والجور ، والمصلحة ، والمفسدة مما لا يفى به كل بنية وكل قريحة ، ولا القريحة الوافية به تقتدر على الفتوى الجامع للمصلحة إلا عن روية ينفق عليها مدة من العمر .

---

(١) فيحتاج : محتاج ح (٣) الموضع : الموضوع م (٤) عنه : فيه م ، ه (٥) الخارجية : بالخارجة س || إذا : فإذا ب (٦) كذا : كذى ح (٨) تحتها : فى بحثها م (١١) المخوف : + عنه ه || المحبوب : المحبين (١٢) كليا : كلى ح ، د ، س ، ه || منه : سقطت من ح || عرض : غرض ح (١٣) تكون سقطت من سا || مفروغا : مفروضا م || عن : من س (١٤) التفريعات : التعريفات س (١٦) بنية : بينة ح || القريحة : لقريحة د (١٧) الوافية : + الموافية م || تقتدر : + به س ، ه : يقتدر د : تقدر سا

فكيف يصلح لهذا القضاء كل من يصلح للحكومات الجزئية ؟ ولو صلح لذلك ، لكان الزمان الذى فى مثله يفصل الأمر بين المتشاجرين، يضيق عن إنشاء الرأى السديد فيه . وإذا لم يكن ذلك إلى الحكام ، فكيف إلى من يليهم من العوام ؟ فالقوانين الكلية موكولة إلى وضع الشارع . ولا بد من شارع من عند الله . وأما استعمال الكليات فى الجزئيات فيقوم به الحكام، حتى يكون غاية نظرهم إنما هو فى كون الأمر الجزئى ، وغير كونه ، سالفا ، أو حاضرا ، أو من ذى قبل . ويكون الحكم الكلى متقبلا من الشارع . فكما أن الحكام القاصرين عن رتبة الشارعين يقصرون عن وضع الشريعة، كذلك الشارعون لا سبيل لهم إلى الحكم فى جزئى جزئى بعينه مما لا يتناهى .

فهذه ثلثة أشياء : كون الأمر ولا كونه ، وهو الذى تَنْفُق فيه الحيل الاستدراجية فى تصحيحه . والثانى : الحكم الكلى ، وهو شىء مفروغ عنه ، ليس مما يستأنف إثباته ؛ وإن كان مستأنفا إثباته ، فليس للحيل الاستدراجية فى تصحيحه مدخل . والثالث : النتيجة الجزئية فى أن هذا الكائن كذا أو ليس كذا . وهذا أيضا فليس تنفع فيه الحيلة الاستدراجية. والوجه الأول، المعرض لنفوق هذه الحيل فيه ، فإن عموده غير هذه الحيل .

---

(١) يصلح : صلح سا (٢) الزمان : سقطت من هـ || يفصل : تفصيل د || الأمر بين : الأمرين د (٣) السديد : السد هـ || وإذا : وان س (٤) فالقوانين : والقوانين ب || ولا بد من شارع : سقطت من د (٥) الكليات : الكلى د ، س || هو : هى م (٦) وغير : أو غير سا (٧) الحكم : الحاكم د || متقبلا : مستقبلا ج (٨) سبيل : سبيلا م (١٠) فهذه : فههنا د || وهو : هو سا || فيه : سقطت من ب (١١) عنه : منه م (١٢) مما : سقطت من ب || وإن كان مستأنفا إثباته : سقطت من د (١٣) أو : و م (١٥) لنفوق : لتفوق هـ || الحيل : الحيلة د || فيه : + عموده ح : سقطت من س || الحيل : الحيلة د

فقد ظهر من هــذا أن المقتصر بتقنينه لقوانين الخطابة على تعليم هذه الأمور قد اقتصر من الأمر على صفحته الخارجة ، ولم يستبطن كنهه ، ولا أدرك حقيقته ، بل أكثر جدوى ما صنعه تعريف حيلة يتمكن بها من تصيير السامع على هيئة موافقة لقبول الحجة والإذعان للتصديق الذى يكتسبه صناعة . ونفس هذا التصديق إنمـا يتوقع من جهة العمود كالضمير لا غير . وقد عرفت أن الضمير ما هو . وإذا كان المعتمد هو الضمير ، فبالحرى أن لا يختلف حكم صناعة الخطابة فيما يراد به التفسير ، وهو التبيين ، على سبيل تصح فى المشورة ، والمشاجرة المبنية على المنازعة فى الشكاية والاعتذار . إذ العمدة فى جميع ذلك واحد ، وهو الضمير . وأما الحيل الاستدراجية فعسى أن ينتفع بها فى المشاجرة ، دون التفسير . وليس أيضا ينتفع به فى كل مشاجرة ، بل فى مشاجرة سوقيــة منبعثة عن معاملة فى أخذ ، وإعطاء ، أو ما يجرى مجراها . وأما المشاجرات فى الأمور السياسية التى تقع بين أهل مدينة ومدينة ، وتقع بين متولين لسياسة مدينة ، فإنها عالية عن خلطها بهذه الحيل الخارجة ، وإنما مجراها مجرى التفسير .

فلو كانت الخطابة مبنية على هذه الحيل الخارجية ، لكان التفسير لصناعة ، والمشاجرة لأخرى . ولكانت المشاجرة فى الأمور العظام لصناعة ، والمشاجرة

(١) بتقنينه : كتب فوقها بنفسه فى ح (٢) الخارجة : الخارجية د || يستبطن : يستنبط ح (٤ — ٥) الذى . . . . التصديق : سقطت ن م (٤) للتصديق : التصديق س || يكتسبه : تكسبه ب ، ح ، س || نفس : سقطت من د (٧) صناعة : سقطت من م || التفسير : السفير عن المدح ب || التبيين : التبين ح ، د ، ن ، هـ || المشورة : المشهور ن (٨) العمدة : العمد د : كتب فوق العمدة العمود فى ح (١٠) التفسير : المشورة ب || به : بها م ، ن ، هـ : فى ح كتب أولا به ثم كتب فوقها بها || فى مشاجرة سوقية : المشاجرة السوقية م ، ن (١١) وإعطاء : أو إعطاء د || أو : وسا || المشاجرات : المتشاجرات ن (١٢) بين : من م || متولين : متواليين ب : متولين د ، س ، ن (١٣) الخارجة : سقطت من د || التفسير : المشورة ب (١٤) الخارجية : الخارجة ن ، هـ || التفسير : المشورة أو المدح ب (١٥) لكانت : كانت ب ، ح ، ن

السوقية لصناعة . ولم تكن الخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن فى جميعها . بل الخطابة إنما هى خطابة بالضمير . وهذه الحيل بعضها معدات ، و بعضها تزايين وتزاويق يحسن به الضمير ، ويفخم به شأن الدليل . وما أحسن من يستعمل هذه الخارجيات فيما يراد فيه التفسير ، أو يجعلها قانون الصناعة ، ويغفل العمدة التى عليها العمل . والتفسير قد يشارك المشاجرة فى الموضوع ، كما يتفق أن يقدم إنسان على فعلة هى زلة ، و بإزائها جزاء . فإن المفسر قد يشير فى ذلك بما ينبغى أن يفعل به . والحاكم قد يحكم بكون تلك العلة عدلا أو جورا من تلقاء نفسه بما توجبه السنة التى ينصرها أو الرأى الذى يعتقده . وهذا للحاكم من حيث هو حاكم بين المتشاجرين . وأما الحكم على ما ينبغى أن يفعل فى مجازاته فليس للحاكم ذلك من حيث هو حاكم بين المتشاورين ، بل للحاكم . وعليه أن يحكم بتفضيل أحد الرأيين على الآخر ، و يكون ذلك الذى يحكم به رأيا تولى الخطيب إثباته . فإن هذا التفسير ، و إن كان أخس من الحكومة بسبب أنه عمل من هو أخس ، فإن الخصم فى مجلس القضاء أخس من القاضى ، و بسبب أنه نتيجة رأى إنسان دون الشارع ، وذلك نتيجة رأى الشارع ، والشارع هو الإنسان الكبير الذى لا يدانيه إنسان ، و بسبب أنه فى الفرع وهو الجزاء ، ليس فى الأصل الذى هو الاستحقاق ،

---

(١) الخطابة : للخطابة ب ، ن ، ه || تتكلف : تتكالف د (٢) وهذه : فهذه ب || تزايين : مزايين د (٣) تزاويق : تزاوير د : تزاويف س || به : سقطت من سا || يفخم : ىىخصر س || ما : لم د : أما ن ، ه ، دا || أحسن : يحسن د (٤) فيه : به م || التفسير : المشهورة ب (٥) التفسير : المشورة ب || المشاجرة : سقطت من د (٦) المفسر : المشير ب ، م ، ن ، ح (كتبت المفسر فى ح ثم كتب تحتها : ح المشير) || بما : بها م (٧) العلة : الفعله د || عدلا أو جورا : جورا أو عدلا س ، ه || أو جورا : وجورا ب (٨) أو الرأى : والرأى ح : + الرأى س || للحاكم : الحاكم ب ، ح (١٠) المتشاورين : المتشاجرين د : فى ح كتب أولا المتشاورين ثم كتب جرين فوق ورين (١١) و يكون : وقد يكون ه || ذلك : + الحكم س || رأيا : رأى س ، ن ، ه (١٢) التفسير : المشورة بخ || أخس : أحسن ب ، م ، ن || أخس : أحسن ب ، م ، ن — قارن الترجمة العربية القديمة ٢ ب ١ — ٢ : "ثم التفسير على ذوى الجنايات أخس من دلالة العدل فى الحكومة وهو أكثر وأعم" (١٤) والشارع : سقطت من م

فإنه ، أعنى التفسير ، أوضح للجمهور وأشيع وأعم . إذ لكل واحد منهم مدخل فى مشورة ، وليس لهم مدخل فى حكومة أو وضع شريعة . ولهـذا السبب ما يعرض أن يكون الحاكم بين المتشاورين ، إذا حكم ، لم يلبث أن ينكشف للناس عدله فى القضاء، أو ميله ، إذا كان حكمه حكما فى أمور أهلية غير وحشية ، وفى أسباب معلومة غير مجهولة .

وأما فى التشاجر فإنما يحكم بما عنده و يراه و بما يجهله جل الجمهور، لأن معوله فى ذلك هو على رسم السنة. ولذلك ما ينكتم ميله فيه . ولذلك ما يلزم الرافع إليه ظلامته أن يتحرز عنه فى الوحشيات الغريبة ، لا فى المألوفة المعلومة . فإن شاء سلم الاحقـاق لأحد الخصمين ميلا وتبرعا ورفض من الحكم ، وخصوصا فيما يكون إليه أن يقيس و يرى رأيه .

والشارعون معنيون دائمـا بتحريم مجاوزة ما فى كتابهم على الحكام، وتحذيرهم إياه ، عالمين بتمكنهم فى الأحكام التشاجرية ممـا يميلون إليه . وأما فى الأحكام المشاورية ، فقلما يفترض فيها قوانين من عنـد أصحاب الشرائع ، إلا فى أمور عنادية وجهادية ، و يكلون أمر ما خلاه إلى الناس . فيكون لجمهور الناس بأحكامه بصيرة . ولذلك ما يصرف الحـاكم وُكْده إلى أن يكون مع الأصوب من الرأيين لئلا يفسد رأيه ولا يسقط عن مرتبة الاستقصاء والتصدير للحكومة .

---

(١) التفسير: المشورة ب || أشيع : اشيع س ، ه : أشيع ب ، م : أسبغ ح : اسع د ، سا : أشنع د ا || اذ : اذا م (٢) مشورة : المشورة د (٤) ميله : مثله د || اذا : اذ ب (٦) لأن : ولأن ب ، د (٧) هو : سقطت من د ، س || فيـه : سقطت من م || ولذلك : وكذلك م : سقطت من د || ما : سقطت من د (٨) فى المألوفة : المألوفة ب ، ح ، د (٩) الاحقاق : الاحتقاق د || مرح : من بقية المخطوطات (١٢) اياه : اياها ه : اياهم س || التشاجرية : المتساجره س || ممـا : فيما س ، ه || يميلون : يليلون د (١٣) يفترض : يفرض م (١٤) عنادية : عبادية ب ، س ، ح || أمر : أمرها ح || خلاه : حلاله سا (١٥) وكده : جهده وكده ه (١٦) الرأيين : المرأيين ب || لئلا : لأن لا ن || يفسد : يفشل ب ، سا ، ح (كتب فوقها : خ يفسد) || التصدير : التصدر د ، سا

ولهذا ما تقل منفعة الخارجيات فى استدراج الحاكم حيث يفسر ، ولا تقل فى استدراج الحاكم حيث يتشاجر .

وكأنك الآن قد استبنت قلة غناء الخارجيات، واستوجبت صرف الشغل إلى الآلة الصناعية الأهلية ، وهو ما يوقع التصديق من حيث هو موقع للتصديق بالقياس المحذوف كبراه ، وهو الذى يسمى تفكيرا وضميرا .

وقد عرفت التفكير أنه جزء من قياس ، ذلك القياس لو تم لكان مظنونا به أنه جدلى. وذلك لأن الجدلى هو الذى يكون من محمودات حقيقية، والخطابى هو الذى يكون من محمودات بحسب بادى الظن. ولما كان النظر فى القياس الجدلى الذى يسمى مرارا كثيرة منطقيا لصناعة المنطق ، فالنظر فى الشبيه به لصناعة المنطق. إذ كان النظر فى الحق وما يشبه الحق لصناعة واحدة. فالنظر فى المحمودات حقا والمحمودات ظنا وفى استعمالها لصناعة واحدة. كما أن النظر فى الصادق والحق الذى منه ينبعث البرهان ، وفى المحمود الذى منه ينبعث الجدل لصناعة واحدة. إذ كانت الصناعة المنطقية بالاستحقاق الأول هو البرهان ، وكان الجدل شبيها به . إذ كانت المحمودات تشبه الحق ، وغرائز الناس مشغوفة بالتماس الحق ، لكن السبيل إليه صعب ، فمنهم من يوفق له ، ومنهم من يقع إلى الشبيه به .

---

(١) تقل : نفعل سا || يفسر : يشير ب (١ — ٣) فى استدراج ... الخارجيات : سقطت من سا (٣) وكأنك : فكانك ح ، م (٤) الأهلية : الاهلية د || ما : بما د (٤) من حيث هو موقع للتصديق : سقطت من د (٥) تفكيرا : تفكرا د ، م || وضميرا : أو ضميرا س ، هـ (٧) الجدلى : الجدل س (٨) الظن : الطن ن (٩) كثيرة : كثيرا ن (١٠) ومايشبه الحق : كررت فى د (١١—١٢) كما أن ... واحدة : سقطت من سا (١٢) وفى : فى م ، ن : و د (١٣—١٤) شبيها به : به شبيها هـ : شبيها له د (١٥) لكن : لكان م ، ن ، هـ || يوفق : يوافق ح : بوهب س || له : لهم س

فصل [الفصل الرابع]

فى مشاركات الخطابة لصنائع أخر ومخالفتها لها

إن صناعة الخطابة عظيمة النفع جدا ، وذلك لأن الأحكام الصادقة فيما هو عدل وحسن أفضل نفعا وأعم على الناس جدوى من أضـدادها . وذلك لأن نوع الإنسان مستبق بالتشارك . والتشارك محوج إلى التعامل والتجاور . والتعامل والتجاور محوجان إلى أحكام صادقة فى الأمور العملية ، بها ينتظم شمل المصلحة ، و بأضدادها يتشتت . وهذه الأحكام تحتاج أن تكون مقررة فى النفوس ممكنة من العقائد .

وقد بينـا أن البرهان قليل الجدوى فى حمل الجمهور على العقد الحق ، و بينا أن الخطابة هى المتكفلة به . فإحدى فضائل هـذه الصناعة غناؤها فى تقرير هذه الأغراض فى الأنفس . وأيضا فإن فى الأمور الجزئيـة أحكاما يوجبها التعقل الصحيح . وليس التعقل الصحيح مبنيا على المخاطبة والمحاورة ، بل قانونه الروية والنظر . كما أن البرهان أيضا فى الأمور الكلية النظرية مبنى على الحق دون المحاورة . ثم المصحح بالبرهان من الأمور الكلية النظرية ، إذا أريد تقريره

(١) فصل : فصل ٤ هـ : فصل كَ ب : الفصل الرابع س ، م (٢) مشاركات : مشاركه س || مخالفتها : مخالفاتها س ، هـ || لها : اياها سا (٣) الصادقة : الصادق هـ (٤) من : ومن هـ (٥) بالتشارك : التشارك هـ || التجاور : التجاوز ح (٦) التجاور : التجاوز ح ، د || الأمور : سقطت من ح || العملية : العلمية د (٧) مقررة : مفرده س (١٠) المتكفلة : المكفلة د : المتكفه سا (١١) فى : سقطت من ح || أحكاما : أحكامها م (١٢) التعقل : العقل س || التعقل : العقل س || المحاورة : المجاورة ح (١٣) الروية : الرؤية ح || الحق : سقطت من د. (١٤) المحاورة : المجاورة ح || النظرية : سقطت من ح

فى نفس من يسفل عن رتبة البرهان ، كان الجدل أعون شىء على تقريره . كذلك المدرك بالتعقل ، إذا أريد أن يقرر فى نفس من يضعف عن التعقل بنفسه ، كانت الخطابة أعون شىء عليه . وإذا لم يكن المدبر من الناس مستحقا لأن يخاطب بالصحيح من البيان العلمى فيما ينبغى أن يعتقد ، أو بالبيان التعقلى فيما ينبغى أن يعمل ، فإذا كانت لنا قوة خطابية تمكننا من إقناع المخاطب بما يقنعه ويظنه ويقبله ويستحسنه ويناسب قدره ويشاكله ، وعلى ما بيناه فى صناعة الجدل .

وصناعة الخطابة من الصنائع التى تقنع بها فى المتضادين ، كما أن صناعة الجدل كانت صناعة يقاس بها على المتضادين . وليس على أن تكون الخطابة تقنع بها فى وقت واحد أن هذا الشىء بعينه كان وأنه بعينه لم يكن ؛ ولا على أن يكون الجدل أيضا يرام به القياس على المتقابلين معا فى زمان بعينه إلا فى الرياضة ، بل على أن لنا أن نثبت فى أمر أنه كان وأنه عدل وأنه صواب وأنه ممدوح ، ولنا أن نثبت أضداد ذلك من طريق القوة ومذهب الصناعة . وأما من طريق الاستعمال فإنا لا ننتفع باستعمالها جميعا فى الخطابة فى أمر واحد وفى وقت واحد بعينه كما كنا ننتفع بذلك فى الارتياض الجدلى . إذ الغرض فى الخطابة إيقاع التصديق ، ولا كذلك فى الارتياض الجدلى . بل قد ينتفع باستعمال الإقناع فى الطرفين

---

(١) يسفل : السفل س (٢) المدرك : المذكور د | بالتعقل : بالعقل س || نفس : أنفس س (٣) كانت : كان ن || المدبر : المدرد : المديره ب (٤) العلمى : العملى ح ، م ، هـ (ثم كتب فوقها العلمى فى هـ) (٥) ينبغى : + أن ينبغى م || تمكنا : تمكننا ب ، ن : تمكينا م (٦) يقنعه : يحمده س ، هـ ، ح (ثم كتب فوقها يقنعه فى ح) || وعلى : على س (٧ — ٨) الجدل وصناعة : سقطت من م (٨ — ٩) كما أن صناعة الجدل ... المتضادين : سقطت من ب (١١) به : بها ب ، س ، سا ، ح (ثم كتب فوقها به فى ح) (١٢) بل : يدل س || وأنه عدل : سقطت من م . (١٤) فإنا : فإنه ن ، هـ (١٥) كنا : لنا م (١٦) بل : بلى ح

من وجه آخر شبيه بالارتياض ، وذلك بأن نحضر الحجج المتقابلة فى أفكارنا معا متفكرين فيتصرح لنا ما ينفعنا فى طريق التصديق الذى يلتمس إيقاعه ، و يكون حل الحجج المناسبة للطرف الآخر علينا أهون . فإن الشك ، إذا كان حاضرا ذهنك ، كنت أقدر على تمحل وجه حله من أن يطرأ عليك ولم تستعد له .

وليس من الصنائع المتنفع بها صناعة تقيس فيها على المتقابلين غير الجدل والخطابة . أما الصنائع البرهانية فتقيس فيها على طرف واحد . وأما السوفسطائية فليست معدة نحو الإقناع ، بل نحو التغليط ، ولا هى من الصنائع التى يستعملها الناس للمنافع . وأما الصناعة الشعرية فهى لأجل التخييل ، لا لأجل التصديق ، ولا فى طرف واحد . لكن الخطابة ، و إن كانت بهذه الصفة ، فالخطابة الجزئية الفاضلة هى التى تنحو نحو الطرف الأفضل ، وتبتدئ من المقدمات التى هى فضل . فهذا أيضا من فضائل الخطابة ، أعنى اقتدارها على التصرف فى الإقناع تارة فى طرف ، وتارة فى الطرف الآخر . وحكم ذلك حكم أعضاء الإنسان ، فإنها معدة للتصرف فى الإلذاذ والإيلام ، وحكم قواه سوى الفضيلة الخلقية وحدها . فإن قواه معدة للخير والشر جميعا . وأما الفضيلة فللخير فقط . وأما ماسوى الفضيلة ، كالصحة واليسار والبسالة ، فقد يصلح أن يستعمل فى الخير ،

---

(١) نحضر : نحصر ح : نحصر سا (٢) متفكرين : متقابلين ح (ثم كتب فوقها متفكرين) || فيتصرح : فيصرح ن || طريق : طرق ن ، ح (ثم كتب فوقها طريق فى ح) : طرف ه || التصديق : للتصديق ن
(٣) حل : جل ح || الشك : الشكل ح || حاضرا : حاضر د (٤) تمحل : المحل م ، ن : محل ح
(٦) أما : وأما س : إلى ه (٨) التخييل : التخيل ه (٩) وإن : فإن ح || فالخطابة : فبالخطابة م
(١١) فهذا : فهذه م ، ن ، ه || فضائل : فضيلة س ، ه (١٢) طرف : الطرف د || وتارة فى الطرف : كررت فى م || ذلك : + أيضا س (١٥) الفضيلة : + الخلقية ه || فقد : قد س
(١٥ — سطر ١ صحيفة ٢٥) يصلح أن يستعمل فى الخير ... فى الشر : يصلح أن يستعمل فى الشرب ، س ، سا : يصلح أن يستعمل فى الخير والشر م : يصلح أن تستعمل فى الخير و يصلح للشر ن

ويصلح أن يستعمل فى الشر . والحاجة إلى الخير ماسة ، وإلى الشر قد تمس ، ليدفع الشر بها ، فلح الحديد بالحديد ، وليتخلص به من العدو تسليطا للشر عليه . والمرء ينصر بدنه ونفسه بما هو مشارك فيه لسائر الحيوان ، فما أحسن به أن يكون قديرا على نصرة نفسه بما يخصه ، وهو اللسان والبيان ، فيعدل به ويجور ، ويحسن ويسئ ، ويتمكن به من التصرف فى المتقابلات فيحسن فعلا فعله بعدوه وهو قبيح ، ويعدل فعلا دفع به الشر عن نفسه وهو جور ، فضلا عن أن يدل على قبح القبيح وجور الجائر .

وكما أن الطبيب ليس عليه أن يشفى كل مريض من كل مرض ، بل أن يبلغ الممكن الإنسانى على طريق الصواب فى مثل العارض المحدود ، حتى إن أخفق ، كان السبب فيه صعوبة المرض فى نفسه واستعصاء الموضوع على مغيره إلى الصلاح . كذلك الخطيب عليه أن يتكلف من إيراد العمد والحيل ما يمكن إيراده فى كل باب . فإن كان الأمر مما يعسر تقريره فى النفوس ، فليس ذلك مما يعود على الخطيب بتعجيز .

وكما أن فى الجدل المطلق قياسا جدليا بالحقيقة وقياسا جدليا بحسب التشبيه ، كذلك فى الخطابة ما هو بنفسه مقنع لأنه بنفسه من المظنونات المستعملة فى الخطابة ، وما هو مشبه بالمقنع بأنه ليس هو من الأمور التى تظن بأنفسها ،

---

(١) قد تمس : سقطت من ن (٢) الشر : فى الشر س || به : بها د || تسليطا : وتسليط م : تسلطا س (٣) بدنه ونفسه : نفسه وبدنه م ، ن (٥) يجور : يجوز د || المتقابلات : المقابلات ح ، سا (٦) فعلا : سقطت من ن || بعدوه : بعده م ، ن || به : سقطت من م (١٠) الموضوع : لاوضوع م || مغيره : تغيره ب ، د : رده بخ ، س ، ن ، ه (١١) العمد : العمل م : العدن (١٤) المطلق : سقطت من س || قياسا جدليا : قياس جدلى س || قياسا جدليا : قياس جدلى س || بحسب : سقطت من س || التشبيه : التشبه ح . (١٥) لأنه بنفسه : لأنه نفسه ح (١٦) بالمقنع : القنع ن

بل أشياء متشاركة لها بالاسم ، أو فى هيئة اللفظ ، أو فى معنى من المعانى التى بينا فى كتاب سوفسطيقا كيفية إيجابها الحكم فى التشبيه ، حتى يوهم فى قضية أنها قضية أخرى ، وتلك تكون صادقة أو مشهورة . فيتوهم فى المشبه بها أنها هى بعينها ، أو على حكمها .

والفرق بين المقنع الحقيقى و بين الذى يرى مقنعا : أن مقدمات المقنع الحقيقى إذا قرر معانيها فى الذهن ، مال إلى التصديق بها فى بادى الرأى ظن السامع . وأما التى ترى مقنعة ، فهى التى إنما وقع بها التصديق على أنها غيرها . ولو يحصل للذهن معناها ويخلص أمام الفكر مفهومها الذى لها فى نفسها ، لكان الظن لا يجنب إلى جهتها . فهذا هو الفرق بين المقنع الحقيقى وغير الحقيقى ، لا وجوه أخرى قيلت فى كتب خطابية لأقوام محدثين .

لكنه لما كان الغرض فى الخطابة الإقناع بما يظن محمودا ، ولم يكن الغرض فيه كشف الحق ولا الإلزام على قانون المحمود الحق ، لم يستنكر أن تكون المقنعات بالشبيه داخلة فى الصناعة ، فتكون بعض هذه الصناعة صادرة عن بصيرة ومعرفة بمثالها يكتسب القوة ، و بعضها لا عن تلك الجهة ؛ بل عن غلط أو قصد ومشيئة للشر والتلبيس . و يكون كلاهما خطابة . وأما الجدل الحق ،

---

(١) متشاركة : مشاركة د (٢) التشبيه : الشبيه س، ه (٣) أنها : أنه س || أو : و م || فى المشبه : بالمشبه ن (٤) بعينها : بعينه ح || أو : سقطت من م (٥) و بين : وفى ه || المقنع : سقطت من م ، ن (٦) قرر : قررن ه (٧) إنما : سقطت من س (٨) الذى : + ظن السامع وأما التى يرى مقنعة فهى التى م (٩ — ١٠) وغير الحقيق : من سا (١٠) لا وجوه : ولا وجه ب || قيلت : قلنت د (١١) الإقناع : الاتساع د || يظن : ظن س (١٢) فيه : فيهام ، ن ، ه || قانون : القانون ح (١٣) بالشبيه : بالتشبيه م || صادرة : صادرا د (١٤) بمثالها : مثلها د || عن : على د (١٥) للشر : للشىء س || والتلبيس : أو التلبيس س || كلاهما : كلامها م || الحق : سقطت من م

فإنما هو جدل لقوة على الإثبات والإبطال بفعل أفعالها مطابقة لتلك القوة فقط ، وليكون إثبات و إبطال فقط . وأما الجدل الكاذب، وهو السوفسطائية أو المشاغبية ، فليس يكون سفسطة ومشاغبة لأجل مطابقة الفعل قوة وملكة وحتى يكون الغرض فيها إظهار قدرة على التلبيس فقط . فإن هذا قد يستعمل فى الجدل وفى الامتحان وفى قياس العناد ولا يكون مغالطة ، ولكنه إنما يكون مغالطة إذا أريد به أن يظهر أن المثبت أو المبطل هو الحق نفسه و بقصد التلبيس ، لا لأن يظهر القدرة على التلبيس فقط ، بل لأن يروج التلبيس قصداً ومشيئة و إرادة للتضليل . فالجدل إنما هو جدل لتلك القوة ، والسوفسطائية إنما هى سوفسطائية لتلك المشيئة الرديئة ، من حيث هى مشيئة رديئة ، لا للقوة.

وأما الخطابة ففيها قوة ومشيئة معا . أما القوة ، فلأنها اقتدار على الإثبات والنفى . وأما المشيئة ، فلأنه يقصد بها أيضا ترويج ما يثبت أو يبطل بالإقناع . ولا تصير الخطابة بأن يقتصر منها على إظهار القدرة فقط صناعة أخرى ، بل تكون خطابة ؛ ولا أيضا إذا شيء بها الإقناع ولو بالمقنعات المشبهة تكون غير خطابة . لكن العمدة فى أمر الخطابة أن تكمل القوة بالمشيئة. وكذلك أيضا التعليم البرهانى ، إنما هو تعليم بقوة ومشيئة .

والمشيئة قد تستعمل فى مثل هذا الموضع على وجهين عاما : فيقال مشيئة لمشيئة إيقاع التصديق ، فتكون الخطابة معدة نحو أن يكون مع القوة مشيئة ، أو تكمل

---

(١) هو : سقطت من س || جدل : جدلية ه || لقوة : قوة م (٣) المشاغبية : المشاغبة ح
(٤) وحتى : حتى ح ، سا (٥) قياس : نفس س ، ه : القياس من ن || مغالطة : سفسطة د
(٦) مغالطة : سفسطة ولكنه إنما يكون د || نفسه : بنفسه ح ، ن ، سا (٩) رديئة : ورديئة ه
(١٠) وأما : وإنما س || القوة : للقوة م || فلأنها اقتدار : فلأن لها اقتدارا ح
(١١) فلأنه : فلأنها د ، ن (١٢) بالإقناع : + ولو بالمقنعات المشبهة م
(١٤) لكن : من م || تكمل : يكون م (١٥) أيضا : سقطت من سا || تعليم : + برهانى م ، ن ، ه
(١٦) قد : سقطت من س

بالمشيئة . ويقال مشيئة، وتخصص تلك المشيئة بمشيئة الترويج والتلبيس . فحينئذ لا تكون كل خطابة كذلك ، بل تكون بعض الخطابة كما سبق منا القول صادرة عن قوة وبصيرة ، وبعضها عن مشيئة رديئة تشبه المشيئة السوفسطائية .

وليست القوة تناسب القوة الصناعية ، بل يكون الغرض فيها غير النفع للمخاطب ، بل لنفس الخطيب فى أغراض خارجة .

فصل [الفصل الخامس]

فى شرح حد الخطابة وختم الكلام فى قسمة أجزائها ومناسبتها لصنائع أخرى

فلنعد إلى تحقيق أمر هذه الصناعة الخطابية ، وأنها كيف تكتسب ، وكم أجزاؤها ، وكيف يتوصل بها إلى الأغراض التى تخصها .

ونبتدئ فنحد الخطابة ونقول: إن الخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأمور المفردة . فقولنا "قوة" نعنى به ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال إرادية ، وهى أوكد من القدرة . فإن القدرة الساذجة قد توجد فى كل إنسان ، لكن الملكة التى تحصل إما عن قوانين تتعلم أو عن أفعال تعتاد توجد

---

(١) بالمشيئة : المشيئة س (٢) صادرة : صادرا د ، س ، ه (٤) وليست ... الصناعية : وليست القوة تناسب الصناعية ب ، ح ، سا : وليست تناسب القوة الصناعية د ، س ، ه (قبل التصحيح) : وليست القوة تناسب الصناعة ن ، ه (بعد التصحيح) (٦) فصل : فصل ه ه : فصل ه ب : الفصل الخامس م ، س (٩) وأنها : وأنا د (١٠) أجزاؤها : أجزائها د ، س
(١٣) أوكد : آكد س ، ن ، ه

فى الفرد بعد الفرد منهم . وقولنا "تتكلف" يفهم منه معنيان : أحدهما أنها تتعاطى فعلا لا عن إرادة مؤثرة بل عن إرادة مستكرهة ؛ وليس هذا هو الغرض فى هذا المعنى . ويقال "تتكلف" ويراد به أنها تتعاطى فعلا بأبلغ قصد لإتمامه ؛ وهذا هو الغرض . وقولنا "الإقناع الممكن" هو تفسير الفعل الذى تتكلفه ، ومعناه ما يمكن من الإقناع . ولا يلتفت إلى تفسير آخر .

وقولنا "فى كل واحد من الأمور المفردة" معناه فى أى جزئى كان من الجزئيات كلها ، وفى أى مقولة اتفقت . فيكون قولنا "المفردة" يدل على المقولة ، ويكون قولنا "كل واحد" يدل على أن كل جزئى من كل مقولة فهو موضوع له . ويحتمل أن يكون كأنه يقول : فى كل واحد من الأمور الجزئية .

وتكلف الإقناع الممكن فصل — من باب فعل الخطابة — بين الخطابة وبين البرهان والجدل والسوفسطائية . فإنها ليس شىء منها يتكلف الإقناع الممكن ويقصده كما علمت . وفى هذا الفصل نشير إلى غاية الخطابة أيضا إشارة محصلة وهو الإقناع الممكن فى كل شىء .

وإذا قلنا "فى كل واحد من الأمور المفردة" ، ودللنا على موضوع الخطابة ، خرج من ذلك الطب ؛ فإنه يشبه أن يكون الطب إنما يقنع ما يمكن من الإقناع فى أمور مفردة تخص نوعا ما . فتكون جملة قولنا "تتكلف الإقناع الممكن فى كل

---

(١) فى : عن سا || منهم : سقطت من س || تتكلف : سكلم س || انها : انه س (٣) فى : من س، || به : بها م : سقطت من ه (٤) تفسير : تفصيل ه || تتكلفه : سكلف د : سدنه ه (٦) واحد : سقطت من ن || معناه : سقطت من ن ، ه || جزئى : جزء ح ، م ، ن ، سا (٧) كلها : سقطت من ن || وفى : أو فى م ، ه || يدل : دل س (٨) يدل : سقطت من ح (٩) له : لها م (١٠) فصل : فعل ه || بين الخطابة : سقطت من د ، ه (١١) وبين : وح || فانها ليس : فليس د || منها : منهما م (١٢ — ١٣) ويقصده ... الممكن : سقطت من ب (١٤) وإذا : فاذا س ، ه (١٥) فانه يشبه : فيشبه سا || فانه يشبه أن يكون الطب : سقطت من س || ما : سقطت من د : بما س ، ه (١٦) ما : سقطت من س || فتكون : يكون م || قولنا : ما قلنا ح || فى كل : سقطت من س

واحد من الأمور المفردة" تفرق بين الريطورية وبين الصنائع المعلمة كالهندسة، وبين الصنائع المقنعة فى الجزئيات كالطب. إذ الخطابة لا تنسب إلى جنس معين.

ولكن لقائل أن يقول : هل الطب ملكة على الإقناع الممكن ؟ وإن كانت ملكة، فهل هى بذاتها أو بالعرض ؟ فإن كان بذاتها، فهل إذا أقنع الطبيب فى أمر ما، وأقنع الخطيب فى ذلك الأمر بعينه، إذ له أن يقنع فى كل أمر، كان إقناع الطبيب من نحو وإقناع الخطيب من نحو آخر ؟ وهل الخطيب إذا تكلف ذلك الإقناع بعينه كان قد يتعاطى شيئا من الطب ؟ وبالجملة : هل يحتاج إلى فصل بين الخطيب وبين من يجرى مجرى الطبيب ؟

فنقول أولا : إن الطب ليس له ملكة على الإقناع البتة، ولا على التعليم أيضا، بل ملكة علميـــة على تدبير الأبدان لتصح . فإن كان الطبيب مقتدرا على هـــذا التدبير، ولم يكن له بالإقناع بصيرة إلبتة، وكان عالمـــا بعلمه، ولم يكن له فى سبيل التعليم هداية البتة، فهو طبيب وعالم . ثم إن اقتـــدر على التعليم، فذلك له من حيث هو معلم، ويكون تعليمه ليس إقناعا، لأنه إما أن يعلم أمورا واجبة كقولهم : كل مرض إما سوء مزاج أو فساد تركيب ؛ فإن علمها تعليم مثلها، لم يكن مقنعا، بل محققا. وإن أقنع ولم يحقق ولا شارف التحقيق،

(١) واحد : سقطت من ن || واحد من الأمور المفردة : سقطت من س || تفرق : ففرق ه || الريطورية : الريطوريقية ه || المعلمة : العلمية ب، د، ن (٣) ولكن : وليس س، ه || وإن : فان ه || كانت : كان م، ن (٤) ملكة : + على الاقناع الممكن وإن كان ملكه م || فهل هى : فهى ن || فان : وان ح، د، س || كان : كانت د، م، ه (٥) ما : سقطت من س || و : سقطت من ح (٦) الطبيب : الطب م || نحو : وجه م || وإقناع الخطيب من نحو : سقطت من سا (٧) ذلك : سقطت من د || قد : سقطت من د || يتعاطى : تعاطى س، ه || بالجملة : سقطت من ن (٩) الطب : الطبيب ح || له : سقطت من د (١١) بالاقناع بصيرة : بصيرة بالاقناع س، ه || بصيرة : بصير م || بعلمه : نقطه د (١٣) معلم : معلوم د (١٤) سوء : سواء د || أو : واما سا (١٥) مثلها : مثله د || لم : ولم ن، ه || ولم : لم ب

كان حينئذ مستعملا لفعل الخطابة ، لا معلما ، وكان من تلك الجهة خطيبا فى ذلك الشىء . وإما أن يعلم أمورا ممكنة أكثرية جدا ، أو دون ذلك ؛ فإن علمها من حيث هى ممكنة بأكثريتها ، أو غير ذلك على ما سلف منا شىء من القول فيه فى فنون سلفت ، لم يخل إما أن يصحح إمكانها وقربها من الكون ، فيكون معلما ؛ أو يقنع فى ذلك من غير إفادة اعتقاد يقين أو مقارب لليقين ، كان خطيبا . وإما أن يصحح وجودها وأنها توجد لا محالة . فإن حاول الإقناع فى الوجود ، كان مستعملا فعل خطيب . وإن حاول إيقاع التصديق الجزم المقارب لليقين فيه ، كان مغالطيا . فإذاً الإقناع للطبيب بالعرض ، ومن حيث هو فاعل فعل الخطيب ، إلا أنه ليس بذلك خطيبا ، لأنه ليس له ملكة على أن يقنع فى كل شىء .

وإنما يصير الخطيب خطيبا بهذه الملكة ، لا بأفعالها التى تصدر عنها فى أشياء معينة . فنحن وإن سلمنا أن الطبيب قد يقنع ، فليس يصير بذلك خطيبا ولا يصير مشاركا للخطيب فى الصناعة ، لأنه ليس الخطيب خطيبا لأجل أفعال تصدر عنه خطابية ، بل لملكة صفتها الصفة المذكورة ، أعنى ملكة على الإقناع فى كل شىء. والطب ، وإن سامحنا فى أمره ، وسلمنا أنه ملكة مثلا على الإقناع ، فليست ملكة على الإقناع فى كل شىء . على أن الطب ليس ملكة الإقناع .

ونقول : إنه كما أن الطبيب قد يقتدر على استعمال علاج فى حيوان غير الإنسان ، كذلك

---

(١) الخطابة : المخاطبة س ، ه (٢) أن يعلم : سقطت من سا || ممكنة أكثرية : أكثرية ممكنة س ، ه (٤) لم يخل : يخ ه ، ن || يصحح : يصح م (٥) يقنع : يقتنع د || فى : من ه (٨) الجزم : + الحرم س || كان : سقطت من س || بالعرض : بالغرض م (١١) وإنما : واما أن د || الخطيب : الطبيب د || بأفعالها التى : بأفعال د ، س ، ح (كتب أولا بأفعالها ثم كتب فوقها بأفعال فى ح) || التى : سقطت من سا (١٢) الطبيب : الخطيب س || يقنع : + فى كل شىء وإنما يصير الخطيب م (١٣) لأجل أفعال : لافعال سا (١٤) على : سقطت من د ن (١٥) الطب : الطبيب م || وسلمنا : وسامحناه م : وسامحنا ب ، ن ، سا : سقطت من ح || أنه : لانه د || فليست : فليس م ، ن (١٦) ليس : ليست ح ، س ، ه || الإقناع : إقناع ه (١٧) إنه : سقطت من د || يقتدر : يقدر م || علاج : العلاج ه

الخطيب قد يقتدر على استعمال إقناع فى أمر غير الأمور المفردة . وكما أن ذلك لم يكن طبيبا إلا لأنه يعالج الإنسان ، وغير ذلك له بالعرض ، كذلك ليس هذا خطيبا إلا لأنه يقنع فى الأمور المفردة الجزئية ، وغير ذلك فله بالعرض .

ونقول : إن التصديقات الخطابية قد تكون صناعية ، وقد تكون من غير صناعة . والتى ليست بصناعة ، ليست تكون بحيلة منا ، بل لوجود الأمر الذى يدعو إليه ، وليس ذلك من صنعنا وتلطفنا ، مثل الشهود والتقريرات بالعذاب وغير ذلك . وأما التى بالصناعة وما يحتال فيه بالكلام ، فكله ، إذا اعتبر من حيث الملكة والصناعة ، فإنما يكون من فكرة أنفسنا و باحتيالنا . فنحن نستنبط المواضع والأنواع الخطابية ونعلم ترتيب القياس الخطابى وما يتعلق به ، لا كالشهود وما أشبههم ، فليس إلينا الإقناع بهم ، وإيقاع التصديق عنهم والاحتيال فيه . هذا من جهة الأصل . وأما إذا اعتبرناها من حيث الاستعمال ، فبعضها قد تكون معدة لنا من قبل ، وهى المقدمات التى تسمى فى هـذا الكتاب مواضع : فهى مقدمات من شأنها أن تصير أجزاء قياس بالقوة أو بالفعل . فإذا كانت معدة لنا ، استعملناها كما هى ، وإن كنا من قبل لقد استنبطناها بحيلتنا ، ثم أعددناها . وبعضها لا تكون معدة لنا كما هى بل يكون المعد فيها أصولا وقوانين ، إذا علمناها ، استخرجنا منها وقت المحاورة مقدمات خطابية . وتلك القوانين تسمى فى هذا الكتاب أنواعا . ولا نزال نتوصل من نتيجة إلى نتيجة مستمرين على طريق

(١) قد : سقطت من ن ، هـ || وكما : كام (٢) لأنه : انه م || ذلك : الانسان س || له : سقطت من د || بالعرض : بالغرض م || كذلك : وكذلك د (٣) فله : له س ، ن ، هـ : سقطت من م (٤) صناعة : صناعية م (٥) بصناعة : صناعية س || ليست : ليس د (٦) صنعنا : صنعتنا م || وأما : فأما سا (٧) يحتال : يحال س (٨) فكرة : فكر د ، هـ : + من ح ، م : + فى س : مما فى هـ || انفسنا : نفسنا هـ (٩) إلينا : سقطت من سا (١٠) فيه : فهم س (١١) وأما : اما ح (١٢) فهى : وهى م ، ن (١٣) فاذا : فان هـ (١٤) وإن : ان س || إن كنا : سقطت من ن || لقد : قدح || أعددناها : اعدادنا ن (١٥) المعد : المعدة ب ، د || فيها : سقطت من م || إذا : وإذا هـ || علمناها : أعملناها ن (١٧) الكتاب : الخطاب ح || إلى نتيجة : سقطت من د

الاستدراج إلى حصول الغرض . ومثال ذلك : أنا إذا كان قد تيسر لنا عند تحصيل هذه القوة كيف ننقل الحكم من ضد إلى ضد على سبيل الإقناع ، ثم خاطبنا مشيرين فقلنا : إن كان زيد الذى هو عدوك قد استوجب إساءتك إليه ، فعمرو الذى هو صديقك قد استوجب إحسانك إليه، كنا قد استخرجنا هذا من قانون عندنا ، ولم يكن هذا بعينه معداً لنا .

والتصديقات الصناعية التى يحتال لها بالكلام ، ويكون ذلك الكلام لطباعه مقنعا ، لا لوضع أوشرع ، هى ثلثة أصناف : أحدها العمود الذى يسمى تثبيتا فى هذا الكتاب ؛ والثانى كيفية المتكلم عند تأديته الكلام فى سمته ، كما يتفق أن يكون للتكلم سمت صالح متخشع فاضل ، أو سمت صادق جاد متأن أو خلاف ذلك ، ويكون له لطف فى تأديته ، كما علمت ؛ والثالث استدراج السامعين . وهذا الذى هو عمود وتثبيت فإنه قد يكون نحو الغرض نفسه ، وقد يكون نحو تقرير شىء من الأبواب الأخر ، فيكون عمودا وتثبيتا فى ذلك الباب ، كما يبين المرء فضيلة نفسه أو خسيسة خصمه أو يبين وجوب الرحمة عليه، فهذا يدخل فى القسم الأول . غير أن سمت القائل فى أكثر الأمر إنما يعنى فى المحاورات التى تكون فى أمور وقعت ، كما يكون فى الشكاية والاعتذار ، وكما يكون فى المدح والذم . وأما إذا حاول إقناعا فى أمر ممكن مستقبل ، فنفس سمته وصلاحه لا يدل

---

(١) ذلك و هذا س || كان : كنا ح، س (٢) تحصيل : تحصل ه : حصول م، ن || القوة : + انا س، ن ، ه || ننقل : نسهل سا (٣) قد : فقد م (٤) كنا : كما م (٥) معداً : معد ب (٦) لها : سقطت من سا (٧) تثبيتا : تثبتا س، ه (٨—٩) عند تأديته ... للمتكلم : سقطت من سا (٨) يتفق أن : سقطت من د (٩) للتكلم : المتكلم له د || متأن : متين د : متخشع م || أو خلاف ذلك : سقطت من ب، ح، سا (١٠) وهذا : وهو س (١١) تثبت : تثبيت ح، د || نفسه : بنفسه ه (١٢) الأخر : الآخر س ، م || وتثبيتا : أو تثبتا س || يبين : يتبين م ، ن (١٣) فضيلة : فضله م ، ن || نفسه : سقطت من د ، م ، ن || خسيسة : خساسة د || يبين : يتبين م || وجوب : وجود م (١٤) يعنى : يعين س : يعنوا ه || المحاورات : محاورات س (١٦) مستقبل : مستقل م || صلاحه : صلاحته د

على صدقه ، لأن السمت فضيلة ما غير فضيلة العلم . وليس إذا حسن سمته ودل على فضيلته ، دل ذلك على إصابة رأيه فى الأمور الغائبة الخفية كالأمور المستقبلة ، بل هذا أولى أن يكون نافعا فى الأمور المشاجرية . فإذا حسن سمته ، ظن به أنه لم يفعل الجور ، أو فعل فِعْل الجور لا على نحو ما يفعل الجور .

وأما استدراج السامعين فيكون كما علمت بالأقاويل الخلقية والانفعالية . فالخطيب إذاً يحوج إلى معرفةٍ ما بالخلائق و بالفضائل و بالانفعالات ، حتى يكون له أن يتصرف بها وفيها ، تارة ليستعملها ، وتارة لينقض استعمال خصمه لها بأن يصرح أنه يحتال بأمثالها عليه ، وأن التصديق الذى يكاد أن يوقعه ليس لإحقاقه ، بل لاحتياله . فلهذا السبب ، ولما سلف لك عرفانه ، ما تتناسب صناعة الخطابة والجدل والصناعة المدنية التى تبحث عن الأخلاق والسياسات .

أما صناعة الجدل ، فمن حيث ذكرنا . وأما الصناعة الخلقية ، فمن حيث المعرفة بالأخلاق والانفعالات . فيكون كأن الخطابة مركبة منها ، وليست كذلك بالحقيقة ، لأنه لا تتركب صناعة من أجزاء صناعة أخرى ، كما علمت فى تعليمنا صناعة البرهان ، بل وليست المشاركة بينها و بين الأمرين إلا فى الموضوعات ، وأما التصرف فى الموضوع فلا تشارك فيه تينك الصناعتين . وأما الجدل فإنه ، و إن لم يشاركها ، فقد يشابهها ، لأنه يروم

---

(١) ما غير فضيلة : سقطت من م || إذا : + اذا هـ (٢) دل : ودل هـ || رأيه : رأى م
(٣) المستقبلة : المستقلة م || المشاجرية : المشاجرة س (٤) أوفعل فِعْل الجور : سقطت من م || فعل : سقطت من د (٥) بالأقاويل : الأقاويل م : فى الأقاويل س (٦) ما : سقطت من د || بالخلائق : الاخلاق د ، هـ : فى ن كتب اولا بالخلائق ثم كتب فوقها بالاخلاق || بالفضائل : الفاضلة فالرذلة د || بالانفعالات : الانفعالات د (٧) ليستعملها : استعملها ح || ليستعملها وتارة : سقطت من د (٨) بامثالها : باثباتها س || أن : وان د (٩) لك : له د || عرفانه : + فوجف م (١٢) بالأخلاق : بالأفعال سا || منها : منهما د (١٤) بينها : بينهما سا صناعة : صناعى س (١٥) فيه : + بين ح (١٦) يشاركها : يشاركهما سا

تقريرا بالمخاطبة . وأما الصناعة المدنية فلا تشارك الخطابة فى نحو التصرف ولا تشابهه . فإن تلك الصناعة ليس مبنى أمرها على أن تكون مخاطبة للتقرير ، ولا نحو بيانها نحواً يقتصر فيه على الإقناع ، بل يتعدى فيها ذلك إلى الاعتقاد الجزم . نعم ، قد تشارك الخطابة تلك الصناعة فى الموضوع ، لأنها تشارك كل صناعة فى موضوعها ، وتشاركها فى بعض المسائل .

قال المعلم الأول : إن المتكلمين فى الخطابة قد أغفلوها وعوصوها وأبهموا وجه الإحاطة بها ؛ فبعضهم لسوء التمييز وقلة الاستبصار ، و بعضهم للكبر والتيه موهماً أن كلامه أرفع طبقة من أن يفهم بسهولة ، و بعضهم لأسباب أخرى إنسانية من الحسد وغيره .

فصل [الفصل السادس]

فى العمود وهو التثبيت وفى أقسامه

فلنتكلم الآن فى التثبيت ، فنقول : يقال تثبيت وتفكير وضمير واعتبار و برهان ، و بينها فروق . فالتثبيت : هوقول يراد به إيقاع التصديق بالمطلوب نفسه ، وهو يعم بجميع ذلك . لكن الضمير هو ما كان منه قياسا ، والاعتبار

---

(١) تقريرا : تقرد || نحو التصرف : التصديق د : نحو تصرف ح (٢) تشابهه : يشابهها م : الخطابة تشابهها هـ (٣) فيها : سقطت من س (٦) أغفلوها : كتب فوقها فى ح أغلقوها || عوصوها : عرضوها ب، م ، ن ، سا : عوصوا س (٧) بها : فيها س ، هـ || التمييز : التميز م ، ن ، هـ || للكبر : للتكبر هـ : للمكثر س (١٠) فصل : فصل ٦ هـ : فصل وَ ب : الفصل السادس س ، م (١١) فى : وهو د || التثبيت : التثبت ب ، ح ، س ، هـ : الثبت سا || وفى : وح (١٢) التثبيت : التثبت ب ، ح، س، هـ، سا || تثبيت : تثبت ب ، ح ، س ، هـ، سا || تفكير : تفكر م ، ن (١٣) بينها : بينهما ب ، س ، ن سا || فروق : فرق م ، ن ، هـ || فالتثبيت : فالتثبت ب ، ح ، س ، هـ ، سا || إيقاع : اقناع س (١٤) وهو : فهو د || الضمير : ضمير د || منه : فيه د || قياسا : قياس ن

ما كان تمثيلا . واسم البرهان فى هـذا الكتاب يقع على اعتبار يتم به المقصود سريعا . والتفكير هوالضمير بعينه فى الموضوع ، ولكن من حيث اعتباره بالحد الأوسط ، فإنه من حيث أخذ فيه وسط إنما يقتضيه الفكر هو تفكير ، ومن حيث فيه نقصان مقدمة هو ضمير ، ليكون التفكير والضمير واحداً بالموضوع.

وكما أن الجدل معوله على قياس واستقراء، كذلك الخطابة معولها على ضمير وتمثيل. وكل ذلك إما أصلى ، و إما مظنون. وكله مستعمل فى الخطابة، على ماعلمت . والسبب فى أن كل بيان يوجب التصديق إما أن يكون قياسا أو شبيها بقياس أو يكون استقراء أو شبيها باستقراء هو أن الشيء ، إذا ادعى فيه حكم ، فإما أن يقال : إنما علمت أن الشيء كذا بسبب فلان وفلان ، و إما أن يقول : هو كذا لأنه كفلان . وهكذا البيانات البرهانية ، فقد تكون فى بعض الأوقات تمثيلية واستقرائية وعلى الوجه الذى أحطت علما به فى موضعه ، وقد تكون قياسية . بل قد تكون فى البيانات البرهانية ضمائر قد حذفت كبرياتها ، وتكون تلك الضمائر البرهانية فى قوة القياسات . فإن كبرياتها إنما تحذف لوضوحها ، وعلى سبيل الاختصار ، و بحيث لو صرح بها لكان البيان أوضح أو مثل بيان الضمير. وكذلك فى الجدل الذى ليس على سبيل المغالطة . وأما الخطابة ، فإنما تحذف الكبريات فيها لأنها لو صرح بها لزال الإقناع ، لأن تلك الأحكام ،

(٢) من حيث : سقطت من د (٣) هو: وهو ه || تفكير : تفكر د || ومن : او من سا (٤) فيه : سقطت من م ، ن || مقدمة : + فيه ن || هو : وهو ب، ح، م، سا || ليكون : فيكون ن : إن كان د (٥) وكما: فكما ب || واستقراء : فاستقراء د (٦) وكل : فكل س || وكله : فكله م (٩) الشيء : المثى م || كذا : كذى د، ح || وفلان : سقطت من د (١٠) هو : سقطت من م ، ه || وهكذا : وهكذى ح || البيانات : البيات ح ، د ، م، سا (١١) واستقرائية : أو استقرائية د (١٣) البرهانية : والبرهانية ه || قوة : قوية م || فإن كبرياتها إنما تحذف : إنما حذفت كبرياتها ن (١٤) وعلى : على ح || صرح : يصرح ه || البيان : سقطت من م (١٤—١٦) لكان البيان ... صرح بها : سقطت من سا (١٥) المغالطة : مغالطة م، ن || وأما : فاما س (١٦) بها : سقطت من د || لزال : لزوال س

إذا أحضرت بالكلية ، علم كذبها ، وخصوصا فى المشوريات منها . فإن المشوريات منها تكون أمورا ممكنة . وقدتحذف أيضا لئلا يكون البيان منطقيا . فإن الخطيب ، إذا نسب إلى مخاطبة منطقية أو كلامية ، توهم أن اقتداره لصناعة أخرى ، وأنه يغلب لفضل قوته فى المنطق ، لا لفضل إصابته . فالأولى به أن يخاطب خطابا عاميا .

وكما أن حال الخطابة فى استعمال الضمير بعكس حال الجدل والعلوم فيه ، فكذلك انتفاعها باستعمال الاعتبار والقياس هو بضد من حال الجدل والعلوم . لإنك قد علمت أن القياس أشد إلزاما فى الجدل وأشد تحقيقا فى العلوم من الاعتبار والاستقراء . ولكن الاعتبار فى الخطابة أقرب إلى إقناع الجمهور من الضمير . لأن الضمير وما يجرى مجرى القياس يحتمل كثرة المراجعة فى سؤال : لم كانت المقدمة ؟ ولم لزم مما قلت ما ادعيت ؟ وأما المثال ، فيكون بأمور ظاهرة مسلمة ، فلا يسئل عن مقدماتها بل تسلم ، و يكون نقل الحكم إلى الشبيه فيها أو إلى الكلى عن جزئى واحد أو جزئيات قليلة أمرا ما مقبولا عند الجمهور لا يتنازعون فيه ، أو يجدوا مناقضة .

والفرق بين الاستقراء و بين المثال الذى ينقل فيه الحكم إلى الكلى لينقل عنه إلى الجزئى أو لا ينقل أن المثال يورد فى نقل الحكم إلى الكلى على أنه مثل الكلى ، فيجعل الحكم للكلى على أنه مثله ، وعلى أنه ممثل بالجزئى ، كما لو جعل حكمه

(١) إذا أحضرت : إذا حصرت د ، ن : اذا احتضرت س || كذبها : + لأنها ب ، ن ، ه (ثم كتب فوقها خ) ، ح (ثم كتب فوقها علامة الخطأ) || فى : لانها فى سا || فان : لان د (٢) منها : + ما ب ، د ، م || لئلا : الا ان م (٤) وأنه : فانه ب || يُغلب : يغلب له م ، ن (٧) فكذلك : وكذلك ب ، ه || والقياس : سقطت من سا || هو : وهو ح || بضد : تصديق ن (٨) لأنك : كالك س (٩) الاعتبار فى : سقطت من سا || الاعتبار : اعتبار ح || من : ومن سا (١١) مما : + قد م (١٢) يسئل : يسأل ح ، س ، ه || نقل : سقطت من م (١٣) أو : و ب || ما : سقطت من ح ، س (١٤) يجدوا : يجدون م ، ن (١٥) ينقل : ينتقل ب (١٦) فى : فيه ح (١٧) للكلى : الكلى ح || مثله وعلى أنه : سقطت من م || مثل : ممثل س ، ه : بمثل د || بجعل : جعلت د

لجزئى آخر على أنه مثله . وأما الاستقراء فنورد فيه الجزئيات على أن الكلى هى بعينها، وإن لم يكن كذلك . فإن استوفيت بقسمتك الجزئيات، صار ذلك كما علمت قياسا ، لا استقراء ، أو كان ضربا آخر من الاستقراء . وبيان ما قدمنا من هذا المعنى على سبيل المثال أنك إذا حكمت أن كل إنسان يسرف يفتقر، فقلت : مثل فلان وفلان ، فإن عنيت أنك تنقل حكم فلان إلى كل واحد من أشكاله من الناس أو إلى الإنسان العام للمشاكلة فهو بَعْدُ تمثيل .

فأما إن لم تقتصر على حكم المماثلة ، بل أوهمت أنك بتعديدك ما عددته ، عددت الكل ، كأنك اكتسبت عموم الحكم لكثرة المعدودات ، كان كأنك قلت : كل إنسان فهو فلان وفلان ، حتى تكون كأنك عددت كل إنسان ، أو عددت ما هو مقام كل إنسان وهو الكثير . فحينئذ لا تكون حكمت على كل واحد ، أو على الكلى ، بحكم وجدته فيما يشاكله فقط ، بل بحكم يعم الكل ، أو ما هو كالكل فيه . وهذا هو الاستقراء .

فقد علمت إذاً أن التمثيل كيف يفارق الاستقراء فى إيجاب حكم كلى ، وعلمت أن الاعتبار أنفع فى الخطابة . ولذلك ما يقل اعتراض الشغب فيه ، ويكثر فى الضمير . ويشترك المثال والضمير فى أن كل واحد يفيد إقناعا ،

(١) واما : فاما ن : و س || فنورد : + على م || هى : هو د (٢) استوفيت : استوف ه (٣) أو : و ب ، د ، سا || أو كان .... الاستقراء : سقطت من ن (٤) يسرف يفتقر : شرف بفقير م : سرف بصغر ه : يسرف يفقر ن : إنسانا يفتقرح (ثم صححت) || مثل : مثلا ب ، م ، ن (٥) وفلان : فلان م || أشكاله : أشباهه س (٦) الناس : الثانى د || تمثيل : بمثل ه (٧) فاما إن لم تقتصر : سقطت من م || بل : سقطت من م || بتعديدك : بتعديد س : بتسديدك ن (٨) لكثرة : سقطت من ح || كان : سقطت من ح || كأنك : سقطت من م (٩) قلت : قتلت م || فهو : وهو ه (١١) الكلى : كلى ن : الكل د ، س ، ه || بحكم : + عام ح (كتبت فوق بحكم) || الكل : الكلى ح (كتبت فوق الكل) (١٢) كالكل : كالكلى ح (كتبت فوق كالكل) || فيه : سقطت من ح (١٣) فقد : وقد م ، سا (١٤) ولذلك : وكذلك م

أى يجعل شيئا ، لم يقنع به ، مقنعا به . فإن كل مقنع : إما مقنع فى نفسه كما يسمع ، و إما مقنع فى غيره ناقل إليه . لكنه ما لم يكن مقنعا فى نفسه لم يقنع فى غيره . والمقنع فى نفسه هو المحمود .

والمحمود : إما بحسب إنسان إنسان ، أو عدة بأعيانهم . وهذا القسم من المحمود ، مع أنه غير مضبوط ، لكونه غير محدود ، فهو أيضا غير مضبوط ، لكونه مختلفا غير ثابت . فإن كل واحد يرى ما يهوى . وتختلف الآراء بحسب الأهواء . ومثل هذه المحمودات ، و إن صلحت لأن تستعمل فى كثير من القياسات من الخطابيات ، فإنها لا تصلح لأن تجعل عمدة فى الصناعة . فإنها لا تتناهى أحوالها .

و إما محمود بحسب الجمهور، أوطوائف منهم ليس من حيث لهم عدد حاضر. فإن الخطابة تشارك الجدل فى استعمالها . فإن الخطابة قد تستعمل المحمودات التى ليست بحسب هوى واحد، بل بحسب هوى الجمهور. لكن الجدل يحتاج إلى المحمودات احتياجاً على شرط المنطق، إلى أن يكون المؤلف منها قياسا بشرائطه. وشرائطه أن تكون المقدمات حقيقية الحمل، وتكون مع ذلك صحيحة التأليف ، وعلى نظم قياس ، إما بالفعل و إما بالقوة . و إذا كان قد وقع فيها إضمار ،وكان على سبيل إيجاز ، لو صرح به لم يتغير حكمه . وليس كذلك حكم الخطابة . فإن الخطابة يكفى فيها أن تكون المقدمات فيه محمودة فى الظاهر ، بأن يكون الناس يرونها

(١) مقنعا به : سقطت من د || إما مقنع : سقطت من د (٢) ما : سقطت من س (٤) بأعيانهم : بأعيانها د (٥) لكونه : لكنه م || محدود : محمود د ، س (٦) الآراء : الأول د (٦–٧) بحسب الأهواء : سقطت من ح (٧) لأن : أن لا ح (٨) من : سقطت من س || لأن : أن د || فانها : لانها س (١٠) واما : فاما د || محمود : محمودا فى كل المخطوطات. النصب جائز إن قدرنا فعلا محذوفا مثل "يكون". ولكن الرفع أولى || أو طوائف : وطوائف د (١١) فان الخطابة ... استعمالها : سقطت من م (١٣) إلى أن : أن د : إلى إلى أن ح : أى س || المؤلف : مؤلفا د || قياسا : قياس د || بشرائطه : سقطت من س (١٤) الحمل : الحد ب || التأليف : للتأليف م (١٥) قد : سقطت من م || وقع : وضع س ، ه || وكان ه : كان ح ، س ، سا : أو كان م : فكان ب ، ن : سقطت من د (١٦) فان الخطابة : سقطت من د ، م : بل س (١٧) فيها : + فى م ، ن ، ه (ثم كتب فوقها ز فى ه) || فيه : فيها د : سقطت من س ، ن

لا على سبيل هوى، بل بحسب اعتقاد فى أنفسهم : إما واجب ، وإما باغترار . فمن ذلك محمودات حقيقيــة ، وعند كل النـاس ، أو عند طوائف . فإن المحمودات الحقيقيـة محمودات أيضا فى بادى الرأى . ومنهـا ما من شأنه ، إذا غافص الجمهور ، أقنعهم ، ولا يكون هو المحمود الأول ، ولكن يشبهه بمشاركة اسم أو فى معانى أخرى ، ويخالفه فى شرط من شروط النقيض . وبالجملة : يكون فيه سبب من الأسـباب المغلطة . لكن من شأن الجمهور ، أو أكثرهم ، أو طوائف منهم أن يقبلوه، عندما يغافصون به، قبول ظان . وإذا خلوا بأنفسهم وفكروا ، درى بعضهم أنهـا ليست هى المحمودات التى تقبل لأنفسها ، وأنه قد غلط فيها وأُخذ مكان المحمودات بذاتها . وأما المنطق ، فإن قانونه يمنعه أن يقبل من المحمودات عند الجمهور إلا إياها بأعيانها ، ومن المحمودات عند طائفةٍ ما إلا إياها بأعيانها ، لمعرفته بالقوانين المميزة بين الشىء وشبيهه . فالخطابى يستعمل المحمود الحقيقى ، والمحمود بحسب الظن ، والذى قد ظن ظنا من غير نسبة إياه إلى أحد ، وهذا هو المحمود بحسب إنسان ما .

(١) لا : وه : سقطت من س ، م ، ن || على : سقطت من ه || باغترار : كتب فوقها فى ح باعتبار (٢) الناس : إنسان س ، ه || طوائف : الطوائف م ، ن ، ه || فان : بان د (٤) اقنعهم : اقلقهم ه : وأقنعهم ح || ولا : لا ح ، ه || هو : هذا س || المحمود : المحمودات سا || يشبهه : شبه س (٥) اسم : الاسم ن || فى : سقطت من م || معانى : معان س || أخرى : اخر ن : الحد د : الجزء ب ، ح : الخير سا : الجنس بخ || فى شرط : بشرط د : شرط ب ، ح ، سا (٦) فيه : سقطت من د (٧ — ٨) أن يقبلوه ... تقبل : سقط من د (٧) يغافصون : يعارض ه (٨) هى : من س ، ن || تقبل : كتب فوقها فى ب : لاخ (٩) واخذ : فأخذ د : وأخذت ح || بذاتها : بدلها ه (١٠) اياها : سقطت من س (١١) ما : سقطت من د (١٢) شبيهه : شبه د ، ه ، ن || فالخطابى : والخطابى د || المحمود : المحمودات ه (١٣) ظن : يظن س || أحد : حد ه : حمد ح ، د ، س || وهذا : فهذا م || ما : سقطت من سا

ولكن صناعة الخطابة ليست يتوقف تمـامها إلى أن يعرف المحمودات بحسب شخص شخص، بل بأن يعترف أن المحمودات أيضا بحسب شخص شخص نافعة له وإن كان يجهلها . فإذاً المحمودات بحسب شخص شخص ينتفع بها فى المخاطبة من حيث يعلم منها هـذا الأمر الكلى . ولا تحتاج الصناعة إلى أن تحصرها حصرا، بل يجب عليها أن تحصر وتضبط المحمودات الحقيقية والمحمودات بالظن التى من شأن الجمهور أن يسلموها قبل النظر فيها والتعقب لها .

والمحمودات الحقيقية هى التى إذا تعقبت لم يَزُل حمدها ، أو عرفت أنها هى التى تحمد بأعيانها لا غير، وإن زال عنها الحمد. وإنمـا يزول عنها باستقصاء يعرف حالها فى الصدق، إذا انكشفت عن كذب، فتصير غير محمودة عند من اطلع على سرها الذى فيها ؛ إلا أنه يعلم مع ذلك أنها محمودة عند الجمهور، مغلوط فيها . لكن ذلك السر ليس مما يطلع عليه عامة الجمهور. فمثل هذا هو المحمود عند الجمهور، ولا يزول حمده عنه بأن يلوح لمتعقب كذبه .

وأما المنطق الجدلى ، فإنما يأخذها محمودة لأنها عند الجمهور محمودة ، ومن جهة أن هذا المعنى موجود لهـا . بل أهل النظر البرهانى أيضا يرونها محمودة ،

---

(١) الخطابة : سقطت من ب || تمـامها : سقطت من م || أن : سقطت من د || يعرف : تعرف د (٢) بأن : ان م || يعترف : يعرف ن || بحسب شخص شخص : بحسب شخص ب، م، ن، سا (٢ — ٣) نافعة له . . . بحسب شخص شخص : سقطت من ج (٣) ينتفع : سفع س || بها : به س، سا (٤) منها : + منها ن || هذا : سقطت من ن || ولا : ولكن لا ن (٥) عليها : علينا س، ه || بالظن : بحسب الظن س ، ه (٦) التى : الذى س || ان : وان ه (٧) هى : وهى ن || حمدها : محمدها م : يحمدها د ، س، ه || أو عرفت : وعرفت ح، سا : وعرف د (٨) لا غير : لا غيرها د ، س ، ه || وإنما : فانما س ، ه (٩) كذب : كتب فوقها فى ح كذب || محمودة : محمود ه (١٠) الذى فيها : سقطت من س ، ن ، ه || مغلوط : مغلوطا فى جميع المخطوطات (١١) السر : + الذى فيها س ، ه : + فيها ن || يطلع : يتطلع ب ، د ، ه، سا || عليه : سقطت من سا || المحمود : محمود ح ، س ، ه، سا || ولا : لا ح، د، س، سا (١٢) بأن : كتب فوقها بل فى ح (١٣) وأما : وانما ب || ومن : + ومن د (١٤) موجود : موجودا ب

لا يشكون فى أنها محمودة ، لكنهم إنمـا يشكون فى أنها صادقة .

وأما المحمودات المظنونة فهى التى، إذا تعقبت، زال حمدها، لا لأجل ظهور الكذب فقط ، بل لأجل الشنعة ، أو لأجل فقدان الحمد فقط من غير ضـد . فيكون الخطابى و إن استعمل محمودات حقيقية ، فإنمـا يستعملها من جهة أنها أيضا محمودة فى الظاهر . فإن كل محمود حقيقى محمود فى الظاهر. و إنما يتصرف فيه على المعتاد فى الظاهر من غير أن يجعل لها ترتيب القياس ، فيزول الانتفاع بالضمير . ومع ذلك يؤنس منه ضرب فى فن غير المعتاد .

فقد بان إذاً أن الجدلى يتصرف فى المحمودات على شروط المنطق، والخطابى يتصرف فيها على الرسوم المعتادة ، بل يلزم الرسوم المعتادة فى مادة قياسيه ، وفى صورته حتى إن كانت الصورة قياسية فى الظن استعملها كالموجبتين فى الشكل الثانى. وذلك لأنه متوخ بما يعمله الموقع عند القوم الذين لا يحتملون المخاطبات المرتبة قياسا بعد قياس إلى غرض مطلوب فى مدة طويلة ، ولا يضبطونه ، ويمله الحكام منهم ، فيتوقعون لمح الغرض من كثب ولا ينفذ نظرهم إلى أمد بعيد ، و يقنعون بمـا يلوح و إن لم يحقق ، و يقل بحثهم عن أمور وجودها بالضرورة. و إن كان قد يعرض إما على سبيل وضع منهم للصناعة فى غير موضعها إذا تعاطوا كلاماً فى شىء من أموره الطبيعية أو شىء من المعانى الإلهية ، و إما

(١) لكنهم : ولكنهم س ، ه || انمـا : اما م (٣) الشنعة : الشعبة م ، ن (٤) و إن : و م || فانمـا : فانها س ، ه || يستعملها : استعملها ن (٤–٥) أنها أيضا محمودة : سقطت من م (٦) فيه : فيهـا س ، ه (٧) فى فن : من ه || فن : سقطت من ن (٨) الجدلى : الجدل م ، ن ، ه (٩) فيها : سقطت من د || يلزم : ملزوم م ، ن ، ه (ثم كتب فوق الواو خ) (١٠) صورته . . . قياسية فى : سقطت من د || صورته : صوريه سا (١١) يعمله : يعلمه سا (١٣) و يمله : يمله د || فيتوقعون : بل يتوقعون د ، م : بل يترفعون ه : فوقعون ن || ينفذ : يبعد د (١٤) يقل : يحل ن (١٥) يعرض : يعترض ب ، م ، ن ، سا (١٦) تعاطوا : تغالطوا ح ، م ، ن || شى من : وعلى ه || اموره : امورها م ، ن : امور د : اموره ح (ثم كتب فوقها الأمور) || الطبيعية : الطبيعة ه : للطبيعة ح

على سبيل استعمال الواجبات فمثل قولهم : إن فلانا لا يجتمع فيه حب الشهوات والفضيلة العفية ، وإن فلانا لا يراقب الله ما دام معتقداً لاستحالة البعث وموجبًا فناء النفس . بل أكثر نظرهم إنما هو فى أمور ممكنة كالمشوريات التى يكون كونها ولا كونها فى المستقبل بمنزلة واحدة . فكيف يصرح فيها بمقدمات كلية إلا تعريضا للشك ؟ فإن المقتصر على قوله : إن فلانا يسعى بفلان، لأنه كان يشاور الأمير ساعة إيعازه بالقبض عليه ، ربما أقنع . فإن صرح بالمقول على الكل ، شعر فى الوقت بكذب المقول على الكل ، فشعر بوجوب الشك فى الملتمس إثباته . وربما كان الازدياد فى الشرح سببا لإثارة الشك ولنشاط السامع للتكذيب أو للتنفير بسبب استيحاش النفس عن التكرير .

وليس كل التفكيرات والضمائر عن ممكنات بالتساوى ، بل قد تكون عن ضروريات، وعن أكثريات. والضمائر الموجودة فى كل واحد من هاتين قد تكون من الصادقات، أى من المحمودات الحقيقية، وقد تكون من الدلائل. والمحمودات الحقيقية نسبتها إلى المحمودات الظنية نسبة الصادقات الحقيقية من المحمودات، وبالعكس .

فمثال ما يكون من المحمودات فى الضروريات قولنا : زيد عالم زكى النفس ، والعالم الزكى النفس سعيد فى الآخرة . وهذه المقدمة المحمودة قد تحذف وتستعمل قوتها ، وإنما يصرح بها مهملة ، لئلا يكون المقول على

(١) استعمال : استعلام س || فتل : مثل د ، م ، ن (٢) معتقدا : متعقدا د || البعث : البحث سا
(٣) موجبا : موجب ب || أكثر : اكثرهم ح (٤) المستقبل : مستقبل ب || فيها : و كان هـ
(٥) يسعى : سعى د : يشق س (٦) يشاور : يسارر ح || إيعازه : ايعاده س : ايعاذه هـ || ربما : وربما هـ (٧) بكذب : كذب د ، س ، م || فشعر : مشعر د (٨) اثباته : سقطت من د || الشرح : السروح م ، ن ، هـ || لاثارة : لايثاره م (٩) لنشاط : لنشط د || أو : وب سا || للتنفير : للتفسير م || عن : على س (١٠) التفكيرات : التفكرات د || عن : غير سا (١١) واحد : وحده س : سقطت من ن (١٣) نسبتها : وبما منها د (١٦) المقدمة المحمودة : المحمودات م
(١٧) المقول : القول ن

الكل ، من حيث هو مقول على الكل ، مصرحا به . أما تأليف مثل هذا — ويكون تأليفه على منهاج الشكل الأول .

ومثال ما هو من الدليل بالتسمية الخاصة قولنا : هذه المرأة ولدت ، فهى مفتضة . فتجعل الولادة دليلا على أن يعرف الافتضاض ، وهو دليل صدق لا يخلو عنه ، فيلزم أن يكون معه أو أخص منه . ولذلك يكون على قوة الشكل الأول .

وأما العلامة : فهو حكم ، إما أن يكون المحمول يلزمه ، وهو لا يلزم الموضوع ؛ أو يكون هو يلزم الموضوع ، والمحمول لا يلزمه . فإنه لو لزمه المحمول ولزم هو الموضوع ، كان دليلا ، فانعقد الشكل الأول . فالعلامة الأولى منهما تبين بالشكل الثالث ، كقولنا : الفقيه عفيف ، لأن زيداً الفقيه عفيف . والصدق فى هذا الكلام أن يقال : إن زيداً فقيه ، وزيداً عفيف ، فكل فقيه عفيف . فيكون زيد علامة لكون الفقيه عفيفا . لكن العفة لزمت زيداً ، وزيد ليس يلزم الفقيه ، حتى يكون كل فقيه زيداً . والعلامة الثانية تكون من الشكل الثانى ، مثل قولهم : هذه منتفخة البطن ، فهى إذاً حبلى . والصدق فى هذا الكلام أن يقال : هذه منتفخة البطن ، والحبلى منتفخة البطن ، فيكون انتفاخ البطن علامة للحبل . لكن انتفاخ البطن قد وجد فى هذه ، وأما الحبل فليس موجودا لكل منتفخ البطن . ولنورد أمثلة هذه فى الأكثريات .

---

(١) أما : وأما ب || أما تأليف مثل هذا : سقطت من د (٢) ويكون : فيكون س ، ه (٣) بالتسمية : بالنتيجة ه || فهى : وهى م ، ن (٤) وهو : هو م || لا : ولا م (٥) أو : و سا || منه : سقطت من س ، ه || ولذلك : وذلك س ، ه || يكون : سقطت من س ، ه (٧) أو يكون هو يلزم الموضوع : سقطت من م || هو : سقطت من س || والمحمول : والمحمولات س ، ه (٧ — ٨) المحمول ولزم هو الموضوع : سقطت من ح (٨) فانعقد : وانعقد د || منهما : منها م (٩) تبين : تتبين ح ، د ، سا (١٠) يقال : يقول س || ان زيدا : زيد د || وزيدا : وزيد د || فكل : وكل د (١٢) وزيد : وزيدا س (١٤) يقال : يقول س || والحبلى منتفخة البطن : سقطت من م

أما القياس من الأكثريات فأن تكون الكبرى محمودة بالحقيقة، لكن ليس صادقة فى الكل، بل فى الأكثر من الأشخاص، أو الأكثر من الاعتبارات، مثل قولهم: زيد كاف الأذى ، فهو محبوب . ويكون الدليل الأكثرى مثل قولهم : زيد محموم ، فهو إذاً سريع النبض . وهذا يسمى دليل الأولى والأشبه عند قوم . وأما العلامة من الشكل الثانى فأن يقال : زيد سريع النبض مثلا ، فهو محموم. وأما العلامة فيها من الشكل الثالث فمثل أن يقال مثلا : الشجعان لا يبخلون ، لأن على بن أبى طالب كان لا يبخل .

فهذه ثمٰنية وجوه من الضمائر عن الضروريات والأكثريات .

فصل [الفصل السابع]

[فى مثل ذلك]

وأما الكائنة عن المتساويات فهى التى يكون فيها المعنى علامة للشىء ولنقيضه جميعا . أقول : لكنه يكون علامة لأحدهما بنفسه من غير واسطة ، ويكون علامة للنقيض بواسطة ، أو يكون علامة للأمرين بواسطتين ، أيهما سبق إلى الذهن ميل الذهن إليه ، ولابد من تلويح أكثرية فيه لا بحسب الأمر

---

(٢) من الاعتبارات : سقطت من سا (٣) محبوب : محمود س (٤) دليل : دليلا ح
(٥) محموم : سقطت من د (٦) فيها : سقطت من د || مثلا : سقطت من ح (٧) طالب : + عليه السلم ب ، م ، ن ، هـ : + عليه السلام ح : + كرم الله وجهه بخ : + رضى الله عنه س || كان : سقطت من م || يبخل : يخل س (٨) ثمٰنية : ثمانية د ، س ، هـ (٩) فصل : فصل ٧ فى مثل ذلك هـ : فصل زَ ب : الفصل السابع م : الفصل السابع فى مثل ذلك س (١١–١٣) للشىء . . . ويكون علامة : سقطت من س (١٣) للنقيض : النقيض د

فى نفسه فقط ، بل و بحسب الظن و بادى الرأى . فإنه ما لم تكن هناك أكثرية مظنونة ، لم يكن ميل نفسٍ البتة . وأما إذا أخذ المتساوى ، من حيث هو متساوٍ فى الظن ، لم يوجب تصديقا . ومثال ذلك قول القائل : فلان قائم على رأس زيد القتيل الطرى منتضيا سيفه فهو قاتله ، وقول الآخر : فلان قائم على رأس زيد القتيل الطرى منتضيا سيفه فليس هو بقاتله . فالأول يعتمد مقدمة أكثرية : وهو أن القائم على رأس القتيل بسيف مسلول هو القاتل . وهذا يصدق فى الأكثر و يكذب فى الأقل . و يكون قد أخذ هذه المقدمة من حيث اعتبار نفسها . وأما الآخر فلم يأخذ المقدمة المقابلة لها من حيث اعتبار نفسها فقط ، ولكن إما أن يكون القائل التفت إلى عكسها وهو أن القاتل لا يقوم على رأس القتيل الطرى سالا سيفه ، وأكد ذلك أن مثل هذا القاتل يكون خائفا ، والخائف ينفصل عن مقام الزلة بعجلة متقيا حلول النقمة به . وهذا كله أكثرى . و إما أن يكون قد زاد فى العلامة شيئا ، فقال : فلان قائم على زيد القتيل الطرى المحقون دمه ، المتقى للعقوبة سافكه ، فتكون علامته غير العلامة الأولى . ولو فرضت العلامة هذه ، كان ضمير المحتج الأول لا يقنع أو يصحبه شىء آخر ، وهو أنه قد فوجئ قائما هناك غير ممهل للانفلات ، أو أنه منى بانسداد المخالص عليه ، فحينئذ تكون العلامة أيضا أخرى . فإن قنع قانع بأنه قبل

(١) فى : سقطت من ﻫ || فقط : سقطت من س || و بحسب : بحسب د ، س || و بادى : سادى م || ما : ان ح (٢) ميل : مثل سا || نفس : النفس س ، م ، ن ، ﻫ || البتة : اليه س ، ﻫ || المتساوى : المساوى م ، ن (٣) متساو : متساوى م (٤—٥) فهو قاتله ... سيفه : سقطت من س (٥) هو : سقطت من م (٦) القتيل : + الطرى ﻫ (٧) أخذ : أخذنا م || المقدمة : المقدمات ن (٩) وهو أن : سقطت من ﻫ || القاتل : القائم س (١٠) القتيل : سقطت من م || سالا : سال ن : شايما ح ، س ، ﻫ ، سا || ذلك : هذا ﻫ (١١) أكثرى : أكثر سا (١٢) فقال : فيقال م ، ن || قائم : القام د (١٣) للعقوبة : العقوبة ح (١٤) هذه : سقطت من د || الأول : + لكان ضميره الأول م (١٥) ممهل : متمهل ب ، سا : مهمل س ، ن || للانفلات : للانقلاب ن ، سا : للانقلات س (١٦) أيضا : سقطت من ن || بأنه : + قد ح || قبل : قُتل ب : قتل : ميل س

من غير هذه الشروط ، فتكون هذه العلامة من شأنها ، إذا انفردت ، أن توقع تصديقا ما ؛ ومن شأنها ، إذا أخطر بالبال معها قرينة شرط ، أوقعت مقابل ذلك . وأما إذا كانت من كل الجهات ، ونسبتها إلى الأمرين نسبة متساوية ، فيبعد عندى أن يقنع بلا قرينة البتة فى الشيء وفى نقيضه . اللهم إلا فى شخصين . ويكون فى كل شخص خاص حالٌ تستشعر يزول معها خلوص التساوى . ولهذا لم يتعرض المعلم الأول فى هذا الموضع للممكن المتساوى . فليكن هذا أيضا قسما ، ولكن على الشرط المذكور ، وليكن إقناعه لأكثرية ما مظنونة . وليفارق ذلك الأكثرى الأولى بشهرة تلك الأكثرية ووضوحها .

فأصناف الضمائر إذاً تسعة .

وأما المثالات فقد عرفتها ، وليس فيها كثير اختلاف . إنما الاختلاف الكثير فى أصناف الضمائر . وإنما تعظم المؤونة فى تفصيلها ، فإنها أيضا يختلف مأخذها كما فى الجدل ، فيصعب لذلك تفصيلها من حيث هى للخطابة نفسه ، ويصعب تمييزها من قياسات خاصة بعلوم وصنائع وملكات أخرى قد حصل كثير منها ، ويشبه أن يكون قد بقى منها صنائع وعلوم ولم تدرك بعد . والخطابة تشارك الجميع فى الموضوع ؛ فيحتاج أن يفصل بين القياسات التى تكون على حذو الخطابة منها ، كما يحتاج أن يفصل ما يكون على حذو الجدل منها ، ويفرق بين

(١) انفردت : انفرد س || ان : بان س (٢) إذا : ان د || مقابل : مقاتل (٣) الجهات : الوجوه ن (٤) فيبعد عندى : فعندى يبعد ح (٤) الشيء : شيء د || شخصين : ذلك شخصين م (٥) ويكون : فيكون ب ، ن (٦) هذا أيضا : أيضا هذا ب ، د ، س ، سا (٧ ــ ٨) ذلك الأكثرى : تلك الأكثرية س ، ه (٨) الأولى : سقطت من د || ووضوحها : وضوحها د (١٠) اختلاف : اخلاف ب || الكثير : سقطت من د (١١) أصناف : سقطت من د || الضمائر : + وعظم منفعتها د || المؤونة : المونة د ، س ، ه (١٢) لذلك : بذلك ه || للخطابة : الخطابة ب || نفسه : نفسها د (١٣) بعلوم : + خاصة س || حصل : يحصل ب (١٤) والخطابة : + قد س ، ه (١٥) فيحتاج : + إلى م ، ن ، ه (١٦) منها : فيها د || منها : فيها د ، م

حكمه و بين حكم الخاص بمبادئ الصناعة الذى ليس مألوفا عند الجمهور، ولا من مواضع مشتركة .

والمواضع المشتركة المذكورة فى الخطابة وفى الجدل أكثر انتشارا بالجملة من الكلام الخطابى والجدلى مفردين ومجتمعين . وكثير من هذه المواضع بأعيانها يستعمل فى الخلقيات والطبيعيات والسياسيات على اعتبار غير جدلى . إذ كانت هذه المواضع ، مثل مواضع الأقل والأكثر ، لاتختص بموضوعات بأعيانها ، بل تعم كل موضوع. فتستعمل فى الجدل والخطابة ، وتستعمل أيضا فى الأقاويل المستعملة فى الأمور العدلية ، أى الفضائل الخلقية ، وفى الأمور الطبيعية ، وفى الأمور السياسية ومايجرى مجراها ، فلا تختص بواحد منها فقط ، ولا تنسب إلى جنس واحد؛ ولكن يكون لها من حيث تستعمل فى الجدل نحو من الاعتبار ، ومن حيث تستعمل فى الخطابة نحو آخر من الاعتبار، ومن حيث تستعمل فى الصنائع الثلث المذكورات بعد الجدل — مخصصا بها التخصيص اللائق بها — نحو آخر. واستعمالها فى الخطابة والجدل إنما هو من حيث العموم، ومن حيث لا يتناهى الذهن فيها إلى شىء بعينه محدود من الموضوعات يخصصه بها. ولو حققت وفصلت ورددت إلى الواجب ، كان ذلك اختلاف علم سوى الجدل والخطابة ، كما علمت فى شرح أمر البرهان . ثم يختلف نحو استعمالها

---

(١) حكمه : الحكمة ح || و بين : وح، س || بمبادى : لمبادى س ، دا || الذى : التى س، م، ن ، ه || ليس : ليست ن، ه || مألوفا : مألوفه م، ن، ه (٣) وفى : فى س : وح (٤) مفردين : مقرون د || وكثير : فكثير ح، س، سا (٥) السياسيات : السياسات س، ه، ن || جدلى : جدل ن (٦) هذه : + هذه م || بموضوعات : بموضوعاتها ن : لموضوعات م (٧) الجدل : سقطت من د (٨) الأمور العدلية : العدلية د (٩) وما : وسائرما د (١٠) ولا : فلا س (١١) الخطابة : الخطابية م (١٢) الثلث : الثلاث ح || المذكورات : المذكورة ح، ه || التخصيص : لتخصيص م (١٣) إنما هو : سقطت من ح || من حيث العموم : سقطت من د (١٤) من الموضوعات : من حيث الموضوعات م : من الموضوعيات س (١٥) رددت : ردّت س : وردت د : زدت ه

فى الجدل وفى الخطابة ، فيحتاج أن يعرف لها كل هذه الفصول، وأن تستخرج الأنواع والمواضع معدة نحو الخطابة بعينها ، دون صنائع أخرى .

والأنواع : هى التى يختص نفعها فى أمر جزئى من موضوعات الخطابة .

والمواضع : هى التى يشترك فى الانتفاع بها جميع المواضع بالشركة .

---

(١) فيحتاج : + إلى د (٢) والمواضع : المواضع م || بعينها : بعينه د، سا (٣ — ٤) والأنواع... بالشركة : سقطت من س (٣) هى : سقطت من ح || نفعها : بعضها د ، م (٣ — ٤) يختص... التى : سقطت من سا (٤) هى : سقطت من د || بالشركة : فى المشركة ه : + تمت المقالة الأولى من الفن الثامن بحمد الله ومنه وهو حسبي ونعم الوكيل م : + تمت المقالة الأولى من الخطابة ولله الحمد ح : + تمت المقالة الأولى من الفن الثامن من المنطق فى الخطابة ه

المقالة الثانية

تسعة فصول

فصل [الفصل الأول]

فى الأغراض الأولية للخطيب

فيما يحاوله من إقناع والابتداء بمواضع المشوريات وأنواعها وأولها بالمشوريات فى الأمور العظام

إن المنازعة فى كون شىء ولا كونه هى منازعة عامة لجميع الأنواع الخطابية. فإذا رجع إلى التفصيل والتخصيص، فأكثر أصناف المحاورات العامية فى الأمور الجزئية يرجع إلى ما فيه خير أو شر. والجزئيات إما مستقبلة، و إما واقعة. و يبعد أن يقع للجمهور منازعة فى جزئى مستقبل واقع بالطبع والاتفاق : هل هو خير أو شر ؟ فإن هذا النحو من النظر بأهل العلوم أولى . بل إن تنازعوا فى هذا ، تنازعوا وهم يشيرون بالتحرز عنه إن كان شرا ، والتوقع له إن كان خيرا . و بالجملة : يلتفتون لفت أمر إرادى . و إذا كان كذلك ، فالمنازعات التى يتفاوض فيها الخطباء، وتتعلق بأمور ممكنة فى المستقبل إنما تقع ليشار بإرادتها واستصواب اختيارها ، أو يشار باجتنابها على سبيل صد عنها ، فتكون كلها مشاورية ، إما آذنة، و إما مانعة حاجزة . وأما الأمور الواقعة من الخير أو الشر

---

(١) فصل : فصلَ ا ب : الفصل الأول س ، م ، هـ (٣) اقناع : الاقناع م ، ن || أولها : سقطت من س (٥) شىء : الشىء س || عامة : سقطت من د ، س || الخطابية : الخطابة د : سقطت من م (٦) والتخصيص : سقطت من ن (٧) الجزئيات : الخيرات ب، د (٨) هو : سقطت من م (٩) بل إن : أو ان ح : بان م، ن || تنازعوا : يتازعوا م : يتنازعوا س، ن (٩–١٠) فى هذا تنازعوا : سقطت من ن (١١) لفت : لقب د || واذا : وان هـ (١٢) يتفاوض : يتعارض د : يتعاوض م || تقع : تمنع س (١٣) على : سقطت من د || صد : ضد د (١٤) مشاورية : مشارية م : متساوية ب ، ن ، د ا || إما : واما س || آذنة : آديه س : أدية هـ : اديه ح (ثم كتب فوقها ارادية) || أو : و ح ، د ، س

بالإنسان فلا يخلو إما أن يراد إثبات وجود هذا الخير أو هـذا الشر له فقط . وهذه هى المفاوضة التى يمدح فيها أو يذم. وهذا فقد يكون فى الحال، وقد يكون للماضى . ولكن الكلام فى خير معدوم وشر معدوم مما يقل . و إنمـا يمدح و يذم فى أكثر الأمر ما هو موجود خاص لنفسه أو حكمه ، فيكون أولى الأزمنة لموضوعات هذه المفاوضة هو الزمان الحاضر . و إما أن يراد وجود هذا الخير من إنسان آخر بإرادته ، أو وجود هذا الشر من انسان آخر بإرادته . وهـذا إما أن يكون الخطيب يفاوض إنسانا فى أن خيراً وصل إليـه منـه ، أو من إنسان آخر . وليس مع الاعتراف تشاجر وتنازع البتـة . فقصارى ذلك محاورة فى شكر ومشكور له . و إن كان هناك منازعة وتشاجر ، فذلك على وجهين : لأنه إذا كان النزاع واقعا فى أن خيرا وصل إليه من آخر ، وأريد بذلك إثبات فضيلة الآخر ، كان النزاع من باب المدح والذم . و إن لم يرد به ذلك ، كانت المنازعة منازعة فى أعم الوجوه وهو الإثبات والإبطال ، ولم تكن منازعة خاصة . فإذا على بدل الخير شرٌ ، كانت المفاوضة جارية على سبيل شكاية واعتذار . فيكون الذى يدعى وصول الشر إما إلى نفسه أو إلى غيره شاكيا أو نائب شاكٍ ، والذى ينكر ذلك أو يجعله على وجه لا يكون شراً أو لا يكون قصداً فهو معتذر أو نائب معتذر. ولا شك أن الأمر الذى يشكى أو يعتذر عنه أمر ماض .

---

(١) إما : الا د || او: و د (٢) فيها : لهـاس : بها ن ، ه (٣) وشر : وفى شر د : أو شر ه || و يذم : أو يذم د، ه (٤) أكثر : الأكثر ن || الأمر : سقطت من ن || خاص : حاضر ه : ماض ن || لنفسه : نفسه ن ، س : بنفسه ه || أولى : سقطت من م : الأولى ه || الازمنة : الاثر منه د (٥) لموضوعات : بموضوعات ب || وجود : سقطت من ن (٦) أو وجود... بارادته : سقطت من د || آخر : + إلى انسان آخر د (٨) مع الاعتراف : فى ذلك س || تشاجر وتنازع : تنازع وتشاجر س ، ه || البتة : اليه سا (٩) فقصارى : وقصارى د || وان : انم || هناك : هنالك د (١٠) إذا : ان ب ، د ، س || واقعا فى : سقطت من ب ، ح ، س ، سا || آخر : الآخر ه (١١) الآخر : للآخر ح (١٢) منازعة : سقطت من د (١٣) ولم : وان لم || شر : شرا د ، ن ، ه (١٤) إلى : سقطت من ه || نفسه : لنفسه ن (١٥) نائب : ثابت م || وجه : + آخر ه || لا : سقطت من ن || شرا : + أو لا يكون شرا م || أو : و س ، ه (١٦) يشكى : يشتكى ب ، ح ، د

فإذاً جميع المفاوضات الخطابية ثلثة : مشاورية ، ومنافرية ، ومشاجرية .

وكذلك السامعون ثلثة : خصم ، وحاكم يحكم بإقناع أحدهما ، وسامعون نظار . أما الحاكم فى المستقبلات فيكون الرئيس المدبر لأمر الجماعة ؛ وأما فى الواقعات فيكون كالمتوسط الموثوق بفحصه . وأما النظار فينظرون فى قوة أحدهما وضعف الآخر ، ليس إليهم غير ذلك شىء .

والخطابة من جهة أخرى تتم بثلثة : بقائل ، وقول ، ومخاطب .

وربما اتفق أن مهدت مخاطبة من هذه بسبب مخاطبة أخرى ، كمن يمدح شيئا أو يذم شيئا وغرضه أن ينتقل بعد ذلك إلى المشورة على سبيل التلطف فى الحيلة. ولكل واحد من هذه المخاطبات غرض خاص. أما المشورة: فهى مخاطبة يراد بها الإقناع فى أن كذا ينبغى أن يفعل لنفعه، أو أن لا يفعل لضره. وأما المنافرة: فمخاطبة يراد بها الإقناع فى مدح شىء بفضيلة ، أو ذمه بنقيصة. وأما المشاجرة: فمخاطبة يراد بها الإقناع فى شكاية ظلم، أو اعتذار بأنه لا ظلم. وربما لم تقع منازعة فى كون الأمر نفسه ، ولكن فى كونه نافعا أو غير نافع ، وكونه ظلما أو غير ظلم ، أو فضيلة أو نقيصة. والمشورة ليست تكون مشورة بسبب إقناعها فى أمر هو نافع بالحقيقة . فإنه ربما لم يكن نافعا بالحقيقة ، ولا عند المشير. لكنه إن أظهر

---

(١) ثلثة : سقطت من ح (٣) نظار : نظارة س، م || الحاكم : الحكام د || فيكون : يكون سا || لأمر : لأمور ح (٤) الموثوق : الموقوف د || بفحصه : بنصحه ب، م، ن، د ا (٥) فى قوة أحدهما : سقطت من ب، ح ، سا || شىء : الشىء م، ن، ه (٧) مهدت : مهذب ح ، سا (٨) أو يذم شيئا : سقطت من د || شيئا : سقطت من ه || المشورة : المشهورة ه || فى : وفى ن (٩) اما : واما ه || المشورة : المشورية س (١٠) كذا : كذى ح || أو : و س : سقطت من م || فمخاطبة : لمخاطبة ه (١١) بنقيصة : بنقيضه س، م، ن (١١–١٢) مدح ... الإقناع فى : سقطت من ه (١٢) لا : سقطت من ه || وربما : فربما د || تقع : هنع س (١٣) نفسه : سقطت من ح (١٤) أو : وكونه س || نقيصة : نقضة ن ، م || والمشورة : المشورة م || تكون : سقطت من د || اقناعها : + من م (١٥) فإنه ... بالحقيقة : سقطت من سا || أظهر : ظهر م ، ه

أنه نافع ، حاول الإقناع فيه ، فتكون المخاطبة مع ذلك مشورية . وربما كان المشورة ليست بالنافع ، بل بالجميل الذى نفعه من جهة أخرى ، وربما كان فى العاجل ضاراً . وكذلك المدح والذم ليس ينظر فيه دائماً إلى النافع والضار حتى يكون المدح للنافع ، والذم للضار ، بل ربما كان المدح مدحاً بالضار . فإن اقتحام الضرر والأذى للذكر الجميل ممدوح، كالذين يقاتلون فى سبيل الله ويُقتلون ويُخرجون ويُسلبون . وكثيراً ما يحمد العاقل بإيثار الموت على الحيوٰة . ولما كان القياس الخطابى فى جميع هـذه الوجوه يقتصر منه على قضية تقدم وتكون إما مأخوذة من المحمودات، وإما دليلا، وإما علامة، فكل واحد من هذه مقدمة، وهى بعينها مكان القياس ، ويرجع إليه على ماتحققت . والقياس المطلق من مقدمات على الإطلاق. والتفكير قياس يكون من هذه المقدمة على وجه خاص . فيجب أن يكون قد خزن عندنا مقدمات نافعة فى هذه الأبواب . ولما كان الضرورى كونه وعدمه لاإنسان يطلبه أو يهرب منه ، فلا تتوجه المشورة إليه، بل المشورة متوجهة نحو الممكنات. فينبغى أن يكون عند الخطيب المشير مقدمات فى إثبات أن الأمر ممكن أو غير ممكن ، وفى أنه هل يكون أو لايكون، وأيضا فى أنه هل كان أولم يكن. فإن هذا ينتفع به المشير فى التمثيل، وفى إثبات الإمكان أو نفيه . وينتفع به الشاكى، والمعتذر، والمادح، والذام . وأيضا فإن التعظيم

(١) حاول : وحاول ح، س، ه || كان ب، ح، س، ن : كانت د، م، ه، سا (٣) المدح : بالمدح م || ليس : وليس م || فيه : كتب فوقها فيما فى ح (٥) اقتحام : مقتحم د (٦) يخرجون : يجرحون ح || ويسلبون : ويسكنون د : يسلبون ح || وكثيرا : كثيرا س || يحمد : يمدح م (٧) الوجوه : سقطت من م (٨) مأخوذة : مأخوذا س، ه || وإما علامة : وعلامه ه || فكل : وكل ب : كل م || هذه : + اما سا (٩) المطلق : المطلوب س (١٠) التفكير : التفكر ح (١١) خزن : اختزن م || عندنا : عندم || فى : من د (١٢) لا : سقطت من ن || يطلبه : يطلب س، ن (١٣) المشورة : سقطت من د || متوجهة : موجه د : توجه ه (١٤) أو غير ممكن : سقطت من م (١٥) المشير : + والمنافر والمشاجر ب، م، ن، دا || وفى : فى سا (١٦) وأيضا : أيضا ن، ه

والتصغير ينتفع به المشير والمنافر والمشاجر بأن يقول : إن فى هـذا الأمر نفعا أو خيرا عظيما أو صغيرا لا يعبأ به ، وإن هذه فضيلة أو رذيلة عظيمة أو صغيرة لا قدر لها ، وإن هـذا عدل أو جور عظيم أو صـغير لا يلتفت إليه وسـواء اعتبر كل واحد منهـا بنفسه أو بمقايسة بعضها إلى بعض ، فظاهر أن الخطيب لا يقع له استغناء عن إعداد مقدمات فى التعظيم والتحقير ، والأفضل والأخس تكون مواضع وأنواعا . فلنبدأ باعتبار الأنواع المشورية . ولما كانت المشورة مشورة بمحاولة أمر لأجل غرض هو خير ، فبالحرى أن يحصّل المشير أقسام الخير الذى يشار به ، وقبله أن يحقق معرفته من حيث هو عام . ومن المعلوم أن الخيرات والشرور الواقعة بالضرورة خارجة عن توجه المشورة إليها ، إذ المشورة قول يراد به التحريك الإرادى نحو ما يكتسب بالإرادة من الخير أو ما يتحرز عنه بالإرادة من الشر . والضرورى لا محالة كائن ، أريد أو لم يرد . فالخير المشورى إمكانى ، لا ضرورى . ولا كل إمكانى . فإن من الإمكانات ما يصدر عن الطبيعة من غير إرادة ، ومنها ما يصدر عن عرض يعرض ، إما من خارج مثل انتفاع المحموم بنسيم الشمال إذا هبت ، وإما من داخل مثل انتفاع الشاكى مغسا ريحيا بغضب يعرض له على سبيل الانفعال ، وإن لم يكن مصدره عن الإرادة ، فيسخن مزاجه ، فيتحلل ريحه . وأمثال هذه

---

(١) ينتفع : ينفع م || إن فى : فى ان ح : الا فى س || نفعا : نفع س ، هـ (٢) خيرا : خير س ، هـ || عظيما : عظيم س ، هـ || صغيرا : صغير س ، هـ || وان : أو د (٣) يلتفت : يلفت هـ (٤) وسواء : سواء ح || بمقايسة : بمقاسة س || فظاهر : وظاهر هـ (٥) استغناء : استعفاء م (٦) الأخس : الاحسن سا || تكون : ركوب م || أنواعا : أنواع م (٧) ولما : وكما ح ، ن ، سا || هو : سقطت من ح ، س (١٠) بالإرادة : سقطت من م (١١) الخير ... من : سقطت من سا || اريد : يريد سا (١٣) الإمكانات : الامكانيات س ، هـ || عرض : غرض د (١٥) انتفاع : انتاع س || مغسا : مغصا ب ، س ، هـ || ريحيا : ريحا م : الحيا س || بغضب : يحصب سا

الأشياء لاتكون المشورة فيها مقدمة تمهد للعمل عليها، بل تكون المشوزة مقدمة للعمل الإرادى . فإن المشورة تختص بما كان من الممكنات إلينا أن نوجده أو نعدمه بالإرادة . فهذا هو الأمر العام لما تحوه المشورة . ثم ههنا أنواع خاصية ينبغى أن نحصيها غير ملتفتين فى إحصائها إلى الأنواع الحقيقية العقلية، بل نقتصر فى ذلك على المقنعات المظنونة . إذ ليست الخطابة معدة للتحقيق ، بل هى صناعة تتصرف فيها الصناعة القياسية بمواد من السياسة وأمثالها وعلى هيئة كالجدلية والسوفسطائية ، فنقول :

إن الأمورالتى هى أقسامّ المشورية الخطيرة جداً، دون الجزئيات التى لاتحصر، خمسة : العدة ، والحرب والسلم ، وحماية المدينة ، ومراعاة أمر الدخل والخرج ، وتفريع الشرائع ووضع المصالح .

فالخطيب المشير فى أمر العدة ينبغى أن يكون خبيرا بارتفاعات الناحية : من أى الأجناس هى ، وكم هى، و بمبلغ النفقات إذا جرت على القسط ليوازى الدخل بالخرج . و يوعز بنفى البطال الذى لا يضرب يده فى حرفة ينفع بها المدينة ، والمتعطل أقعدته الزمانة والعلة عن الاحتراف، و يحجر على المسرف بفضل سعته

(١) للعمل : العمل ح || تكون : سقطت من د (٢) الإرادى : + فان المشورة مقدمه للعمل الارادى ح || الممكنات : + التى م ، ن ، ه (٣) هو : سقطت من ه || العام : الامام ه || لما : كما ح (٤) العقلية : التعقلية س ، م (٥) فى ذلك : سقطت من د || الخطابة : الخطاه م (٦) هى : هو ب ، د ، ح ، سا || تتصرف : تضرب ح : يضرب د ، م ، هامش ه ، سا || السياسة : السياسية د ، ه (٧) والسوفسطائية : السوفسطائية ح (٨) هى أقسام المشورية : هى أقسام من المشورية س : هى من الأقسام المشورية ه : هى أقسام المشورة د : هى الأقسام المشورية ن (٩) والحرب : فى الحرب م || الحرب . . . المدينة : سقطت هنا من س ، ه ووضعت بعد الخرج || أمر : سقطت من س || الدخل : الداخل م ، ن (١١) العدة : + وأمر الدخل والخرج س ، ه || خبيرا : خيرا م ، ن ، ه || بارتفاعات : بايقاع ح (١٢) ليوازى : الوازى م || الدخل : الداخل س ، ن (١٣) بالخرج : والخرج ب ، سا : الخرج د || ينفع : ينتفع س ، دا ، ن (١٤) والمتعطل . . . الاحتراف : سقطت من ب ، ح ، س ، سا || اقعدته : أبعدته ن ، ه || الزمانة : زمانة م || الاحتراف : الاحتراق م ، ه : الاحراف د

عادلا به إلى الاعتدال . فليس كل ميسرة عن استكثار دخل، بل عمود الميسرة التأتى للتقدير فى النفقة . فإن التقدير فى الخرج مما يبسط فى ذات اليد . فهذا مما ينبغى أن ينصرف إليه وُكْد من كان مشيرا فى باب العدة . وينبغى أن يحيط علما بجزئيات الأخبار و بعوائد التجارب ، فإنها تذاكير وأمثال .

وأما المشير فى أمر الحرب والصلح فأول ما ينبغى أن يلحظه قوة الخطب الباعث على القتال وقدره وجدواه ، فربما اتضع قدره عن تجشم خطر القتال بسببه ، إما لأن كظم الغيظ فيه أخف وطأ من تكلف مؤونة الحرب بسببه ، فرب كظم كفى عظيما ، ورب نزق جلب ندما ، وإما لأن له دواء غير مر القتال يشفى داءه ، ويزيح علته . ثم بعد ذلك فينبغى أن يحيط بمقاتلة مدينته ، والمقاتلة المحاصرين، عددهم، وعددهم، ودربتهم بالحرب، وبسالتهم علما، وأن يحيط بحال نجدة لعسكره يرتجى لحوقها واستمدادها فى مثل ذلك ، وفى نقاء دِخْلتهم وطهارة نيتهم أو ضدها خبرا ، فرب نجدة عادت كَلًّا ومدد صار وبالاً . ويجب أن يكون هذا المشير ممن له بصر ببعض أنواع الحروب والتعابى ، إن لم يكن بكلها، وسماع لأخبار المتقدمين من المقاتلة فى مدينته وفى تخومها وما يليها ورسومهم ومذاهبهم ، وأن يكون خبيرا بعواقبها المحمودة والمذمومة بحسب

---

(١) استكثار : استكبار د || الميسرة : فالميسرة هـ (٢) التأتى : التالى هـ : الثاتى م : الثانى د || للتقدير : التقدير د || التقدير : التفسير م || مما : ما م (٤) التجارب : سقطت من م (٦) قدره : قدرة م (٧) إما لأن ... بسببه : سقطت من سا (٨) ندما : ندماء م : بذما د || لأن : ان د || مر : عزم م : سقطت من س، ن، هـ (٩) القتال : + بمقابله س ، ه || فينبغى : ينبغى هـ، سا || بمقاتلة : بمقابلة د، م || مدينته : مدينه م (١٠) المقاتلة : المقابلة م : بالمقابلة د : بمقاتلة ح || المحاصرين : المحاضرين د ، س، م : الحاضرين ح || عددهم : عدتهم سا || ودربتهم : دربتهم م || بسالتهم : + أى شجاعتهم ن ، هـ ، دا (١١) لعسكره : لعسكر ح || لحوقها : لحقوقها د || دخلتهم : دخيلتهم ح (١٢) صار : صارت س (١٣) التعابى : التعانى د || ان : وان س (١٤) لأخبار : الأخبار سا || المقاتلة : المقابلة م (١٥) والمذمومة : المذمومة م

غرض غرض من أغراض المقاتلين، فإنه سيستغزر من هذه الأحوال مقدمات ينتفع بها فى المشورة . وكذلك ينبغى أن يستأنف النظر كل وقت فى اعتبار عدة مقاتلة المخالف وشوكتهم هل هم مشابهون لمقاتلتهم فى ذلك . ولا يقتصر على الامتحان السالف ، فربما وفرهم إبقاء التناسل وانتقلوا عن قلة إلى كثرة ، وعن ضعف إلى قوة . وأن يعتبر جزئيات سالفة ، فإن الأمور فى أشباهها ، وتحتذى كثيراً حذو أشكالها .

وأما المشير فى أمر حفظ المدينة فينبغى أن يعرف أنواع الحفظ لأنواع البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها و بريتها و بحريتها ، و بما يكتنفها و يحيط بها . وأن يعرف مواضع المسالح، وأنها كيف ينبغى أن تكون فى قربها و بعدها ، وكيف وجه الاستظهار فى ترتيبها . فإن هذا أمر قد يوقف عليه و إن لم يعرف حال المدينة مشاهدة . وأن يعرف عدد الحفظة والذين أقعدوا مرصداً من المسالح ، و يتحقق نياتهم لينجد قليلهم بالمدد ، و يعزل خبيثهم بالناصح . وأن يكون له بصر بالمدارج المخوفة والمسالك التى يرتادها المغتالون ومن ينحرف عن الشوارع ، فيكون له أن يشير فيها بالأرصاد . وأن يقف على الحاصل من القوت وما يحتاج إلى جلبه

---

(١) غرض غرض : غرض د || سيستغزر : ستستغزر ب : سيستفز م : سيستعد ح : فاستشعر ن (٢) النظر : + فى س (٣) مقاتلة : مقابله س ، ن || مشابهون : يشابهون ح || لمقاتلتهم : لمقابلتهم م ، ن || على : فى س ، ه (كتبت فوق على) (٤) ابقاء : انقام ، سا : انف ه || عن : من س (٥) وأن : و ب || جزئيات : حربام : حرمان د : حرويا س (٧ — ٩) أنواع ... وأن يعرف : سقطت من د (٨) سهليتها : بسهليتها ح ، س ، ه ، سا || و بما : ودبما ح || يكتنفها : يكتفيها م (٩) المسالح : المسامح ن : المشايح س : المسائح ه || قربها : قوتها س || وجه : سقطت من م (١٠) قد : سقطت من ح (١١) اقعدوا : اعقدوا س || المسالح : المسايح ن : المشائح س : المسائح ه (١٢) لينجد : ليتخذ ب ، ح ، م || يعزل : يغره ه : يعرك سا || خبيثهم : خائنهم ب ، م ، ن || بصر : نظر د (١٣) يرتادها : يرتاد بها ه : و يادها د || المغتالون : : المغالون سا المغالبون ه : المغالقون ن || عن : على م || له : سقطت من م .

وإعداده من خارج المدينـة ، وما يحتاج إلى تجهيزه نحو ناحية أخرى لعوض أو لغرض آخر. فإن القوت وما يجرى مجراه من آلات اللبس وأُهَب الفصول، إذا انحسمت مادتها، عجز عن حفظ المدينة. وتكون هذه الأشياء لكل بحسبه. والناس يختلفون فى الحاجة إليها . فينبغى أن يكون المشير بصيراً بمقدار حاجة كل إلى كل ، وبأحوال أهل الفضائل وأهل الثروة منهم، فيشير بما ينبغى أن يستعان به فيه بأهل الفضائل والصنائع ، وما ينبغى أن يستعان فيه بأهل الثروة، مما ينتظم به شمل المصلحة .

وأما الخامس وهو المشورة فى أمر السنن فهو من أعظم الأبواب خطراً ، وأمسها إلى فضل قوة الخطابة حاجة. فأول ما ينبغى للسَّان أن يتحققه حال عدد الأنواع والاشتراكات المدنية، وحال التركيبات الخلطية التى تتولد عنها، وأن يعلم مناسبة اشتراك اشـتراك لأمة أمة بحسب عاداتها وخلائقها ، وأن يعلم السبب الحافظ لكل واحد منها ، والسبب الفاسخ له ،وما الذى من جهته يتقى فسخها، إما من الشركاء أنفسهم، وإما من أضدادهم الخارجين. والفساد ينجم من المدينة نفسها ، إذا لم تكن محكمة التـدبير من أمرين : أحدهما عنف من المدبر لهم ، وتشديد فى أمر الواجبات عليهم ؛ والثـانى إهمال ومسامحة وفسح ومراخاة .

(١) المدينة : سقطت من م || لعوض : لغرض ح ، سا (٢) القوت : القوة س || اللبس البر س || أهب : لهب م || الفصول : الفضول ح (٣) انحسمت : انحسم س || مادتها : مادته س (٦) الصنائع : + وما ينبغى أن يستعان به فيه بأهل الفضائل والصنائع د || يستعان : + به م ، سا (٨) المشورة : المشهورة ب ، س (٩) قوة : + فى م : القوة ن (١٠) يعلم : لم يعلم ن (١١) اشتراك : سقطت من م (١٢) واحد : سقطت من ن || وما : وإما م ، ن || يتقى : يبقى ب ، ح (١٣) والفساد : + والفساد هـ || ينجم : ينم ب ، ن ، دا : سقطت من م (١٤) من أمرين : من أحد أمرين د || المدبر : المدبرين ب || لهم : سقطت من س (١٥) اهمال : امهال س || فسح : فسخ ح ، س ، م ، هـ || مراخاة : مواخاه د

وأصناف السياسات التي تحفظ هذه الاشتراكات أربعة ، تتشعب إلى ستة . منها : السياسة الوحدانية إذا لم يرض السائس فيها بالشريك ؛ التي من جملتها السياسة التغلبية ، وهو أن يكون المطاع المؤتمر المنتهى إلى رسمه المتدبر بتدبيره هو المستولى بالغلبة ، إما بفضل ذات اليد ، وإما بفضل قوة أخرى ، ويكون مدبرها مقصور الهمة على الاستخضاع والتعبّد . ومن جملتها : سياسة الكرامة وهي أن يكون الرئيس يراعى مصالح المرءوسين لا لشيء يستعيضه منهم إلا للكرامة والتعظيم . ومنها : الرياسة الفكرية وهي أن يكون المطاع هو الموسر ، يرأس ويقدم ويتدبر بتدبيره لثروته من غير مغالبة تولاها قبل . ومنها : السياسة الإجماعية وهي أن يكون أهل المدينة شرعا سواء فيما لهم من الحقوق والكرامة ، وعليهم من الأُرُوش والجنايات ، لا يروس أحد أحدا خلة غير إجماعهم عليه ، ومهما شاءوا استبدلوا به . ومنها : سياسة الأخيار وهي أن يكون أهل المدينة متشاركين على طلب السعادة العاجلية والآجلية ، كل له مقام محمود بحسب فضيلته في نوع صناعته وجنسها ، فهو دون مَنْ فوقه إن كان ، وفوق مَنْ دونه إن كان ، وكل

---

(١) تتشعب : تنشعب ب : ينشعب س (٢) السياسة : السياسية ه || اذا لم يرض : اذ لا يرضى س || السائس : + التي يحفظم || التي من جملتها : ومنها د (٣) المؤتمر : المؤتمن د || المتدبر : المدبر س || هو : وهو ب ، س ، ه || المستولى : المتولى د ، س ، ه (٤) مدبرها : مدرها د (٥) ومن : ومنها د || جملتها : سقطت من د || هي : هو د ، س ، م (٦) مصالح : مصلحة س || يستعيضه : يستعصيه م : يستقصيه د || الكرامة : الكرامة س (٧) هي : هو د ، س ، م || يكون : + الرئيس س || يرأس : يروس د : سقطت من ح (٧ — ٨) يتدبر بتدبيره : مدبر بدبره ب : بتدبير يتدبره ح ، سا : بدبر سدبره س : بتدبر بتديره ه : تدبير يدبره م ، ن (٨) لثروته : لثروة ح : سقطت من م ، ه (٨ — ١٠) الاجماعية ... خلة : سقطت من م (٨) هي : هو د ، س (٩) شرعا : شراعا س || الكرامة : الكرامات د ، س ، ه (١٠) الجنايات : الجبايات س || لا : ولا د || اجماعهم : اجتماعهم د (١١) استبدلوا : استدلوا س || سياسة : ساسة د || هي : هو د ، س ، م (١٢) محمود : محدود د ، س ، ه (١٣) فهو : وهي ح || ان كان : سقطت من د || إن كان : سقطت من د

له عمل يعود بصلاح المشاركة ؛ وفيهم رئيس واحد أو رؤساء كنفس واحدة ، يذعن له أو لهم الآخرون طوعاً لا عن إجبار ، ويروسهم الرئيس استحقاقا ، لا لاتفاق. ثم تتشعب تحته رياسات بحسب الصناعات إلى آخر الناس ، لا نزاع بينهم ولا خصام ولا اختلاف ولا انشعاب. فإن كان الرئيس فيها حكيما ، وكان له مع الفضيلة المدنية فضيلة نظرية ، كان بالحرى أن تكمل هذه السياسة .

فأول هذه السياسات يسمى التغلبية ، والثانية تسمى سياسة الكرامة ؛ وإذا أخذت مع التغلبية سمى الأمر الذى يعمهما وحدانية الرياسة ، لامتناع الرئيس فيها أن يشاركه فى منزلته أحد . والثالثة تسمى سياسة القلة ؛ إذا أخذت مع التغلبية سمى الأمر الذى يعمهما سياسة الخسة . والرابعة تسمى سياسة الحرية والديمقراطية . والخامسة سياسة الخير، والسادسة سياسة الملك ؛ ويعمهما اسم سياسة السقراطية .

فيلبغى أن يكون المشير بصيرا بهذه السياسات ، وما يعرض لكل واحد منها من العوارض ، وما يؤول إليه حال كل واحد منها من المآلات . فإن السياسة الكرامية لا تحتمل المشاركة ، فهى بعرض أن تنتقل سريعا إلى سياسة التغلب . وسياسة القلة ، ما دامت سياسة قلة فقط ، لا يضرها ازدحام الرؤساء . وسياسة الحرية قد تنتقل إلى سياسة القهر ، وسياسة القلة ، وغير ذلك . كل ذلك لفرط المسامحة فى السنن أو فرط التشديد فيها . فإنها إذا كانت مهملة ، لم يكن قانون . وإذا كانت

(١) عمل : سقطت من د || يعود : يعمل بخ || فيهم : منهم د || واحدة : واحد م (٢) له : سقطت من ح || اجبار اجبارهم ه ، د ا : اخبار س (٤) وكان : فكان ح ، سا (٦) الثانية : الثانى س || وإذا : فاذا د (٧) يعمهما : يعمها ب ، د ، ن ، سا (٨) أحد : واحد م || الثالثة : الثالث س : الثانية م ، ن || إذا : فاذا ه : وإذا س (٩) سمى : يسمى س || يعمهما : يعمها ح ، د ، م ، ن ، سا || الخسة : الخسية د || سياسة : رياسة س (١٠) الخير : الحرسا || سياسة الملك : الملك د || يعمهما : يعمها م || اسم سياسة : اسم بسياسة م || السقراطية : السوقراطية ح ، س ، سا : الديمقراطية د (١١) بصيرا : بصر د (١١ — ١٢) وما يعرض ... فان السياسة : سقطت من د (١٢) المآلات : الحالات م ، ن (١٣) فهى بعرض أن : سقطت من د || فهى : أى ب ، ح ، د ا ، سا || بعرض : معرض ه || تنتقل : فتنتقل د (١٥) كل : وكل ه (١٦) أو : و د || فانها : فانه ح

مشددا فيها وقانونها التحرير، لم يجتمع التشديد والتحرير، فربما مالت إلى طاعة المدبر الذى له فضل بقوته أو فضل بيساره فتخضع له ، وتخرج عن الحرية إلى جانب العبودية ، ولا تبقى المراتب محفوظة .

وقد يعين على المشورة فى أمر وضع السنن تأمل قصص من سلف .

وأما فساد السنن من جهة الأضداد فليس يحتاج إليه الخطيب من جهة ما يشير فى وضع السنن ، بل من جهة حفظ البلاد .

وقد قيل فى ذلك وفرغ عنه . على أن استقصاء الأمر فى هذا العلم للسياسة ، لا لصناعة الخطابة .

فصل [الفصل الثانى]

فى المشوريات التى فى الأمور الجزئية غير العظام

قد وقف مما عددناه على المواضع التى منها تنتزع المقدمات المشورية فى الأمور العظام . والآن فقد يحق علينا أن ننتقل إلى إعداد المواضع المشورية النافعة فى الأمور التى بحسب الأشخاص ، وهى فى أنفسها غير معدودة ، إلا أن جميعها يشترك فى حكم أن المشورة تنحو نحو صلاح الحال، كان بالحقيقة، أو كان بالظن .

---

(١) مشددا : مسدودا ب : متعددا س || قانونها : قوانينها م || التحرير: التحرر م : التحرز سا || يجتمع : + فيها د || التحرر : التحرز سا (٢) بقوته : بقوة د || فضل : سقطت من د || تخرج : تخربه ب (٤) المشورة : المشهورة د || السنن : السهولس د (٤–٦) تأمل... السنن : سقطت من د (٧) وفرغ : ووع هـ || على سقطت : من م || العلم : لعلم ح : + الصناعة ن ، هـ ، دا : + لصناعة ب ، د ، م || للسياسة : السياسة ح، د ، سا (٩) فصل : فصل ٢ هـ : فصل ت ب : الفصل الثانى س ، م (١١) قد : وقد س || مما : بما س || تنتزع : منزع م (١٢) فقد يحق : قد يحقق سا || ننتقل : سقل ح ، د (١٣) فى (أنفسها) : سقطت من س (١٤) ان : سقطت من ب، ح، س ، سا || صلاح : اصلاح د || كان (بالحقيقة) : + حقيقة م

فيجب أن نحد أو نرسم صلاح الحال ، وأن نعدد الأمور التى هى أنواع لصلاح الحال أو أجزاء له ، باجتماعها يصلح الحال ، حتى يكون للمشير فيما يشيره مواضع يجعلها مقدمات مشورية .

قال المعلم الأول : ولا يقتصر على ما كان عند الخطباء فى ذلك فيما سلف من ذكر وجوب التهويل والتكبير أو التهوين والتحقير والحث عليها واجتناب ما يفسد النظام ويزيل الإقناع ، من غير أن عرفوا بماذا يكون التهويل والتكبير أو التهوين والتحقير ، وفيماذا يكون ، وما الذى يفسد غرض الخطيب ، وينقص إقناعه .

فنقول : إن صلاح الحال هو الفعال الجميل عن فضيلة ، وإملاء وإنساء للعمر ، مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس فى رفاهية وطيب عيش ووقاية وسعة ذات اليد فى المال والعُقَد ، وتمكن من استدامة هذه الأحوال والاستمداد إليها . فإن صلاح الحال بحسب الظن العام هو ما ذكرناه ، أو ما يجرى مجراه .

وأما أجزاؤه : فزكاء المحتد ، ووفور الإخوان والأولاد واليسار والأنعام ، وبلوغ الشيبة الحسنة لوقارها وأحوالها ، والصحة ، والجمال ، والجَلَد والجسامة ، والبطش ، ومع ذلك فالمجد ، والجلالة ، وسعادة البخت ، وأنواع الفضائل مثل أصالة العقل ، والبسالة ، والعفاف ، والبر . فبعض هذه بدنية ، وبعضها نفسانية ، وبعضها خارجة كالحسب والإخوان والمال والكرامة .

(١) نحد أو نرسم : نحد أو رسم د : نحد ونرسم ح : نحذوا رسم هـ : نحذو رسم سا : نحذوا اسم ن : يجدوا رسم م || نعدد : تعددس (٢) أو : و د (٥) أو : و د ، س (٦) والتكبير : والتكثير خ : او الكثير سا || أو : و د (٧) يفسد : نعد د || ينقص : معض ن (٨) فضيلة : + النفس ب : فضل ح (٨—٩) وإملاء وإنساء للعمر : وإملاء وإنساء الدهر ن : وإملاء وإنشاء العمر م ، بياض : واستمداد العمر ب ، د (٩) فى : وفى ب ، ح ، د ، سا || رفاهية : كتب أولا رفاغية فى ح ثم كتب فوقها رفاهية : رفاهية فى متن هـ وفى الهامش رفاغية || وقاية : وقايته ن ، هـ (١٢—١٣) اليسار والأنعام : الأنعام واليسار م || الشيبة : السنة م || الحسنة : سقطت من س (١٤) ومع : مع م (١٦) خارجة : خارجية ح ، د ، س ، سا || المال : الحال من

ومن حيي هذه الحيوة، وحسن منقلبه بعد الممات ، فهو السعيد عند الجمهور.

فأما أجزاء زكاء المحتد وشرف المنصب فأن يكون من قبيلة إما بنكاء فى المدينة نفسها من أول بنائها أو قدماء فيها ، أو علماء حكماء ، أو رؤساء مشاهير ذوى كثرة ، أحرار غير موالى ، أو أن يكون من قبيلة أخرجت سعداء قد تيسرت لهم أمور جزيلة وجميلة فهم لها مغبوطون . وهذا المحتد يتفرع إلى طرفى الأعمام والخؤولة جميعا إذا كان فيهم ما عددناه موروثا عن أسلافهم وموجودا فى المشايخ من الخلف وفى الأحداث منهم . وأما حال الأولاد ، فالأمر الجامع من صلاح الحال أن تكون فيهم كثرة مع الجسامة والجمال والبطش والقوة ، وأن يكون لهم مع ذلك من الفضائل النفسانية مثل العفاف والبسالة . ثم تخص كل إنسان فى ولده شهوة ، فمنهم من يسره جماله ، ومنهم من تسره ذكورته ، ومنهم من تسره أنوثته . وللإناث فضيلة تزاد فيهن خاصة وهى الجمال ، والعبالة فى البدن ، والعفة ، وحب الزوج ، والنشاط للعمل وإن كد . قال المعلم الأول : وبعض النـاس فى بعض البلاد يقتصرون من جميع ذلك فى باب النساء على الزينة ، كما للقدميين .

---

(١) ومن : فن س ، ه || حيي : حسن ح || الحيوة : الجاه م (٢) بنكاء : بتكا ح ، ه : بتكاء ب : .كا س ، ن : سكا د . هذه الكلمة نقلها ابن سينا عن الترجمة العربية القديمة ٨ب٣ ، واستعملها فى كتاب المجموع ، فى معانى كتاب ريطوريقا ، ص ٤٥ (طبعة محمد سليم سالم) (٣) بنائها : بناتها د || أوقدماء فيها : سقطت من د || حكماء : أوحكماء س ، ه || ذوى : ذوو س (٤) أحرار : أحرارا ب ، سا : احرازا د || موالى : موال ه : أموال م || أو : و ح || قبيلة : قبله م || أخرجت : أحرش د (٥) لها : له س : لهم ه (٦) الخؤولة : الخولة ه : الأخوال د : الجزوله س || موروثا : موزونا س || وموجودا : أو موجودا م : ومأخوذا س (٧) وفى : فى م (٨) كثرة : كثر د (٩) مع : فى ب ، ح ، د ، سا || مثل : من س || تخص : يجعل د (١٠) بجماله : بجماله د || من تسره : سقطت من د (١١) وللإناث : فللاناث : فالإناث ح : فالإناث ب : والأناث د ا || تزاد فيهن : سقطت من د . (١٣) فى باب النساء على الزينة : على الزينة فى باب النساء ح || كما : سقطت من ه || للقدميين : للقداميين د : كالقدمين ه : للتقدمين س ، هامش ه .

وقال بعضهم : إن اقريطن ، صاحب كتاب الزينة ، منهم .

وأما أجزاء اليسار : فكثرة الصامت والضياع والأموال من الأثاث والمواشى والعُقَد مع علاقة كل شيء ونفاسته واشتمال الوقاية عليه وتيسير الاستمتاع والتنعم به فى وجوه اللذات المشهورة . وأيضا الضياع التى تؤتى أكلها وتجنى ريوعها ، والمستغلات التى تعود بالربح من غير إنصاب موصولا إلى التصرف فيه من غير خوف وأن لا تبغضه الشركة ، ولا سبب من أسباب الحجر ، بل يكون إليه التصرف فيه تصرف الملاك احتباسا وإخراجا ببيع أو هبة . وبالجملة : فإن الاستغناء فى الاستمتاع ، لا فى الادخار .

وأما النباهة فهى الشهرة بأصالة الرأى وجمال الفعل ، وهى الفضيلة عند الجمهور ويؤثره الأكثر منهم ، وخصوصا أولو الكيس .

وأما الكرامة فإنما يلقاها فى الأكثر من عَمَّ بحسن الفعال . وقد تختلف بحسب الأزمنة والأمم ، فقد يكرم قوم لأفعال وأحوال فى أزمنة وبلاد يهان عندهم لها فى أزمنة وبلاد أخرى . والكرامة قد تكون بالعدل والاستحقاق ، وذلك إذا كان المتعرض لها قد اعتنى بحسن الفعال . وقد تكون لا عن وجوب ، كما يكرم المقتدر على ذلك وإن لم يعن به ، كالأغنياء إذا أكرموا ، والسلاطين إذا خدموا ، لأنهم يقتدرون على إنعام بمال أو جاه أو تخليص عن مضرة أو توصيل إلى مربحة . وليس

(١) اقريطن : افريطن د ؛ ه . ـن افريطان : قارن ابن النديم ، الفهرست ، ٢٩٣ ؛ القفطى ، تاريخ الحكماء ، ٥٥ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٣٤ (٢) وأما : فأما ح || فكثرة : وكثرة م : فكثيرة ح || الضياع : الصُناع م || الاثات : الاثث سا (٣) العقد : العقارد : الملك ه || نفاسته : بقماسه د || تيسير : تيسرح ، سا || التنعم : النعم سا (٤) وجوه : وجوب س || تجنى : يجبي ب || ريوعها : ونوعها م : وبوعها د (٥) التى : سقطت من ح || انصاب : انصباب م ، ن || موصولا : موصلا ح (٦) تبغضه : ينقصه ه ، سا (٧) احتباسا : احباسا ب ، د (٩) فهى : وهى م ، ن || جمال : جميل ب ، م ، ن || الفعل : الفعال د (١٠) يؤثره : يوثرها م ، ن ، ه || الأكثر : الأكبر ح (١١) يلقاها : سقطت من م || عم : عُمر ب ، م ، سا ، ح (كتبت فوق عم فى ح) || بحسب : سقطت من م (١٢) لافعال وأحوال : لاحوال أفعال ح || يهان ... وبلاد : سقطت من م || وبلاد : بلاد سا (١٤) وجوب : وجود سا || يكرم : يلزم ح (١٥) يعن : يغن ح || السلاطين : الثلاطين د (١٦) الى : سقطت من ح || وليس : نليس ب

كل النـاس يقتدرون على ذلك غير السلطان والغنى ، وأيضا النجُد القوىّ .

وأما أجزاء الكرامة فأن يدعى الإنسان بالخير، أو يتصدق باسمه، أو يقرب عنه، إما فى حيوته أو بعد موته ، على ما توجبه شريعة الوقت، وأن يصدر فى المجالس ويرأس فيها ، وأن يساعد على ما يريده، وأن يندب إلى الولائم والدعوات العامة فلا يغفل تحشيمه ، وأن يتقرب إليه بالهدايا والتحف. فإن الهدايا دلائل على كرامة المهدى إليه . وقد تسر الهدية طائفتين : إحداهما محبو القنية من حيث الهدية تحفة مالية ، والأخرى محبو الكرامة من حيث الهدية دلالة كرامية .

وأما فضائل الجسد فالصحة الغريزية التى لا تشوبها مسقامية مع اقتدار على استعمال الأعضاء الآلية كلها . فإن كثيرا من الأصحاء كالمرضى ، مثل الذين ركنوا بطباعهم إلى الكسل والخور، أو أفرطت بهم العبالة وأقعدتهم عن الحركة أو عذرت عليهم الإسراع فيها ، كما يعرف من حال الذين كسلوا لاعتياد الدعة فما بهم نهوض فى الحركة ، ولا استقلال بالمشقات وهل بين من تعطلت عليه أعضاؤه فلا تغنى غناءها وبين من لا أعضاء له فرق ؟ وهؤلاء الضخام والمترفون فى حكم من لا عضو له ، غير لسان به ينطق ، وأسنان بها يمضغ .

(١) وأيضا : ايضا س (٢) اجزاء : جزاء د || الانسان : للانسان د || أو : وح ، س ، ه || يقرب يعرف ه (٤) العامة : العامية د (٥) تحشيمه : تحشمه ب ، ن || دلائل : دليل م (٦) احداهما : أحدهما س ، م || القنية : القيمة س (٧) الهدية : + دلالة م || كرامية : كرامة ب ، م (٨) فالصحة : والصحة د ، م || مسقامية : مستقامية م ، ن ، سا (١٠) ركنوا : ركبوا ب || بطباعهم : بطباعهم ب || دن : على س (١١) أو : و س || عذرت : حقدت د : تعذرت س ، ه || الاسراع : بالاسراع د (١٢) فما بهم : فانهم د || الحركة : الحركات د ، س ، ه ، سا || ولا استقلال : والاستقلال س || بالمشقات : بالمشتقات د || وهل : فهل ب (١٣) غناءها : عنادها س : غناوها ه

وأما كثافة الجنس ووفور الخُلة فهو أن يكون للإنسان جماعة عديدة يعملون بخيرات تخصه .

وأما سعادة الجد فمعلوم أنه من صلاح الحال . وكم من خير عَمَّ ونعمة تمت بالبخت، لا عن اكتساب صناعى ولا عن فعل طبيعى! وإن كان فى الخيرات ما تفيدها الصناعة ، حتى إن الصحة كثيرا ما تفيدها الصناعة . وأما الجمال والجسامة الغريزية فمن الطبيعة لا محالة . وخيرات الجَد هى التى يغبط عليها المغبطون ، ويكثر عليها الحاسدون . والجَد من العلل الكاذبة التى لا تعويل عليها لا فى الخير ولا فى الشر : إما فى الأمور الطبيعية فأن يتفق للواحد أن يكون أقبح ممن حضره ، فيحسنون فى مقابلته بختا ؛ أو يكون أحسن من آخرين ، فيقبحون فى مقابلته بختا ؛ وإما فى الأمور الإرادية مثل اختصاص الواحد بالعثور على كنز دون آخرين والطريق واحد ، أو اختصاص الواحد بإصابة سهم غَرْب إياه دون آخرين والموقف واحد .

وأما الفضيلة فسنعد أجزاءها بحسب الظن فى باب المدح .

فهذه هى التى يشار بما يشار على واحد واحد من الناس لأجلها .

وقد بقيت النوافع المشتركة وهى التى يشار بها ، لا لها . والفرق بين النافع والخير : أن الخير يراد لأجله ، وغيره له ؛ والنافع يراد لأجل غيره ، وربما كان شرا . والخير هو ما يتشوقه الكل أو أهل البصيرة والمعرفة منهم كل بحسب ظنه ومبلغه من العلم ، حتى إن الذى يختاره الجاهل عن جهل لا يعده الجمهور خيرا ولا يظنونه ، بل إنما يعتبرون ما يميل إليه أهل الرأى

(١) الجنس : الجيش ب ، س ، سا || الخلة : الخدم د ؛ الحكمة م (٣) الجد : البخت د || أنه : أنها م || عم : غمر سا (٤) بالبخت : بالجد والبخت م (٥) الجمال : الحمل س (٦) والجسامة : سقطت من س || الغريزية : الغريزة م || الجد : البخت (٧) المغبطون : المغبوطون ب ، سا || الجد : البخت د : كتب فى ح الجد ثم كتب فوقها البخت (٨) لا : ولا سا (٩) حضره : حضر ب : تحضره ه (١٠) مقابلته : مقابله د (١١) والطريق : سقطت من د || أو : و م ، ه (١٢) غرب : عرف س || إياه : أتاه ب || واحد : سقطت من ح (١٥) لا : إلا سا (١٧) الكل : للكل م (١٨) الذى : الذين م

منهم . و إذا وصلوا إليـه سكنوا عن الطلب . و إذا وجدوا بعض أهل الرأى والتصور قد اختار شيئا ، كان ذلك حجة مقنعة عندهم فى أنه خير. وكان الخطيب ينتفع بالاحتجاج بذلك .

والمقصود المحتاج إليه الذى هو نفس الحاجة قد يشارك النافع الذى يفعل الحاجة و يوجدها أو الذى يحفظها و يديمها فى أن المشير يشير نحوه . فإن المشير يشير نحو الخير، ونحو النافع ؛ لكن يشير إلى أحدهما لنفسه ، و إلى الآخر لأجل غيره .

ور بمـا أشار بلازم النافع ، كمن يقول : اتعب تصح . وليس التعب هو علة الصحة ، بل الحركة الرياضية هى علة الصحة ، فيلزمهـا التعب . وكذلك يشير باجتناب علل الشر ولوازمها .

واللوازم كلها : إما لاحقة من بعد، كالعلم فإنه يلزم التعلم ، إلا أنه يتأخر عنه ، و إما مساوقة لوجود الشىء مثل استحقاق المديح بحسن السيرة فى الحيوٰة .

وأما العلل الفاعلة ، فمن ذلك ما يكون اسمه من حيث فعله ، مثل المصحح والصحة ، ومن ذلك ما لا يكون كذلك . وكل ذلك على قسمين : قسم تكون طبيعة المسمى إنمـا هى علة موجبة لمـا توجبه لكيفيتها ، كالغذاء للصحة ، ومنه ما لا تكون طبيعته علة موجبة لهـا لكيفيتها ، بل لكميتها مثل الارتياض للصحة . فإن الارتياض ليس علة للصحة من حيث هو ارتياض بالفعل، بل من حيث أنه بمقـدار منه يجب استعماله . والغذاء ، و إن كان له مقدار لا يجوز تجاوزه، فإنه ليس كالارتياض ، لأن ما فضل من الغذاء على الواجب وانهضم فلا يكون علة للمرض لذاته ؛ فإن

(٢) التصور: الصبور م : الصيور سا (٥) أو : و د || يديمها : يديرها د (٦) لكن : ولكن ب ، سا (٨) فيلزمها : فيلزمه س : و يلزمها ح || يشير : سقطت من د (٩) الشر: سقطت من د (١٠) التعلم : التعليم ب ، م ، ن (١٢) حيث : + يصح ن (١٣) تكون : + فيه س ، ه || طبيعة : + الجسم س ، ه (١٤) علة : علية د || لمـا توجبه : سقطت من د || منه : منها ح (١٤—١٥) كالغذاء ... لكميتها : سقطت من سا (١٥) علة : علية م || لها : له س ، ه : سقطت من د || بل لكميتها : سقطت من د || ليس : سقطت من م (١٦) هو : انه م (١٧) مقدار : مقدارا م (١٨) على : عن م

ذاته حين انهضم علة للصحة بذاته ؛ و إن لم ينهضم ، لم يكن غذاء بالفعـل . وأما المعتدل منه ، بل القليل منه ، إذا انهضم وقبـله عضو ما فهو علة لصحة ذلك العضو بالقدر الذى قبل . وأما الرياضة فقليلها وكثيرها رياضة وحركة ؛ لكن قليلها لا يوجب صحة شىء البتة ، وكثيرها ربمـا أوجب الضرر .

والنوافع : منها ما يعد خيرات ؛ ومنها ما يكون شرورا ، منفعتها التخليص من الشرور . و إذا خلص شىء من الشر كيف كان ، كان مقبولا عند الجمهور أنه هو الذى يفعل الخير الذى يتمكن منه عند الخلاص من الشر . ومن النوافع ما ينفع لا فى إفادة خير ليس <غير>[1] ، بل فى الزيادة إليه ، أو ينفع لا فى التخليص من الشر أصلا ، بل لتهوينه والكسر من حُمَيَّاه . فيكون هذا النقصان من جملة ما يعـد فائدة . إذ كان الأنقص شرا نظن به أفضل ، والأفضل أزيد على ما هو دونه ، فيكون الشر الأكبر (الذى هو فى نفسه أخص) أنقص فى الحقيقة . لكن الفائدة التى هى من باب الخير هى بالحقيقة فائدة .

وأما الفائدة التى من باب الشر التى هى الانتقاص من الآفة إنمـا هى من جملة الخيرات النافعة ، لا الخيرات الحقيقية . والخيرات الحقيقية التى هى الفضائل فهى أيضا نوافع فى خيرات عامية .

---

(١) وإن : فإن سا (٢) فهو : وهو م || لصحة : للصحة م (٣) الرياضة : الرياضية د : + فإن ب ، ه || فقليلها : قليلها ب ، م (٥) النوافع : الواقع د || التخليص : التخلص د ، م (٦) كان : سقطت من ب ، د ، ح ، سا (٧) الشر : الشرور ح ، ه || ومن النوافع : ومنها س (٨) أو : و س || التخليص : التخلص د ، ن (٩) الكسر : الكثير ه : الكبير ح || حمياه : حميات س : احياة م (١٠) إذ : إذا م ، ن ، ه || الانقص شرا : سقطت من ن || به : فيه ب || الافضل : الفضل م (١٠–١١) والأفضل أزيد... فى الحقيقة : سقطت من ب ، ح ، سا (١١) أخص : أخس س ، ن (١٢) من : فى س || هى : سقطت من د (١٣) وأما : و د || التى من : فى د : التى فى سا || من باب الشر التى : سقطت من س || الانتقاص : الانتقال د ، ه (فوق الصاد كتب ل فى ه) || هى : هو د ، س (١٤) النافعة : النافية س

---

(١) لم يرد فى كلام العرب حذف اسم ليس وخبرها

واللذة من الخيرات العامية، لأنها مما تشتاق إليه الطبيعة الحيوانية. بل كل مشتاق إليه إما جميل، وإما لذيذ، وإما نافع. فإذا كانت اللذة تعد خيرا، فكيف ما كان من اللذيذ — مع أنه لذيذ — جميلا أو نافعا. وكذلك التمكن اللطيف، مثل الذكاء وحسن القبول. وكذلك الحفظ والتعلم والخفة فى العلوم والصنائع. وقد تختار هذه لذواتها لا لغيرها. فهذه خيرات نافعة معترف بها عند الجمهور، وأضدادها شرور.

وقد يمكن من جهة المغالطة أن تقلب القضية، فتجعل هذه الأحوال النافعة ضارة وشرورا، وأضدادها خيرات ونوافع. فإن الشجاعة ضارة إذا كانت للعدو، وكذلك العقل إذا كان له. فإذا أخذت ضارة مطلقة ولم تضف إلى الوجه الذى ينبغى أن تضاف إليه، كانت مغالطة. وربما كان من القبيح أو المتعلق به ساراً بذلك الشرط: مثل سرور رجل من الملوك المحاصرين ناحية، لما قتل عدوّه ولده فى بعض المغازى، فلم يزل يتضرع إليه حتى سلمه منه قتيلا، فاعتد بذلك، إذ تمكن من تدبير جثته بإحراقها على رسمهم وإحراز رمادها فى الكوز لينقل إلى موضعه، اعتداداً كان يصرح به عارضًا كوزه على ذويه وشيعته، ناشراً ليد عدوّه فى رده ولده القتيل إليه. وليس رد الولد قتيلا مما يسر به، لكنه قد صار ساراً باراً لما قارنه من الحال. إذ كان حجرهم بين القتيل وبين أوليائه ممكنا لهم. ولو فعلوه لكانوا قد زادوهم غما. وكان حكم الإحنة، وحكم غزو هؤلاء إياهم يقتضى الإمعان فى غيظهم. فلما لم يفعلوا، مع إمكان ومع استحقاق، كان ذلك خيرا عظيما من

(٣) التمكن : المكن ن ، ه (٤) والخفة : والحفظ الخفة د || وقد : قد د || هذه : سقطت من د (٥) شرور : شر ب ، ح ، م ، سا (٦) القضية : القصة ب، م، ن، ه، سا (٧) نوافع : مواقع ب || للعدو : بالعدوح ، د، م، سا (١٠) ناحية : سقطت من سا || المغازى : المعارك د (١١) يزل : سقطت من س || فاعتد : واعيد م (١٢) بإحراقها : باحتراقها س || رسمهم : رسهم س (١٣) كوزه : شكره ب || عدوه : عوهم ، ن (١٤) لكنه : ولكنه س ، ن ، ه || بارا : سقطت من ب، س، ن (١٥) ممكنا : كتب فوقها فى ح عكسا || لكانوا : كانوا د (١٦) غزو : سقطت من د (١٧) ومع استحقاق : واستحقاق م || كان : وكان ب

جهة ، ومنة عظيمة من الجنس الذى لا يمكن كتمانه إذا كان ظاهرا ، ويلزم الشكر عليه ، وإلا كان كفرانا .

فإن قال قائل : إن رد الولد قتيلا سار مطلقا ، بلا اعتبار مثل هذه الحال المقارنة ، كان ذلك مغالطة . وليس هو من المغالطة التى تقنع فيكون خطابيا ، بل هو من الجنس الذى هو مغالطة ، ولو فى الخطابة ، لأن مقدماته محرفة عن وجه الصدق ، وعن وجه الحمد ، وعن الظن جميعا .

ثم من الخيرات النافعة الإحسان أو المكافأة ، فإنه فى نفسه خير ونافع فى خير آخر هو النباهة والذكر الجميل والمحبة . وأفضل الإحسانِ الإحسانُ إلى الأفاضل بنصرتهم على أعدائهم الأراذل ، إما نصرة فعلية ، وإما نصرة قولية ، مثل ما فعل أوميرس الشاعر ، إذ اختار فاضلين هما ثاوذروس ملك أثينيه وهيلانى ابنته واختار أخيلوس الشجاع ونصبهم هدفا للمدح والثناء ، ونصب بإزائهم عدوهم اسكندر بن ملك بربر الذى كان عدواً لهم فتكلهم بالذم والهجاء ، ففعل بالأصدقاء والأعداء ما ينبغى أن يفعل من الإحسان إلى الأصدقاء والإساءة إلى الأعداء على المقدار الذى كان ممكنا له فعله .

فإن كان المتوقع من الإسداء هو الممكن المتوقع ، فإذا لم يكن إلا القليل ثم أتى به فلا تقصير . وإن أمكن أكثر ، فاقتصر على كثير دونه ، عد تقصيرا . وكذلك ما يحتمل من تقصير أو جفاء يقع من الصديق لداعى خوف ، إنما يحتمل

---

(١) كتمانه : كتمان م || إذا : اذ ب ، ح ، ه (٢) كان : لكان د ، س ، م (٣) سار : سارا س (٤) المقارنة : المقاربه سا || من : سقطت من د (٦) الصدق : التصديق م || الظن جميعا : الطعام م (٨) النباهة : النباهية د (٩) ما : سقطت من ح || اوميرس : اوميروس م (١٠) الشاعر : الفاصل س || ثاوذروس : ماوذروس د ا : بادوس ح : تادروس د ، ه ، م : ماودرس سا || اثينيه . لاثينيه س ، ه || هيلانى : هيلانا ب : هيلاى ح ، م ، ن ، ه || ابنته : اتينيه ح ، م ، ن || اخيلوس : خلوس د (١١) نصبهم : نصبهما د || بازائهم : بازائهما د || بربر : برص س : بوبر ن (١٢) فتكلهم : فتكلهم م : فكلهم د (١٣) له : سقطت من س || فعله : + تم الجزء التاسع من كتاب الشفاء ... ح (١٤) كان : سقطت من د ، س ، سا || المتوقع : سقطت من د ، س ، ه || يكن : يمكن د ، س ، ن (١٥) كثير : يسير ب || عد : عند م (١٦) الصديق : التصديق د ، سا

ولا يحزن عليـه ، إذا قل وقصر زمانه . فأما إذا طال وجاوز وقت الضرورة فهو مكروه ، ولا يقوم عليه العذر . لأن المتوقع من الإحسان بلوغ الإمكان ، والمعذور من الإساءة ما يصدر عن ضرورة وعوز إمكان . فما قصر عن الممكن فى الإحسان فهو تقصير ، وما جاوز الضرورة من الإساءة فهو قصد . و إذا دام الإذعان للحن واشتد الضعف والخوف حتى جاوز بالجفاء وقت الضرورة أورث الاستيحاش لا محالة . وقد فهم بعضهم من الضِّعف الضِّعف وهو التضاعف ، فكان معناه أن الشىء إذا تضاعف أملَّ، وإن كان قبله سهلا . والمثال لمـا نحن فيه ما تورثه طاعة الإنسان لهواه فى الإحسان . فإن هواه أن لا يتضرر البتة بإحسان إلى غيره بشر يصيبه فى مال أو حال . ثم إن دعاه داع من استحقاق المحسن إليه الإحسان جزاء عما قدمه من الإنعام إلى التضرر بنقص يقع له فى مال أو حال ، فهواه حينئذ موقوف على الغير، وهو أن يكافئه بما يقصر عن مستحقه ما قدر . فيغالطه عن كثير ما أسداه بالقليل ، وعن عام المنفعه بخاص المنفعة، وعما كان هو محتاجا إليه عند القبول بما هو فضل لايحتاج إليه مبتدئه بالإحسان . وبالجملة : يجهد أن لا يكون مكافئا بالمثل . والمكافىء بالمثل فهو الذى يكافىء بمـا هو مقارب فى الجنس أو مقـارب فى القدر والمنفعـة . وأما الموجبة للنباهة والحمد والثناء من المكافأة فأن لا يكون المبتدئ والمكافىء مؤثرا لإحسان

(١) يحزن : يخزى س، ه (٣) المعذور : المقدور د ، ه || عن : من س (٤) الاحسان : + للحسن ب، د، سا (٥) للحن : للحبر س : للجبر ه || اشتد : اشد د (٦) الضعف : سقطت من د (٧) فكان : وكان د، ه || سهلا : سهل : ب، م، ن ، د ا، سا || والمثال : أو المثال ب، سا (٩) بشر : بشىء س || حال : جاه س || دعاه : ادعاه م ، د ا (١٠) جزاء : خيرا ب ، سا (١١) فهواه : فهو د : فهو له س || الغير : الغبن س ، م || بما : فيا م (١٢) فيغالطه : فغالطه سا : مغالطه د || بالقليل : عن قليل سا (١٣) كان هو : كان س : هو ن || فضل : أفضل م، سا || مبتدئه : مسداه س (١٤) لا : سقطت من م (١٥) مقارب : مقارن س، م || مقارب : مقارن س || القدر : المقدار س، ه || الموجبة : الموجب د، ه (١٦) المكافأة : المكاة م

يسير أو مكافأة قليلة ، وقد تيسر عليه الجزيل . على أن المتيسر من المكافأة قد يكون تارة ما هو مثل الإحسان المبتدأ من جنسه بكماله وكايته ، وقد يكون ما هو أكثر منه ، وقد يكون شيئا خارجا من جنسه وشبيها به بالقوة ، وقد يكون ناقصا . ومن وفّى الممكن فقد أعذر ، ومن قعد عنه فقد أعذل . وقديكون من المكافأة أمور ليست أعواضا تملك ، بل مثل سر صديق و إيحاش عدوّ ، وأفعال يلتذ بمشاهدتها و يتعجب منها من الفكاهات وغيرها بحسب ما يقع له عند مشاهدة المتقرب إليه إياه من الموقع لاستعداد يختص به المتصرف إليه فى فطرته . فكل يلتذ بشىء و يتعجب من شىء يخصه . و إما بحسب ما اعتاده وتدرب فيه ، فإن الدربة قد تلذذ شيئا وتعجب منه ، لولاها لم يلتذ به ولا تعجب منه . ومن هذا الباب أيضا الهداية والنصيحة فإنه إحسان ومكافأة ما . ولموافاة الصنيعة أو الجزاء وقت الحاجة إليه والرغبة فيه موقع لذيذ ، بل عظيم كريم . ولكل واحد من النـاس خاص إيثار ؛ فلقوم ما يعينهم فى الغلبة ، ولقوم ما يعينهم فى الكرامة ، ولقوم ما يعينهم فى اليسار ، وهلم جرا .

والتصديقات الخطابية فى باب الخير والشر إنمـا تكتسب من هذه المواضع المذكورة .

---

(١) يسير : يسيرا سا || تيسر : تعسر د : يتسير هـ || الجزيل : الخليل د (٣) وشبيها : شبيها د || بالقوة : فى القوة د (٤) اعذل : عذل د (٥) أمور : أمورا د ، هـ || أعواضا : اعراضا د : أغراضا هـ : اعواض س || تملك : يملك سا || صديق : صديقه م (٦) مشاهدة : المشاهدة هـ (٧) المتقرب : المتعرف د : المتقرر س ، هـ || المتصرف : المتعرف د || فكل : وكل س (٨) بشىء : شيئا د ، م || اعتاده : اعتقاده م : اعتباره هـ (٩) قد : فيه س || لولاها : لوها د || لم : سقطت من د (١٠) أيضا : سقطت من سا || لموافاة : الموافاة هـ || الصنيعة : الصنعة د : الطبيعية هـ (١١) بل : سقطت من م (١١–١٢) واحد من الناس : سقطت من د ، س ، هـ ، سا (١٢) الناس : القياس م ، ن ، دا || خاص إيثار : إيثار خاص د || فلقوم : ولقوم ب ، د ، ن (١٤) الخطابية : سقطت من م

فصل [الفصل الثالث]

فى الأشد والأضعف وختم القول فى المشوريات

وقد يحتاج الخطيب المشير إلى مقدمات يعدها فى إثبات أن هذا الخير أفضل، وهذا النافع أنفع ، بل قد يحتاج إليه غيره أيضا . فينبغى أن يعد الأنواع النافعة فى ذلك .

فأفضل الخيرين أعمهما ، أو أدومهما ، أو أكثرهما جهات نفع وخيرية وأولاهما بأن يكون مقصودا لنفسه . و إذا كان الواحد من باب خير ما أفضل من عدة من خير آخر — إلا أن يكثر جدا — فهو أفضل . والخير الذى عظيمه أفضل من عظيم خير آخر فهو أفضل ، مثل أن العظيم من الحكمة هو معرفة الله ، والعظيم من العبادة هو المثابرة على الصلوات ، ومعرفة الله أفضل من المثابرة على الصلوات . فالحكمة أفضل من العبادة . وما كان أيضا نفسه أفضل ، فعظيمه أفضل ؛ فإنه إذا كان القرآن أفضل وأفصح من خطبة النبى ، ففصيح القرآن أفضل وأفصح من فصيح خطبة النبى . و إذا كان أحد الخيرين يستتبع الآخر ، إما معا كالسلطان

---

(١) فصل : فصل ٣ هـ : فصل ح ب : الفصل الثالث س ، م (٢) فى الأشد : الأشدس || القول : الكلام س (٣) مقدمات : المقدمات م || يعدها : بعدها سا || أفضل : سقطت من د (٤) وهذا : أو هذا ب ، سا || النافعة : سقطت من هـ (٦) فأفضل الخيرين أعمهما : ما فضل الخير وعمهما س || أو : و م ، ن || أو : و ن || أو أكثرهما : سقطت من م || جهات : صفات د : + من س || وخيرية : خيرية || سا وأولاهما : فأولاهما هـ : أو أولاهما ب ، م : أولاهما (٧) عدة : عنده م (٩) الله : + تعالى س ، هـ : + سبحانه وتعالى ن (١٠) العبادة : العباد م : العادات س : العباداة هـ (١٢) النبى : + صلى الله عليه وسلم م ، ن ، دا : عليه السلم ب ، س ، سا (١٣) خطبة سقطت من م || النبى : + صلى الله عليه وسلم هـ : عليه السلم س ، م ، سا || الخيرين : الخرين م : الأمرين س || يستتبع : صنع س

والكرامة ، وإما بأخرة كالسلطان واليسار ، وإما فى القوة مثل السلب فإنه نفسه فقدٌ ، وليس كل فقد سلبا ، وكان الآخر لا يستتبعه دائما ، فالمستتبع أفضل. وربما أقنع أن الشىء الذى ليس بفاضل فى نفسه ، إذا كان يفعل خيرا أعظم فى نفسه من شىء آخر هو نفسه فاضل، فإنه ينبغى أن يكون هو آثر من الفاضل، وإن لم يكن أفضل ، مثل الجلد والجمال . فإن الجلد ، وإن لم يكن بنفسه خيرا كالجمال ، فقد يدرك بالجلد ما هو أفضل من الجمال . وكذلك التصحح ، وإن لم يكن أفضل من اللذة ، فقد يدرك به ما هو أفضل من اللذة ، فيكون هو آثر . فيكون بعض ما هو نافع آثر من بعض ما هو خير . والذى يؤثر لنفسه ، وإن لم يصحبه الآخر ، آثر من الآخر ، إذا كان لا يؤثر وإن لم يصحبه الأول ، مثل الصحة والجمال . فإن الصحة بلا جمال مؤثرة ، ولكن الجمال بلا صحة غير مؤثر ؛ فالصحة آثر وأفضل . والذى هو تام الوجود مستقره ومراد لنفسه كالصحة آثر من الذى يفقد أحدهما أو كلاهما . إما كاللذة فإنها فى طريق التكون وتطلب لذاتها ، وإما كالرياضة فإنها فى طريق التكون ومع ذلك فإنها تطلب لغيرها . والذى وجوده يغنى عن الآخر أفضل من الذى وجوده يفتقر إلى الآخر، مثل اليسار والتجارة . فإن اليسار يغنى عن التجارة ، والتجارة تفتقر إلى اليسار ؛ فاليسار آثر . وقد يوهم كون الشىء مبدأ لأمر أنه أعظم منه، وربما لم يكن فى الحقيقة. فإن الخير أفضل من اختياره ، وهو بدؤه . على أنه ليس يمكن أن يكون خير أو نافع مشوزى لا بدء له . وكيف وكلها إرادى ! فإذا كان كذلك، أمكننا أن

(١) الكرامة : الكراميرم || بأخرة : تاخره د : متأخرة س، ن، ه، د ا (٤) فاضل : سقطت من بن || فانه : انه س . (٥) مثل : من م . (٧) اللذة : الجمال م . (٨) يؤثر : يوثره ه (١٠) مؤثر : موثرة س ، ه . (١١) مستقره : مستقرة م : مستقر س ، ن ، ه (١٢) يفقد أحدهما أو كلاهما : يوجد له أحدهما أو يفقد كلاهما د (١٤) وجوده يفتقر : يفتقر وجوده بن (١٥) فاليسار : سقطت من د (١٦) وربما : فربما د (١٨) مشوزى : منشورى م || وكيف : فكيف د || وكلها : كلها م (١٨) بدء : يدو فى جميع المخطوطات || أمكننا : أمكنا م

نجد أنواعا من اعتبار المبادئ : فما مبدؤه أعظم ، فهو أعظم . والمبـدأ الذى لأعظم المعلولين أعظم . وقد يمكن أن ينصر فى بعض الأوقات أن المبدأ نفسه أعظم . فإن رجلا واحدا من الخطباء يقال له لاوداماوس ذم رجلين : أحدهما يقال له قلسطراطس، والآخر كفريوس . وكان قلسطراطس — كما أقدر أنا — أشار على كفريوس بارتكاب جور فائتمر . فذم قلسطراطس وقال : إن خطيئته أعظم من خطيئة الآخر ، فإنه لولا إشارته عليه بالجور، لما ارتكبه . ثم ذم الآخر، فقال : إن خطيئته أعظم من خطيئة الأول ، فلولا ائتمـاره ، لمـا ضرت مشورته .

وأيضا فإن الأعز أفضل كالذهب . وأيضا بل الأعم نفعا أفضل ، كالحديد، فإن فى صلابته وشدته منافع عامة جدا ليس فى الذهب . بل الأكثر وجوداً أعم نفعا ، كالحديد، فقد ينتفع به كل إنسان، والذهب يقل الانتفاع به . وكذلك المـاء ، وإن كان دهن البلسان أعز وجودا منه ، فهو أفضل لعموم نفعه .

وأيضا فالذى هو أصعب إدراكا وذلك لعظمة فى نفسه . بل الذى هو أسهل وصولا إليه ، وذلك لموافقته لمحبتنا للدعة . وأيضا فإن الذى ضده أعظم ضرراً فهو أعظم نفعا ؛ والذى فقدانه أعظم ضررا ، فهو أعظم نفعا . واقلب الأعظم فى باب النفع إلى الأعظم فى باب الضرر . وغايات أفعال هى أعظم، فإن الخيرية

(١) فهو : وهو م (٣) واحدا : سقطت من د || يقال له : فقال م || لاوداماوس ب ، ن ، ه : لاوذاماوس د ، م : لاوداوماوس س (٤) قلسطراطس : قلسطراطس فى جميع المخطوطات فى المواضع الثلاثة || الآخر : + يقال له م ، ه || كفريوس ن : كوبوس دا : كفديوس ب : كقديوس س ، م ، سا || أقدر أنا : أقدرنا د : قد انا ه (٥) فائتمر : فائتم د || وقال : فقال ب (٦) لولا : لو ه (٨) ضرت : مرت م (١١) فقد : قد م (١٣) وذلك : ذلك د : ولذلك ه (١٤) للدعة : من الدعة ب ، د ، ن ، سا (١٥) ضررا فهو أعظم : سقطت من م || اقلب : اقلت ، سا (١٦) فى : من ب || فى : من ب || باب (الضرر) : + النفع إلى الأعظم فى باب النفع إلى الأعظم فى باب م || وغايات : فهو غايات ه || فإن : من م : فى س ، ن ، ه

أو الشرية أعظم . و بالعكس . وما هو خاص بالأعظم أعظم ، فإن صحة البصر أعظم من صحة الشم ، إذ البصر أعظم من الشم . وكذلك محبة الإنسان أفضل من محبة المال ، لأن الإنسان أفضل من المال . ثم الفضائل أنفسها ، وهى من المبادئ ، أفضل من الأفعال الفاضلة . وما اشتهاره أفضل فهو أفضل . و بالعكس . وأفضل العلمين فهو الأفضل أثرا ، مثل الطب، فإنه أفضل من علم الزينة؛ ومثل علم الهندسة فإنها أفضل من علم الأخلاق. فإن الصدق فى الهندسة آكد وهو فيه الغرض ، وفى علم الأخلاق أضعف، لأن بناءه على المحمودات، وليس الغرض فيه نفس الصدق فقط ، بل والعمل . و بالعكس . فإن أفضل العلمين فى وزنه ، أى فى وزن براهينه ، وفى مرتبته ، أى فى تقدمه بالغائية ، لأنه هو الذى علم آخر لأجله ، فغايته أفضل. فلذلك علم التوحيد أفضل من علم الهيئة ، لأن القياسات التوحيدية مجردة عن المادة ، صحيحة جدا ؛ والهيئة تتعلق بالحس والرصد . وأيضا فإن الهيئة يقصد علمها ليتوصل به إلى كثير من علم التوحيد . والذى يشهد بتقدمه الأكثر والفضلاء من ذوى الألباب والبصيرة أفضل . فإن ما يشهد به العقلاء الصالحون الذين لا تستغويهم الأهواء والشهوات فهو أفضل مطلقا ؛ وقد يقتدرون لسلامة أنفسهم عن العصبيات والأهواء على الإحاطة بكثير من الأمور الفاضلة بماهيته وكميته ، وإن كان ذلك دون ما تفيده الصنائع العلمية المرتبة ترتيبها الطبيعى. وما هو أكثر إلذاذاً فهو أفضل.

---

(١) أو: و د، هـ، سا || و بالعكس : بالعكس م (٢) إذ البصر أعظم من الشم : سقطت من د || أعظم : أعلى س (٤) وما : وأما د (٥) العلمين : العالمين سا : + ما كان فضل هـ || فهو : هو م ؛ وهو ن (٦) فإنها : فإنه ن ، هـ ، دا (٧) آكد : أوكد د || وفى : فى م (٨) والعمل : سقطت من م (٩) مرتبته : مرتبه م || تقدمه : معدمه س || بالغائية : بالغاية د (١١) والهيئة : والهيئة د (١٢) فإن الهيئة : فالهيئة د (١٥) أنفسهم : سقطت من د || العصبيات : الغضبيات سا (١٦) وإن : فإن سا (١٧) هو : سقطت من م || الذاذا : التذاذا د

فاللذة مشتاقة عند الجمهور لذاتها ، وخصوصا ما كان أبرأ عن شَوْب الغم ، وأدوم مدة ، وأرسخ ثباتا . وكذلك ما كان أجمل فهو أفضل من الأقبح . فإن الجميل مختار لذاته . ومن التصاريف أيضا أن الشجاعية أفضل وآثر من العفية ، لأن الشجاعة أفضل وآثر من العفة . وما يختاره الكل آثر . وما يختاره السلاطين والعظماء أو العلماء آثر . وما يختاره الذين يؤخذ عنهم الرأى فى عظائم الأمور ، وإن قلّوا ، فإنهم هم المكرمون أيضا ؛ فإن من جنس الهوان أن لا يقبل قول الإنسان . والذين هم أعظم كرامة . والذين هم أشد تمكنا من الضر والنفع . والمجبرون على تعظيمهم . وهذه الأنواع تفارق ما سلف . فإن ذلك بحسب الشهادة ، وهذه بحسب الإيثار . وأيضا فإن المعنى العظيم من هذا إذا جزئ إلى أقسامه ؛ فعدت أقسام ذلك المعنى ، فكثر الكلى الواحد أو الكل الواحد ، صار أعظم . مثل ما قال أوميرس : إن هذه المدينة ، إذا فتحت عنوة : ستلق من مالاغروس كل شر ، وكذلك الناس كلهم ، فإنه يهلك الناس ، ويشب الحريق فى المدينة حتى يحرقها بأسرها ، ويعترف كل بولده ، أى ينوح كل باسم ولده : يا ولدى فلان ! فهذا التفصيل مما قد جعل الشر أعظم مما لو ذكرت الجملة غير مفصلة . وقد يفعل أيضا التركيب والإجمال ، فإنه إذا اقتضت جزئيات خير أو شر ، ثم اتبع ذلك بالدعوى الكلية ، زادة ذلك تأكيدا . وأيضا فإن صدور

(١ — ٢) فاللذة ... فهو أفضل : سقطت من د (١) مشتاقة : متشاقة م || ما : إذا س || أبرأ : اثرا سا (٢) ما : إذا س (٤) أفضل وآثر : آثر وأفضل د، ه (٥) والعظماء : العظماء ه || أو العلماء : والعلماء ن، ه || عظائم : عظام م ، ن (٦) قلوا : قالوا م ، ن ، سا || فإنهم هم : وأنهم هم ب : فهم د (٧) الضر والنفع : النفع والضر س : الضرر والنفع ب ، م || ما : لما سا (٩) المعنى : معنى س : سقطت من ه || هذا : هذه د (١٠) فعدت : تعدت د || أو : و سا (١١) اوميرس : أوميروس م || ستلق : ستلق ب : سيلق س (١٢) مالاغروس : مالاغورس ب : ماعروس س (١٣) أى : أو ه || باسم : اسم س (١٤) ولدى : لولدى س ، سا || فهذا : هذا س || التفصيل : سقطت من س (١٥) الاجمال : + ذلك د ، س (١٦) خير : خيرا د || شر : شرا د || تأكيدا : توكيدا د || وأيضا : أو أيضا م

الشيء عن أصعب مصادره وأقلها صدورا عنه يجعله أعظم ، إما بحسب الزمان إذا كان صدوره فى مثل زمانه أقل ، أو السن إذا كان صدوره عن صاحب ذلك السن مثلا صعبا وقليلا . وكذلك المواضع ومقدار المدد والقوى فإنها تجعل الشيء الغريب الصدور عظيما . فإن الزنا من الشيخ مستفظع فوق استفظاعه من الحدث . وأورد لهذا البـاب أمثلة فى التعليم الأول لم أفهمها . والجزء الرئيس من الشيء الأشرف هو أفضل ، كمن قال : إن نفى الشباب عن المدينة مثل إسقاط الربيع عن السنة. وأيضا فإن الذى يكون فى الحين الأنفع أفضل، مثل المـال فإنه فى الكبر أفضل منه فى الشباب، وفى المرض أفضل منه فى الصحة . والأقرب إلى الغاية أفضل ، لأنه كالغاية . وكذلك ما كان من اللوازم خاصا بالغاية أفضل من لوازم تخص ما هو دون الغاية . فإن الصحة تلزم اعتدال المزاج، والضَّعف يلزم ما دون اعتدال المزاج ، فالصحة أفضل من الضعف . وقد فهم من الضَّعف الضِّعف بمعنى اليسار وتضاعف المـال ، وفهم من الخاص ليس الخاص بالغاية ، بل الخاص بالكاسب . وعندى أنه وقع فى النسخ غلط ، ويجب مكان الضَّعف عدم الضعف أو ما به وهو القوة، ولكن يجب أن يرجع إلى اليونانية. والخيرات المتيسرة فى آخر العمر آثر من المتيسرة فى الحداثة ، لأنها كأنها تخص الغاية . وما يقصد لأجل ذاته ، وليكون موجودا بالحقيقة ، آثر من الذى يقصد

(٢) أقل : اولى سا (٣) المواضع : مواضع ب || ومقدار : مقدار ب، ن ، سا : مقدار مقدار م (٤) فوق : قوى سا (٥) الباب : سقطت من س || لم : سقطت من م (٦) الشباب : الشبان س، ه (كتب أولا الشباب فى ه ثم كتب فوقها الشبان) (٧) فان الذى : فالذى د (٨) فى الشباب وفى المرض أفضل منه : سقطت من م || (وفى المرض) أفضل : سقطت من د : وكتب فوقها أنفع فى ب (١٢) بمعنى : معنى م || وفهم : فهم س (١٣) بالكاسب : بالمكاسب م (١٤) مكان الضعف : + مكان م || أو ما به م ، ن ، دا : أو أما به ب ، د ، سا : أو أماته س : أو أمانه ه || يجب أن : سقطت من م (١٥) المتيسرة : والمتيسرة م || من المتيسرة : منها د : منها من الخيرات المتيسرة م : من التيسر ه (١٦) وليكون : ليكون س

لأجل الحمد الذى، إذا كان ذلك لا يوقف عليه ولا يظهر للغير، لم يؤثر البتة. ولهذا ما تكون استفادة الخيرات آثر من إفادتها، إذا لم تظهر للغير؛ لأنها إذا لم تظهر للغير، فغلط الغير فى مصدرها لم تؤثر. وقريب من هذا ما قيل فى الصحة والجمال. وما هو أنفع فى أمور كثيرة فهو أنفع. فإن ما ينفع فى الحيوٰة وفى حسن الحيوٰة آثر من الذى ينفع فى أحدهما. ولهذا ما تعظم الصحة واليسار لكثرة تفننهما فى النفع، لأنهما يبرئان من الحزن، ويمكّان من اللذة علما أو جهلا. وكان اليسار هو من الخير المطلق عند بعض الناس، وعند بعضهم إنما يكون خيراً إذا اقترنت به أحوال أخرى. وكذلك الضرر قد يختلف، فمن الضرر ما هو أعم؛ ولذلك فقؤ عين الأعور أضر من فقء عين الصحيح. ويجب أن يستكثر من ضرب الأمثال وإيراد التذاكير واقتصاص أحوال ناس هُم فى مثل ذلك الحكم.

فقد أعطينا الأنواع النافعة فى إثبات أن الشيء صلاح حال، أو نافع، أو خير، والأنواع فى الأفضل، والأنفع، والآثر.

والمدينيات الست، فقد علمتها، وعلمت الغايات فيها، وأن كل واحد منها ينبغى أن يشار فيه بما يحفظه، وأن الإجماعية منها، فقد يرأس فيها الإنسان الذى هو فى مثل حكم غيره، وإنما يرأس إجماعا لداع دعا إلى ذلك من قرعة، أو بخت. وخساسة الرياسة هى التى يكون الاستيلاء فيها ببذل إتاوة يطلقه الرئيس للرعوسين فيتقبلونه. وأما الرياسة الشريفة

(١) ذلك: سقطت من س || عليه: عليها م (٢) لأنها: فانها د، ه، سا: سقطت من س (٢ — ٣) إذا لم تظهر للغير: سقطت من س . (٣) فغلط الغير: سقطت من د || مصدرها: تصدرها س (٤) وما: أو ما ب || فهو: وهو م (٥) تفننهما: نفسهما د: نقينهما س: نفسهما سا (٦) جهلا: بجهالة د (٧) هو من: فهو د: هو ب، م، سا || الخير: الجزء سا || اقترنت: قرنت د (٨) يختلف: محلف م || لذلك: كذلك سا (٩) فقؤ: فقؤد د (١٠) التذاكير: التذكر د || اقتصاص: اقصاص م، ن || ناس هم: ناسهم م (١٣) المدينيات: المدنيات د، م، ن (١٤) فقد: قد د (١٥) دعا: دعى م، ن، ه (١٦) هى: فهى م (١٧) اتاوة: اتاره سا: ناره د || يطلقه: مطلقة د، ن، دا || للرعوسين: للروس| س | فيتقبلونه: فيتقتلونه م: و يقبلونه د: فيقتلونه ه: فيتقلبونه سا

فهى التى يسوس فيها السائس لأنه مستحق للسياسة لاقتداره على وضع السنن أو حفظها . وأن وحدانية الرياسة هى التى قصارى غرض الرئيس فيها العز، والكرامة ، والانفراد ، والاستعباد لمن هو غيره ؛ وأن هذه قد تكون بسيطة ، محدودة،وقد تكون متركبة ، متبدلة بحسب ما يمكن به حفظ الكرامة .

وغاية الإجماعية الحرية ؛ وغاية خساسة الرياسة اليسار ؛ وغاية جودة التسلط حفظ السنة ؛ وغاية الكرامة حفظ الكرامة والعز والاحتراس من المنازع . ولكل غاية ضرب من الأخلاق يجانسه فيحفظه ويدعو إليه مما يسهل الوقوف عليه .

وينبغى أن يكون المشير يشير بتلك الأخلاق، ويكون متخلقا بها . فإن المشير إذا أشار بخلق لا يتخلق به نبا عنه القبول .

فليكن هذا كافيا فى المشوريات .

فصل [الفصل الرابع]

فى المنافريات وهو باب المدح والذم

فلننتقل إلى تعديد الأنواع النافعة فى المدح والذم ، المتعلقة بالفضيلة والرذيلة وما يجرى مجراها . وهى مع أنها تنفع فى المدح والذم ، فقد تنفع فى إعداد الخطيب للتصديق بقوله ، وإن كان فى غير باب المنافرة ، وذلك أنه إذا أثبت

---

(١) فهى : وهى م || للسياسة : للسياسية د || لاقتداره : لاقتدارها م (٢) حفظها : حططها د || الرياسة : السياسة سا || قصارى : سقطت من د (٣) الاستعباد : الاستيعاد م، ه (٤) محدودة : محمودة د ا ، ن (كتب أولا محدودة ثم كتب فوقها محمودة) || متركبة : مركبه سا || متبدلة : مبتداة ب || به : سقطت من س (٥) الحرية : الجزئية سا (١٠) فليكن : وليكن د (١١) فصل : فصل ٤ ه : فصل ٤ ب : الفصل الرابع س، م (١٢) المنافريات : المنافرات س، ن، ه (١٣) فلننتقل : فلننقل ه : + الان س (١٤) تنفع : ينفع سا || فقد : قد ب، م (١٥) فى : من د || انه : لأنه س .

فضيلة نفسه جعل نفسه أهلا للثقة بقوله ؛ وكذلك إذا ذم خصمه ، عرضه لرد الناس قوله .

والمادح المنسوبة إلى أنها فضيلة وأشياء تتبع الفضيلة من الجمال والحسن وغير ذلك من المادح التى قد يتعدى بمدحها الناس والملائكة إلى أشخاص أخر يمدح بها . فالجميل هو المختار لأجل نفسه ، وهو المحمود اللذيذ لا لشيء آخر ، بل لأجل خيريته . فإنه جميل من هذه الجهة . والفضيلة نوع من الجميل ، لأنها قوة ، أى ملكة حسنة التأتى لتحصيل ما هو خير ، أو يرى خيرا ، وهى التى تفعل أو تحفظ الأمور الشريفة العظيمة من كل جهة . وأجزاء الفضيلة هى : البر ، والشجاعة ، والعفة ، والمروءة ، وكبر الهمة ، والسخاء ، والحلم ، واللب ، والحكمة . ومن الفضائل لا محالة ما يتعدى خيره إلى غير الفاضل ، مثل البر والشجاعة والسخاء ، ولذلك تلزم كل واحد منهم ، إذ الكرامة مبذولة من الكل للنافعين .

فلنعد إلى ذكر كل واحد منها :

فأما البر فإنها فضيلة عادلة تقسم لكل ما يستحقه بحسب تقدير الشريعة . والجور رذيلة يكون بها المرء آخذا ماليس له بحسب تقدير الشريعة . والشجاعة فضيلة يكون بها المرء فعالا أفعالا صالحة نافعة فى الجهاد على ما تأمر به الشريعة ، وبها ينصر الشريعة نصرة خدمة ؛ والجبن خلاف ذلك فى التقصير . وأما العفة ففضيلة يكون بها المرء فى استعمال الشهوانية البدنية على القدر الذى ترخص فيه الشريعة ؛ والفجور خلافه . وأما السخاء ففضيلة يكون بها المرء فعالا للجميل

---

(١) جعل نفسه : سقطت من س || أهلا : اصلاب ، سا || وكذلك : سقطت من سا || عرضه : وعرضه سا (٢) الناس : سقطت من د (٣) تتبع : يقع م (٥) أخر : آخر د ، م || بها : لها ن || اللذيذ : واللذيذ سا (٦) لا : سقطت من سا || لشيء : لأجل شيء س (٨) وهى التى : وهو الذى س (٩) والعفة : سقطت من د ، سا || والحكمة : + والعفة د (١١) تلزم : يكرم د[؟] || للنافعين : النافعين د ، م (١٣) فإنها : فإنه د (١٤) المرء : سقطت من س || تقدير : تقدم د (١٤—١٥) والشجاعة فضيلة ... الشريعة : كررت فى د (١٥) أفعالا : سقطت من م || نافعة : سقطت من س (١٦) التقصير : النقيض د (١٨) خلافه : + وأما المروءة ... س انظر ص ٨٥ ، س ٢ — ٣ || فعالا : فعال م || للجميل : للجهل د

ببذل المال ؛ والدناءة خلافه . وأما كبر الهمة ففضيلة يكون بها المرء فعالا لأفعال عظيمة المنزلة من الحمد ؛ والسفالة ضدها . وأما المروءة ففضيلة بفعل النبل بالتوسيع فى الإطعام ؛ وصغر النفس والنذالة خلافه . وأما اللب ففضيلة فى الرأى يكون بها المرء حسن التعقل والمشورة نحو الخيرات والجميل ؛ والبلاهة ضده.

ولتؤخذ هذه الرسوم على ظاهرها ، ولا يلتمس فيها التحقيق العلمى البتة . وكذلك فى أكثر سائر الرسوم التى نورد فى هذا الفن من المنطق .

فهذه هى الفضائل التى يمدح بها .

وأما ما سواها من المدائح ففاعلات الفضائل والعلامات التى تدل على الفضائل ، مثل الأنداب على الشجاع . وكذلك الانفعالات التى تلحق العادلين ، إذا لزموا العدل ولم يجنبوا إلى الجور ، كالمستودع إذا شدد عليه العذاب فى انتزاع ما هو فى يديه ، فاحتمل ، وأبى أن يسلم الوديعة إلا إلى ربها . وأما الانفعالات التى يستحقونها عدلا ، فهى وإن كانت خيرا فى نفسها وواجبات ، إذ كل فعل يصدر عن عدل فهو واجب وخير ، فإنها من حيث هى آلام صرفة تجلب ضيما وخسرانا فقط بلا زيادة أخرى فليست خيرات وممادح لمن تقع بهم . وإن كانت باستحقاق عن سوء سيرة ، فهى مذام . وأما فى الباب الأول فقد كان الألم ، وإن كان من حيث هو ألم ، شرا ينقضى أثره ، فهو من حيث يدل على فضيلة النفس وإيثار العدل مكرمة ومحمدة ، وربما خلد

(١) المال : + ليستحقه على اعتدال م || الدناءة : الدنا د || خلافه : + وأما اللب ... س (٢) الحمد : + وصغر النفس والبذاله خلافه وأما السخاء ... س || والسفالة ضدها : سقطت من سا || ضدها : ضده هـ || وأما : و م || بفعل : + بها هـ (٣) بالتوسيع : بالتوسع ن ، هـ ، د١ : فى التوسع س || الإطعام : + وأما كبر الهمة ... س || خلافه : خلافها د || ففضيلة : + يكون س (٤) بها المرء : المرء بها س || التعقل : العقل د || والبلاهة ضده : سقطت من سا || البلاهة : البلادة س ، هـ || ضده : خلافه س ، هـ : خلافه ضده م (٦) فى : سقطت من م || أكثر : سقطت من س (٩) الأنداب : الاسرار س || الشجاع : الشجعان د ، س ، هـ ، سا || الانفعالات : الانفعال د (١١) يديه : يدنه س ، م : يده ب || وأبى أن : وأبا أن ب ، م : وابان د (١٣) وواجبات : واجبات د (١٤) آلام : الامر سا || بلا : بال د (١٥) لمن : لم د (١٧) فهو : فهى س || حيث : + هو س || إيثار : اثبات ب ، د ، د١ ، سا || ومحمدة : ومحمودة د : محمودة ب ، ن ، سا

ذكرها . وقد يمكن أن يصدر عن الشجاع فعل لا يصدر إلا عن شجاع ، أو يلحقه انفعال لا يكون إلا للشجاع ؛ وكذلك قد يصدر عن السخى فعل وانفعال لا يصدران إلا عن سخى؛ ولكنه لا يكون محمودا ، إذا كان خارجا عن مقتضى العدل . ومن آثار الفضائل ما هو أكرم وأحسن . فإن الشجاع إذا جوزى بالكرامة ، كان هذا أقرب إلى استحقاق المدح به من أن يجازى بالمال . وأدلى أفعال الفضائل على استيجاب المدح ما فعل لا لجذب منفعة إلى الفاعل، بل لأجل غيره ، أو لأنه خير لنفسه . إذ هو خير عام له ولغيره . ولهذا يمدح من يتعهد الموتى بالصدقات ، لأن هذا النوع من الإحسان لا يبتغى به جزاء . ثم ما أريد به نفع الآخرين من حيث هو خير لهم ، وليس لهم فيه غرض . ويفارق ما قبله أن ذلك كان الإيثار متجها فيه إليه لأنه خير فقط ، وهذا لأنه خير للآخرين ؛ وهذا قد يبتغى عليه جزاء ، والأول لا يبتغى عليه جزاء . وبعد هذا ما يراد به الإحسان إلى المحسنين خاصة . فإن كان مكافأة فإنه من حيث يكافئ فاعلها لا يرتاد لنفسه خيراً الا بالعرض من حيث هو مكافىً متوقع لا مكافئ فقط . وأما المكافىء ، من حيث هو مكافئ ، فقد حصل الخير وأحرزه ، وليس يتوقعه حين يكافئ .

ومن علامات الفضيلة والمادح أجزاء من تنابذ الفضيلة وتضادها وتخجيله . فإنهم كثيراً ما يبتدئون بأقوال وأفعال من الفواحش يريدون بها

(١) لا : ولا م || الا : سقطت من م || أو : و د (٢) قد : سقطت من م ، سا (٣) يصدران : يصدر سا || سخى : السخى ه (٥) يجازى : يجازا م ، ن || بالمال ١ سقطت من سا (٦) استيجاب : استحباب د (٩) وليس لهم : وليس له س ، ه ، سا : وليس د (١٠) للآخرين : لاخرين د : الآخرين م (١١) يبتغى : ينبغى سا || يبتغى : ينبغى سا (١٢) المحسنين : المحسن س ، ه || فان : وان د ، س ، ه ، سا || فانه : سقطت من د || يكافىً : نكافا ب ، م (١٣) خيرا : جزاء د ، م || مكافىً : مكافا ن : مكاف س ، م || مكافىً : مكافا م ، ن : مكاف س (١٤) مكافىً : مكاف د ، س ، م : مكافا ن : مكافأة ب (١٥) يكافىء : نكافا م : مكافا ن (١٦) تنابذ : منابذ ب ، د (١٧) تخجيله : بحله م ، ن : تحجله سا || يبتدئون : سدون ه

فضح غيرهم فيفتضحون لفضيلة فى ذلك الغير يصدر عنه حسن المعاملة لأجله . مثل ما فعلت سفا الحكيمة ، حين رمز إليها القاوس المتغلب ، فعرّض عن فاحشة قائلا : إنى أريد أن أنفث عن صدرى بشىء ، لكن الحياء والاحتشام يصدنى عنه . فاستقرت هذه الحكيمة على جملة أمرها وديعةً لم تقابله بالفحشاء من القول ، والهجر من السب ، مستحيية من مفارقة طريقة الحكمة ، ومن إظهار التنبه لمعنى الفاحشة ، كأنها لا يخطر ببالها أن أحدا يعرض بها لطمع سوء ، و يعترض لها بدعوة إلى فاحشة ، و يضرب لهـا مثلا بمنكر ، أو يجرى عليها المعانى التى تجرى على غيرها . لكنها كانت مصروفة الشغل إلى نصرة الهيئة والملكة الفاضلة ، تترك الفعل الرذل ، وكذلك من كان معها من النسوة الحصر لا يجزعن ولا يخفن من وقوع مثل ذلك بها ثقةً بشرف نفسها ، واعتلائها عن طاعة غير الواجب ، وكمال فعلها فى طاعة فضيلتها ، وقلة انفعالهـا عن الرذائل ، صار كل ذلك صادرا عن ملكة حصلت بالارتياض والاجتهاد . فإن الفضائل جلها مباين للهوى ، و يكتسب بالمجاهدة إيثاراً للجد والفخر فى تميتها . وتميتها بالعقل على الهوى ، مثل ما سمعت من قصة الرجل والمرأة . والاستحياء أيضا قد يؤهل للـمدح ولكن دون تأهيل

---

(١) فيفتضحون : فيفضحون سا || لفضيلة : سقطت من د || لأجله : لأجلها ب (٢) سفا : شفا م : سفاء س ، ه : سقاء سا : سواء د (٣) الحياء : الحياه د (٤) فاستقرت : فاستعرت سا (٥) السب : الست سا : السبب م ، ن ، ه || مستحيية : مستحية د || الحكمة : الحلم س ، ه || ومن : وهى من د || التنبه : البينة ب : التنبيه د (٦) لمعنى : لمعانى ب || سوء : سواء د || و يعترض : أو يعترض س ، ن ، ه ، سا (٧) و (يضرب) : او سا || بمنكر : لمنكر س ، ه (٨) لـكنها : لـكنه م ، دا || نصرة : بصره س || تترك : بترك ه ، سا : وترك م ، ن : وتركت دا (٩) الحصر : الحضر ب ، س ، ه ، سا (١٠) مثل : ميل د : سقطت من سا || بها : سقطت من س || بشرف : لشرف سا || كمال : كام (١١) صار : سقطت من س ، د ، ه || كل ذلك صادرا : كل ذلك صادر س : صادر كل ذلك د (١٢) للهوى : للهوا د (١٣) تميتها وتميتها م : سيمها ب ، سا : عممها وتميتها د : تميتها وتيميها ه : تمتها س ، ن || بالعقل : بالفعل كل المخطوطات || على : عن ب ، د (١٤) الرجل والمرأة : المرأة والرجل م || والاستحياء : سقطت من ن : الاستحياء سقطت من م (١٤ — ص ٨٨ س ١) والاستحياء أيضا ... سفا : سقطت من ب ، س ، ه ، سا

حالة سفا . والاستحياء أيضا قد يكون لشيئين : أحدهما لاشمئزاز النفس عن الحالة الشنعاء ، وهذا يصدر عن فضيلة ؛ والثانى لنظرته ذكر فاحشة عرف بها المستحي، وقد نسيت فى الحال . فإذا لفظ بلفظ يشير إلى معناها ، أو فعل مثلها ، خطرت بالبال من الحاضرين ، وهو من أهلها ، نخطر بالبال صنيعه ، فصار كالمشاهدة منهم له ، الموجبة للاستحياء ، إلا من البالغ فى الرذيلة والسقوط فلا يستحيي من انكشاف مذمته . ومن الممادح أفعال يفعلها الإنسان ليصلح بها حال آخرين . وأيضا الانتقام من الأعداء ، وقلة الإذعان لهم ، والجزاء على الحسنة والسيئة . وأن يكون الشجاع مغلبا لا يُغلب . فإن الغلبة والكرامة من ممادح الشجعان . وأن يفعل أفعالا تنشر وتذكر ، وتكون لعظمتها مما يسهل تخليدها ، فيتوارثها الأعقاب . ومن الممدوحات علامات تختص بالأشراف ، كإسبال العلوية شعورهم ، فإنه من دلائل شرفهم . ومن الممدوحات الاستغناء عن الآخرين فى أى باب كان .

وقد يتلطف فى المدح على سبيل كالمغالطة ، فيعبر عن الخسيسة بعبارة تجلوها فى معرض الفضيلة ، إذا كانت أقرب الخسيستين المتضادتين من الفضيلة ، أو قد كان يلزمها والفضيلة شيء واحد يعمهما . وهذا مما يضطر إليه الخطيب إذا أحوج إلى مدح الناقصين ، فيجعل الشيء الذى تشارك به الفضيلة الخسيسة

(١) سفا : منهاد : + بالفعل على الهوى مثل ما سمعت م || أيضا قد : سقطت من س || أيضا سقطت من د || لشيئين : لوجهين س (٢) لنظرته : لنظيرته سا (٣) المستحيي : المستحى ب ، م ، ن : المستحق س || وقد : فقد م ، ن || نسيت : تنسيت د || فاذا : فانه إذا س || فعل : + فعل س ، هـ ، سا (٥) للاستحياء : الاستحياء ب ، د (٧) آخرين : + منها م || وأيضا : + منها د : ومنها أيضا ن ، هـ ، دا (٨) الشجاع : سقطت من س (٩) ممادح ... ومن : سقطت من د (١٠) تختص : تخصص ب (١٢) يتلطف : يتلفظ ب (١٣) معرض : صورة د || إذا : إذ م (١٤) الخسيستين : الخسيسين ب ، ن : الجنسين د || المتضادتين : المتضادين د || أو قد كان : وقد كان س ، م : وكان قد هـ ، سا (١٥) يعمهما : يعمها س ، هـ
(١٥) الناقصين : الناقصتين م (١٦) الفضيلة : الفضيل د

مشاركة ما مكان نفس الفضيلة . فيقال للحريز إنه حسن المشبورة ، وللفاسق إنه لطيف العشرة ، وللغبي إنه حليم ، وللغضوب القطوب إنه نبيـــل ذو سمت ، وللأبله المغفل عن اللذات إنه عفيف ، وللمتهور إنه شجاع ، وللمـاجن إنه ظريف ، وللمبذر فى الشهوات إنه سخى .

ومن المـادح الانخداع والغلط فى صغار الأمور ، فإنه يدل على قلة الخوف ، فإن الخوف هو الملجئ إلى الاحتياط فى الفكر ، ويدل على قـلة الالتفات إلى مراقبة فوت ما يضن به . وقد يمدح أيضا بالبراءة عن الانخداع أصلا لشدة الفطنة . ومن المـادح الإذلال إلى الصديق والعدو . وإن كان من المـادح أيضا تخصيص الأصدقاء بالإحسان والإسداء . وأيضا فإن الخطيب يجب أن يعـلم موضع مدح الممدوح حتى يمدحه بمـا يلائم ذلك الموضع ، فلا يأمن من أن يكون الممدوح به فى موضع مذمة فى موضع آخر ، بل يجب أن يعلم المـادح بحسب البلاد والأمم والملل . ومن المـادح ذكر السلف الصالح والآثار التى خلدوها ، خصوصا إذا تشبه بهم الخلف فاستوجب مزيد مدح وكرامة من تلقاء نفسه ، وإن قصر عن شأو سلفه ، أو كان ما يكسبه أقل ممـا كان ينبغى أن ينحو نحوه من الخير والفضيلة ، كالإنسان المتوسط فى همته ، أو كان ما يكسبه أقل ممـا كان ينبغى ، فإذا أنجح ، اقتنع فلم يمعن . والكبير الهمة كلمـا أمعن فى الإنجاح ، أمعن فى استـئناف الجد نحو إدراك ما هو أعلى ، وصار أحرص

(١) مكان : كان م || للحريز : للحرز د || انه : له م (٢) حليم : حلوم ب (٣) للتهور : المتهور د || انه شجاع : الشجاع سا || انه ظريف : سقطت من د ، سا (٤) وللبذر : المبذر د : سا (٧) يضن : يظن م ، ن : نظن د ، س || لشدة : بشدة س ، ه (١٠) يمدحه : يمدح س || بمـا : سقطت من س || فلا : ولا د || من : سقطت من ب ، م ، ن ، سا (١١) به : سقطت من ب ، م ، ن ، سا || فى : عند د || موضع : + مدحه ب : + مده سا || مذمة : مذموما م ، ن || فى موضع آخر : سقطت من د || يعلم : + ان م ، ن ، ه ، دا (١٢) الملل : الملك ب ، ن ، ه || الآثار : الأوتار م (١٣) خصوصا : وخصوصا س || فاستوجب : واستوجب د ، دا (١٤) شأو : ساق ب ، د (١٥) الخير : الخيرات م (١٥–١٦) أو كان ... ينبغى : سقطت م ، ن (١٦) كان : سقطت من ه || اقتنع : امتنع د || يمعن : يمعنى م (١٧) استئناف : الاستئناف ب

على اقتناء المآثر المستصعبة . ومثل هذا الإنسان لا يقتصر على الشرف الموروث، بل يستخف به ، وينشط لادخار الحسب والشرف المكتسب، ويقل افتخاره بآبائه ، وربما ارتقى بأفعاله إلى درجة تفوق درجة قبيلته ، كما قال بعض الناس فى مديح سوسدس مخاطبا أباه وإخوانه : إنه اليوم فى الساطورانس . كأن الساطورانس قبيلة أشرف من اليونانيين .

وأول الأفعال التى يستحق بها المدح ما صدر عن قصد أو عن مشيئة . وأما التى بالعرض، فإذا بدر نفعه لم يذكر إلا أن يتكرر ، فيلحق حينئذ بالمدائح، ويشبه بما يصدر عن مشيئة . فإن المتكرر مراراً قد يظن به أنه مقصود من الفاعل ، ويعتقد أن الذى بالبخت قليل التكرر . والمدائح الحقيقية هى الأفعال الاختيارية . وأما المظنونة فهى التى تنسب إلى النسب ، حتى يقال : إن الأسد يلد الأسد ، والحية تلد الحية ؛ وكذلك التى تصدر عن تأديب وتقويم ، ليس عن نشاط غريزى . على أنه ليس يبعد من الحق أن يتشبه الأولاد بالآباء . فإن الإنسان يحرص على الإتيان بما يكثر منه مشاهدته ويستمر عليه نشؤه، ولذلك ما قد يحمد الفاعل إذا فعل الجميل المنشوء عليه . فإنه إذا فعل ما نشأ عليه ، دل على أن الفعل إنما صدر عن فضيلة وعن ملكة فيه رسخت مع النشوء . فيكون حينئذ قد فعل ما فعل آباؤه . فإن أعمالهم الباقية دلائل على أفعالهم . وإنما يمدحون على أعمالهم لأنها عن أفعالهم ؛ وإنما يمدحون على أفعالهم

(١) المستصعبة : المستصبة س (٢) وينشط : وسط د : وبسط سا || لادخار : الادخار د || المكتسب : سقطت من ب (٣) بأفعاله : بأفعال د (٤) مديح : مدح م || سوسدس د ، س ، ه : سيرسدس ب ، ن ، سا : سيوسدس م || الساطورانس : الساطوراس د : الساطورياس ب ، ن — فى الترجمة العربية القديمة ١٥ أ ١٧ : الساطوراسن ؛ وفى ارسطو ، ١ — ٩ — ٣١ (١٣٦٧ ب ٢٠) نجد : τ' οὖσα τυράννων وقد قلبها المترجم علما || كأن : سقطت من م (٥) قبيلة : + قبيلة م || من : + قبيلة د (٧) فيلحق : فلحق سا || المدائح : المادح سا (٨) بما : ما س ، ه (٩) بالبخت : سقطت من س (١٠) فهى : وهى م ، د ا (١١) التى : الذى س ، م ، ن (١٣) منه : فيه د (١٤) ولذلك : فكذلك د : وكذلك م الجميل : الجميد د (١٥) وعن : و سا

لأنها تصدر عن فضائلهم الموجودة فيهم . فأما استحقاق الحمد فهو لنفس الفضيلة، حتى لو تيقنا وجود الفضيلة فى إنسان ما ، فإنا نمدح ذلك الإنسان، ولو لم نر فعلا فعله . ثم الفعل دليل على الفضيلة التى هى الممدوحة . وإن كان استحقاق الحمد لا يكون إلا على فعل . والفعل هو الإنعام . وأما السعادة المشهورة فهى من باب الاتفاق والبخت . وكما أن صلاح الحال جنس للفضيلة، كذلك الاتفاق الجيد جنس للسعادة .

لكن الكلام فى المدح والمشورة نوع جديد، أى غير ما قلناه مما هو خاص أو مما قد اعتبر خاصا بكل واحد منهما، بل شيئا يعمهما وغيرهما من الأمور الخطابية. وذلك أن من الذى نمدح به الممدوح أشياء قد يشار بها على المشار عليه . وبالعكس. فإنه كما يقول المشير : ينبغى أن لا تستنيم إلى السعادة الاتفاقية ، بل أن تستنيم إلى ما تيسر لك من المآثر المكتسبة بالمشيئة ، ويكون هذا مشورة على سبيل تفويض وإطلاق، إذاً كذلك يقول المادح فى الممدوح : إنه هو الذى حاز المحاسن بسعيه ، ليس الذى اتفق له من أسبابها ما أتته منها حظا غير موثوق به . فإذا أردت أن تمدح ، فيلزمك أن تتأمل ما تمدح به . فإذا كانت المشوريات تتضاد فى أمور ، فيمنع عن بعضها ويطلق بعضها ، فالذى لو أشرت لأطلقت الإذن فيه ورأيته المستصلح من الأمرين للتقرب بالمشورة به ، فهو المستصلح للمدح . فانتقل من المشورة إلى المدح ، ومن المدح إلى المشورة .

(١) الموجودة فيهم : التى وجودها فى أصحابها د || فاما : وأما د (٣) ولو لم : ولم م || فعلا : فضلا س : فعل ب (٥) للفضيلة : الفضيلة ب (٦) الاتفاق الجيد : اتفاق الجيد م : اتفاق البخت ب، ن ، دا : اتفاق الحيل سا (٧) المشورة : المشهورة س || مما : + هو د (٨) بل : + لو م (٩) به : بها س، م، ن ، ه ، دا (١٠) أن لا : أن س، م : لا م (١١) المكتسبة : المتسكبة د (١٢) إذاً : وإذا ن : فاذا ه (١٣) بسعيه : لسعيه س || اتفق : سقطت من س || ما : بما م، ن ، ه || حظا : خطأ م، س ، ه، دا، سا (١٤) به : سقطت من م (١٥) فالذى : والذى د (١٦) للتقرب : للتقريب د || بالمشورة : فى المشورة ه || به : سقطت من م، ن، ه

وينبغى أن يؤكد أمر المدح، وكذلك أمر المشورة، بالألفاظ المعظمة المفخمة، كما يقال: إنه هو نسيج وحده فى كذا، وإنه قريع عصره فيه، وإنه وحده فعل، وأول من سن، وأسرع من فعل مثل فعله، وأكثر من فعل مثله فعلا، وفعل فى زمان يعسر فيه فعل مثله، وإنه صار قدوة لغيره، وأقام غيره لمن سواه، وأصبح مزجره عن الفحشاء والمنكر أمة يؤتسى به فى الجميل شهرة عند الناس والجمهور، وخصوصا إذا كان فعل ذلك بقصده. ويقال فى كل شىء من ذلك ما يشاكل. وكذلك يقال: إنه فعل كذا لا كفلان الذى قصر عنه، بل كفلان الذى وفق له. وليس كل إنسان مليئا بالمقايسة بينه وبين غيره. فإن أكثر الناس يستفضل نفسه على غيره فى فضله، ويستهين رذيلته وعيبه الذى لو كان فى أخيه استكثره. وعلى ما يقال: إن المرء ليعمى عن الجذع يعترض فى حدقته، ويلمح قذاة فى عين صاحبه. وليس كل إنسان مثل سقراط الذى كان يعتبر نفسه من غيره فى مجارى أخلاقه، فيعاقب نفسه إذا تشبهت بالأراذل، ويثيبها إذا تشبهت بالأخيار. ومن المحمود أن يجتهد فى التشبه. فإن المجتهد كالحاصل فى تخوم الفضائل.

فبهذه الأشياء يكون التعظيم. والتعظيم يدل على زيادة فى الشرف. والزيادة فى الشرف شرف مفود. والشرف المفرد ممدحة خاصة. وبالجملة: فإن التعظيم والتفخيم أشد

(١) المفخمة: سقطت من د (٢) كما يقال: كال د || هو: سقطت من د || قريع: بديع ب (٣) أسرع: شرع د: اترع م: ابترع ه: أبدع ن || مثل فعله: فعل مثله فعلا س، ه: + فعلا سا || وأكثر فعلا: سقطت من سا (٤) وإنه: فانه سا (٥) مزجره: من حره د (٦) من: فى س (٧) إنه: ان س || فعل: فعلا س || لا: سقطت من م: الا سا (٩) يستفضل: سيفضل م || فضله: فضيله س || فى فضله: سقطت من سا || رذيلته: ورذيلته د (١٠) استكثره: استكبره د؛ سا: استكره س، ه (ثم صححت فى الهامش فى ه: استكثره) || يعترض: + به س، ه || يلمح: سقطت من س (١١) قذاة: قذا س: قذاه ه (كتب تحت التاء خ) || من غيره: بغيره د (١٢) يثيبها: ستها س (١٣) المحمود أن: المحمودات س، ه || التشبه: النسبة د (١٥) والزيادة فى الشرف: سقطت من د (١٦) ممدحة: ممدوحة ب

مشاكلة للمدح ؛ وأما الدلالات والبرهانات فأشد مشاكلة للمشورة . لأن الممادح بالحاضرات ، وأكثر الحاضرات مقر بهـا ، وقلما يطلب دليل عليها ؛ وأما المشوريات فبالمعدومات الغائبة. وتمس الحاجة إلى تصحيح الغائب بالحجة وضرب الأمثال ممـا كان لمـا سيكون أشد من مسها إلى تصحيح الحاضر . وأما الكلام الذى هو فصل القضاء ، وهو استيضاح صحة الحجة، فللحاكم، لأن الحاكم ينبغى أن يورد الفصل الذى لا مطعن عليه . وضرب الأمثال من الأمور المستقبلة والمـاضية أوقع عنـد الجمهور فى المشورة من غيره ، لأنه أمر قد كان ودرس وبقى ذكره . وللتذكير تأثير أكثر من المشاهدة ، لأن التذكير كأنه أقرب إلى الأمر العقلى الذى يختص بذوى الألباب ، والمشاهدة إلى الأمر الحسى الذى يشترك فيـه الخاص والعـام . وقد تستنبط الممـادح من المذام ، والصواب فى المشورة من الخطأ فيها .

فصل [الفصل الخامس]

فى شكاية الظلم والاعتذار بأنه لا ظلم

وأما القول فى الشكاية والاعتذار فقد حان أن ننتقل إليه ، ونحدد القياسات المشاجرية، وأن نبين الأمور التى يجور الجائر لأجلها، فتؤخذ منها مقدمات فى أنه

---

(١) البرهانات : البرهانيات د ، س || الممادح : المادح ب (٢) مقر : تقرد || دليل عليها : عليها دليل س، هـ (٣) فبالمعدومات : فبالمعدمات م،ن : مادمات هـ || وتمس : ومس س، هـ ، سا : ومن م ، ن || ضرب : تصرب د (٤) الأمثال : المثال سا || مسها : منتها م (٨) للتذكير: للتذكرب، ن، سا || التذكير: التذكرب، ن، سا (٩) المشاهدة : المشاهد ب، د، سا (١٠) العام : العلوم م (١٢) فصل : فصل ٥ هـ : فصل هَب : الفصل الخامس س ، م (١٣) شكاية: الشكاية م || الظلم : والظلم م || ظلم : + به هـ (١٥) وأن : ود || يجور : بجوير م || فتؤخذ : فوجد م : فيوجد هـ

لمـا كان الفاعل كذا أقدم على الجور، والأمور التى يعرض بها الإنسان لأن يجار عليه، فتؤخذ منها مقدمات فى أنه لمـا كان المفعول به كذا أُقدم بالجور عليه، والغايات التى كان يجار لأجلها الجور، والأمور التى هى فى أنفسها جور. وقبل ذلك ينبغى أن نُحدد الجور، فنقول :

إن الجور إضرار يقع بالقصد والمشيئة متعد فيه الرخصة الشرعية.

والشريعة والسـنة : إما خاصـــة مكتوبة بحسب شارع شارع، وبلاد بلاد، وأزمنة أزمنـة ؛ وإما عامة غير مكتوبة، لكن أكثر النـاس وجلهم يعتقدونها، ويرونها. ور بما تخالفا : مثل إيثار أرذل الأولاد بالتحلى، فإنه يصح فى السنة المكتوبة، إذا وقع من المؤثر فى وقت الصحة، ويمنع عنه فى السنة الغير المكتوبة. والقضاء المو مبنى على السنة المكتوبة، والوساطة على السنة الغير المكتوبة، والحسبة على أقرب السنتين من مصلحة الوقت مشوبة بسنة الملك، وهو السياسة.

فالجائر هو الذى يضر بالمشيئة. لأن الذى يصدر عنه فعل ما طبعا أو قسراً، لا مشيئة وطوعا، فإنه لا يعد به محسنا ولا مسيئا. وأما الذى يقدم طوعا على ما يفعله فهو الجائر. والمقدم طوعا هو الذى يعلم ما يفعله ويقدم عليه غير مقسور لأمور يستدعيه إليه هواه. فمنهم من يكون مقدما هذا الإقدام عن روية ونظر واختيار، وهذا هو الشرير الجائر. ومنهم من يفعل ذلك لضعف رأى، وهو الذى يجيب

(١) لمـا : كتب تحتها لم فى ه || يعرض : يعترض ب || بها : لها س || يجار : يحاب ب، م، ن، سا (٢) فتؤخذ : فيوجد م، ه || لمـا : كتب تحتها لم فى ه || كان : سقطت من س، م، ه (٣) يجار : سقطت من ب، ن، سا || الجور : سقطت من س، سا (٥) والمشيئة : والجور سا || متعد : متعدى ب، سا : يتعدى د، ن (٧) بلاد : سقطت من م || وازمنة أزمنة : وأزمنة وازمنة م || لكن : ولكن ب (٨) تخالفا : يخالفها م || بالتحلى : بالتحله ب، د، ه (٩) وقع : + ذلك س، ه (١٠) والقضاء ... السنة المكتوبة : سقطت من س || الوساطة : الواسطة ب (١١) الحسبة : الحسنة ب، ن، م || السنتين : السنن م : السنن سا (١٢) فالجائر : والحار د || فعل : سقطت من س (١٣) ولا : سقطت من سا (١٤) يعلم : سقطت من س || يقدم : يفعل س || لأمور : ولأمور س، ه (١٥) اليه : اليها د || نظر : بصر ب (١٦) لضعف : الضعف سا || رأى : الرأى م، د، ا || وهو الذى : سقطت من م || يجيب : بحيث سا

فى ذلك داعى تخيل يثير انفعالا نفسانيا مناسبا لاستعداد خلق له ، أو مخالفا للخلق الموجود فيه . مثل ما يعرض ممن تغلبه الشهوة أو الغضب أو الخوف أو شىء آخر مما يشبه ذلك ، فيعمل من غير روية يستعمله فيما يفعله ، وربما يعقبه الندم . وهذا مثل ما يبدر عن النذل إذا لمح مرفقا ؛ وعن الشره النهم إذا عرضت له لذة ؛ ويبدر من الكسلان ، عندما يتخيل الدعة التى يهواها ، من خذلان صديقه ؛ ومن الجبان عند الخوف ، فربما سلم الحريم ؛ وكما يقع من المؤثر للكرامة عند استرباح الكرامة وتقية الهوان ؛ وكما يقع من الغضوب ، عند ثوران الغضب ، من عسف ؛ ومن مؤثر الظفر ، عند اعتراض الغلبة ، من اقتحام ؛ ومن الأنف ذى الحمية ، عند خشية الاستخفاف والعقوبة ، من انقباض ؛ ومن المائق المأفوك فى عقله ، عند التبلد فيما بين الخطأ والصواب ، من خبط ؛ ومن الوقح الحريص ، عند فائدة تلوح له ومربحة خسيسة تقرب منه ، من استخفاف بنضوب ماء الوجه ، وقلة رغبة فى الحمد . فهذه هى الأحوال التى إذا كانت فى خلائق الناس حركتهم إلى الجور ، أو كانوا قد انفعلوا بها وقتا ما ،

---

(١) داعى د ، ه ، بخ : داع ب ، س ، م ، ن || تخيل : تخيلى ه || يثير : ينشر ه || انفعالا : افعالا ه || نفسانيا : لا نفساً ينا م : نفسانية س (٢) الشهوة : اشهوة د : الشهرة س || أو الخوف : والخوف س (٣) يستعمله : يستعملها د ، دا ، ن || فيما : مما م || وربما : فربما ب : قديما د (٤) يبدر : سدر م : يندرن ، ه ، سا || مرفقا : موقفا م : مالا موهما د : موقفا ن ، سا || عرضت : اعرضت س : اعترضت م ، ن ، ه ، سا (٥) يبدر : يندرن ، ه ، سا (٦) وكما : كما م ، ن ، دا ، سا ثم كما ه : ثم لما س || من المؤثر : من موثر س ، ه : للوثر د (٧) للكرامة : الكرامة س ، ه ، سا || يقع : يعرض س (٨) الغضب : غضبه د || من عسف : سقطت من د || مؤثر : فوت ب ، م : موت سا || اعتراض : اعراض س ، ن ، ه || من : فى ب (٩) الأنف : الآنف س (٩-١٠) من انقباض : سقطت من د (١٠) المائق : سقطت من ن || المأفوك : المافون ب : المارق د : المادن ن ، دا : المادون بخ || فيما : سقطت من د (١١) من خبط : من محيط م : من حيرة ه : سقطت من د || ومربحة : ومن مربحة م (١٢) استخفاف : استخفافه ب ، د : استحقاق س || رغبة : رغبته د (١٣) انفعلوا : نفعلوا د

وإن لم تكن عن خلق . وينتفع الخطيب باستعمالها فى أن الجور وقع من الجائر. فينبغى أن نبين الآن الأشياء التى لأجلها يجار. فإن الأمور المشكوة ستحد، وأما المعاذير فإنها غير محدودة بأنفسها، لأنها تتبع الشكايات وتحدد بها. فمن المحال أن تكون معذرة إلا وتتلق بهاشكاية مصرح بها ، أومضمرة، أو متوقعة ، فنقول :

إن كل فعل يصدر عن الإنسان ، فإما أن يكون عن قصد و إرادة ، أو يكون بغير قصد و إرادة . وما ليس بقصد و إرادة ، فإما أن يعرض بالاتفاق، أو يقع بالاضطرار . والذى بالاضطرار ، فإما أن يقع عن طبيعة ، و إما أن يقع عن قسر . فأما الأفعال التى تكون عن الإرادة ، فمنها ما يتبع العادة والخلق ، ومنها ما يتبع شوقا حيوانيا ، إما نحو اللذة وهو الشهوة ، و إما نحو الدفاع والغلبة وهو الغضب، ومنها ما يتبع شوقا فكريا أوشوقا منطقيا . ويشبه أن يكون قد عنى بالفكرى ما يصدر عن الفكر نحو أى غرض كان، و إن كان الغرض غير عقلى أو غير جميل، و بالمنطق ما يكون نحو الجميل العقلى . ويشبه أن يكون قد عنى بالفكرى التخيلى، بالمنطق الفكرى بالحقيقة . وهذه الأقسام تنحصر فى سبعة : الاتفاقى، كمن رمى صيداً فأصاب إنسانا ؛ والطبيعى ، كمن ركب مطية مستأجرة مثقلة بالقدر الذى عسى أن يكون غاية ما يرخص فى حمله عليها، فناء بها حتى نفقت ؛ واستكراهى ، كمن يلب على يده فيقبض سكينا ، فيوجأ بيده إنسان ؛ وإما عادى وخلق ، مثل

(١) أن : سقطت من س (٢) ستحد : ستجد د (٣) المعاذير : المقادير م || تحدد : يجدد د || فمن : ومن د (٤) تتلق : تلقا ب ، م ، دا : تلق سا (٥) أو يكون : أو ان يكون م (٧) طبيعة، وإما أن يقع عن : سقطت من س (٨) فاما : واما م ، ن ، دا || منها : سقطت من م (٩) إما : واما س (١٠) الغضب : + ومنها ما ينبع شوقا حيوانيا... وهو الغضب د || ويشبه : أو أشبه ب (١١) غير عقلى : عن عقلى د (١٢) قد : سقطت من د (١٣) التخيلى : التحله س (١٤) مستأجرة : مستابره د (١٥) يكون : + فى س || حمله : حملة د || فناء : فباء م (١٦) فيوجأ : فيوجى ب : ويوجا د، س، ه || عادى : عادتى س، ه : اعتيادى ب، د || مثل : سقطت من ب

من اعتاد السرقة والاختلاس . فإذا أمكنته فرصة لم يملك نفسه أن انتهزها ؛ وإما فكرى ، مثل رجل اختل حاله ، فلم يزل يفكر و يحتال حتى أنشأ تدبيرا فى اختزال مال إنسان ؛ وإما غضبى ؛ وإما شهوانى . فهــذه هى القسمة الذاتية . وأما قسمة هذه الأسباب من جهة الأسنان ، ومن جهة الهمم ، فمثل مايقال : إن الشاب يجور فى الحرم وفى الدماء ، والشيخ يجور فى الأموال ، والغنى يجور فى اللذات . فليس ذلك قسمة ذاتية . فإن الشاب ليس يجور فى الدماء ، لأنه شاب ، بل لأنه غضوب ؛ وليس يجور فى الحرم لأنه شاب ، ولكن لأنه مغتلم . والشيخ ليس يجور فى الأموال لأنه شيخ . ولكن لأنه حريص وخ . والغنى ليس يجور فى اللذات لأنه غنى ، بل لأنه حريص متمكن . وكذلك الناسك ليس يعدل لأنه عابد ، بل لأنه زاهد . لكن من الأقسام التى تتبع العرض ما هو بعيد عن المناسبة ، مثل قسمة الناس إلى البيضانى والسودانى والنحاف والسمان . فإن ذلك لا يتعلق به شىء من الأخلاق التى تصدر عنها هذه الأفعال بالذات . ومنها ما هو قريب ، وهو مثل قسمة الناس إلى الأحداث والشيوخ ، وإلى العباد والفساق . فإن هؤلاء قد يكيفهم و يلزمهم من الأخلاق ما تصدر عنها بالذات هــذه الأفعال . والغنى والفقير من هذا القبيل . فللغنى أخلاق تخصه ، وللفقير أضدادها .

---

(١) أمكنته : امكنه م (٢) اختزال : اختزاك م (٣) مال : ما م : حال د
(٤) الأسنان : الأسباب د (٥) يجور : يجوز د || يجور : يجوز د || يجور : يجوز د (٦) فليس ذلك : تلك د || يجور : يجوز د (٧) يجور يجوز د || مغتلم : مغيلم د
(٨) ليس : سقطت من د || يجور : يجوزد || وخ : دج د (٩) يجور: يجوز د (١٠) عابد : مايد د || العرض : الغرض د ، س ، م ، ه ، سا (١١) البيضانى : البيضاى د || السودانى : السوداوى د
(١٢) به شىء : بشىء سا (١٣) وهو : سقطت من س (١٤) يكيفهم : تكفيهم ن ، ه
(١٥) الفقير : الفقرس ، ه (١٦) أضدادها : أضداده د ، س ، ه ، سا

والأفعال الصادرة عن الاتفاق غير مضبوطة ولا محدودة . وأما التي عن الطبيعة فدائمة وأكثرية . وقد توجب الطبائع أيضا أخلاقا متمكنة لا يجب أن تنسب الأفعال الصادرة عن تلك الأخلاق إلى الطبائع إلا بالعرض . ولم يحسن من ظن أن الطبائع في هذا الموضع تعمل عمل السجايا . وأما الخارجات عن الطبيعة فقد علمتها . والمستكره في جملتها . وقد جرب الناس أحوال المستكرهين مرارا كثيرة في أمور مختلفة ، وعرفوا ما فيه . فالمستكرهون عرضة لتمهيد معاذيرهم . إنما الذي يجب علينا تفصيل القول فيه هو ما يكون بروية وفكرة لمنفعة تؤم نحو غاية ترى خيرا ، وربما كانت لذة أو غلبة . لكن إقدام من يستفزه الانفعال، فيحثه على فعلٍ ما ، هو على خلاف هيئة إقدام المروى عليه . فإن الذي يقدم بانفعال نفساني أو خلق هو الذي قد أعرض له الشيء ، فشاهده ، فتحرك به إليه انفعال أو خلق . وأما الذي يقدم بروية فهو الذي يتمحل الحيلة في تحصيل الغاية وطلبها قصداً . لكن أكثر من يجور عن روية ، يجوز لمنفعة ، لا للذة ، ولا لغلبة، وأما الشهوانيون الفجار فليس يجورون في اللذة لينتفعوا بها في شيء، بل لنفس اللذة . والمنطوون على إحنة ووتر يطلبون الثأر لأجل التشفي والغلبة ، لا لأجل التأديب . وفرق بين العقاب وبين أخذ الثأر . فإن التأديب يقصد به

(٣) الصادرة : سقطت من ه || إلى : في د (٤) في هذا الموضع تعمل : يعمل في هذا الموضع س ، ه || الخارجات : الخارجيات م (٥) المستكره : المستنكرة م || جرب : جربت د (٦) في : وفي س ، ه ، سا || وعرفوا ما فيه : سقطت من س ، ه || فالمستكرهون : وهم س ، ه : والمستكرهون سا || لتمهيد : لتمهيده د (٧) تفصيل : بفصل ه || هو : وهو س ، ه || فكرة : سقطت من س || تؤم : توم ب ، د ، م ، ن ، دا || نحو : سقطت من م (٨) خيرا : جورا ب || وربما : أو ربما م (٩) عليه : نحوها د ، م (١٠) الشيء : شيء ن || فشاهده : فشاهد س ، ه (١٢) وطلبها : فطلبها م (١٣) لغلبة : لعله د || يجورون : يجوزون د (١٤) المنطوون : المنطوُن ه || ووتر : وتر س || يطلبون : يطالبون م (١٥) التأديب : العقوبة د || التأديب : المعاقبة د || به : بها د

تقويم المسيء وتثقيفه وردعه ومجازاته لأجل مجازاته. وأما الثأر فالمقصود بطلبه ليس حالا تحصل فى المفعول به فقط ، بل حالا تحصل للفاعل ، وهو التشفى والابتهاج بالانتقام . وكل متبع روية أو مطيع خلقا أو انفعالا فله لذة ما فيما يطلبه . ولكل لذة علة . فبعض اللذات علتها الطبيعة ؛ وبعضها علتها العادة ، حتى إن كثيرا مما هو غير لذيذ بالطبيعة يعود لذيذا بالاعتياد ، وبالجملة : فإن الإقدام على شيء طوعا لارتياد خير ولذة حقيقية أو مظنونة — وبالجملة : لابتغاء المنفعة — هو خاصة للروى. فإن المروى هو مستعمل الحد الأوسط إلى ما يرتاد من الخير عنده. وهذا الحد الأوسط هو المنفعة، حتى إن الشر بالحقيقة أو بالظن، أو اليسير من الخير قد يطلب بالروية طلب النافع ، ليتوصل به إلى غاية هى خير أو ترى خيراً . فحرى بنا أن نتكلم فى النافع واللذيذ . لكن النافع قد ذكر فى باب المشورة ، فبقى اللذيذ .

فصل [الفصل السادس]

فى أسباب اللذة الداعية إلى الجور

إن اللذة حركة للنفس نحو هيئة تكون عن أثر يؤديه الحس بغتة ، يكون ذلك الأثر طبيعيا لذلك الحس . وأعنى بالحس الظاهر والباطن معا . والشيء الذى يفيد هذه الحركة هو اللذيذ ، وضده الذى يفيد هيئة مضادة لهذه هو المؤلم .

(١) وأما : فأما د (٢) حالا : حاله د || تحصل : + به ه (٣) مطيع : مطمع سا (٥) لذيذا : لذيذ م (٦) فان : ان س، ه || بالجملة : سقطت من د (٧) لابتغاء : لاابتغاء م : ابتغاء د : الانفاء ه || المروى : سقطت من سا (٨—٠) هو خاصة المروى ... هو المنفعة : سقطت من ن (٨) وهذا : وهو م || الأوسط : سقطت من ه (٩) هى : هو س، م، ه (١٠) واللذيذ : اللذيذ م ، ن ، دا (١١) المشورة : المشوريات م || فبقى اللذيذ : سقطت من سا (١٢) فصل : فصل ٦ ه : فصل و ب : الفصل السادس س ، م (١٣) فى : + تفصيل س، ن، ه، دا (١٤) للنفس : النفس م (١٥) الأثر : الأمر س، م (١٦) هذه الحركة ... يفيد : سقطت من د || هو (المؤلم) : وهو س

فالأمور الطبيعية كلها لذيذة . والمعتادة والمتخلق بها هى أيضا كالطبيعية ، إذ العادة كأنها طبيعة مكتسبة . والمستكره مخالف لها مؤلم . ولذلك صار الاعتناء وبذل الجهد والدّؤب من المؤلمات ، والكسل والاستراحة والتوانى والعصيان والترف والنوم من اللذيذات ، لأنها نحو الأمر الطبيعى . والمشتهى لذيذ كيف كان لذة نطقية أو غير نطقية . وغير النطقية هى التى يتوجه إليها الشوق لا عن فكرة ورأى وتمثيل بيّن أنه هل يجب أن يطلب أو أن لا يطلب ، وهى التى تنسب إلى الطبيعة وإلى الحس . لكن السمع والبصر قد يختصان بتأدية لذات إلى النفس ليست طبيعية ، بل عقلية ، بما تدل عليه من غير المعنى المحسوس ، كمن يسمع فضيلة فينزع إليها ، أو يبصر صنعا جميلا فيحن نحوه ، ويؤثر التشبه به ، أو يقرؤه من مكتوب . وأما التخيل فله نوع من اللذات ، إلا أن التخيل حس ضعيف كأنه أثر عن حس ، ويلذ بالتذكير أو بالتأميل . وأكثر المأمول يطابق المذكور وخصوصا وإنما تؤمل تركيبات عن مفردات محسوسة وسالفة ، فيكون الالتذاذ بالذكر أو بالأمل تابعا للذة حسية شوهدت فذكرت ، ثم أُملت . وإن الحس للحاضر ، والذكر للماضى ، والتأميل للمنتظر . وربما كان الذكر والتأميل أشد إلذاذا من المركون إلى حصوله . فإن الشوق يسقط مع الظفر . والملال من هذا القبيل . وهذا يختلف باختلاف الأوقات ، والأحوال ، والسجايا . ومن الأذكار

---

(١) فالأمور : فان الأمور س || كالطبيعية : كالطبيعة د ، س ، م ، ن ، سا (٣) الجهد : الجد س ، ه || الدوب : الدووب سا : الداب د : الدودب م : الدودبة ه || والتوانى : التوانى م (٤) الترف : الترق س : الترق ه || نحو : هو س (٦) ورأى : فرأى د || تمثيل : تمثل ب : تميز ن ، د ا (٧) والى : أو إلى ب ، د ، سا || يختصان : مختصان ب || النفس : نفس م ، ه (٨) ليست : ليس ن ، ه || تدل : يدل ه (٩) يبصر : بنصر م || صنعا : فعلا س ه : صنيعا م || ويؤثر : أو يؤثر د (١٠) التخيل : التخييل س ، م || فله : + فله سا (١١) ويلذ : وتلذ ب || بالتأميل : بالتامل ن ، ه (١٣) فذكرت : ثم ذكرت م ، ن : ثم قد ذكرت ه (١٤) التأميل : التأمل ه (١٥) المركون : المذكور م : المذكون ه : المدكون س : الذكور ن

اللذيذة أذكار مشقات قوسيت فتخلص بها من خطر ، أو توصل بها إلى مراد ووطر. وانبعاث الغضب أيضا فكثيرا ما يلذ ، لتخيل الغلبة اللذيذة واستقرائها ، كما قال أوميرس : إن الغضب لأحلى من الشهد . ولولا الغلبة لما لذ الغضب . فإن الغضب على من لا يرجى الانتقام منه ، لعلو شأنه ، غير لذيذ. وأيضا فإن الساقط الخامل الذى لا اعتداد به قلما يلتذ بالتسخط عليه ، لقلة الالتذاذ بغلبته. والشهوة قبل المواقعة قد تلذ ، لمثل هذا الشأن . وذلك لأنه يتخيل معه المواقعة ومصادفة المشتهى ، فتلذ. ولهذا ما يلتذ المتذكر والمؤمل . ولهذا ما يعرض لبعض المصابين أن ينقبضوا عن المآتم والمناحات تسليةً للنفس بلذات الذكر والأمل ، وخشية أن يؤكد المأتم خيال الألم فى النفس . وربما اجتمع فى عارضة واحدة لذة وألم ، كالمصاب فإنه يلتذ بتذكار من أصيب به ، ويتألم بفقدانه ، وكما قال أوميرس الشاعر فى وصف كلام إنسان يندب ميتا ويؤبنه ويذكره : إنه لما تكلم بذلك ، صرخوا صرخة فاجعة لذيذة. ومن اللذيذات إدراك الثأر، وإخفاق العدو فى الطلبات . وكما أن الحنق ، إذا لم يستقص التشفى بالانتقام ، بقى حسيرا ، إلا أن يترجى التلاقى ، فيفرح بالرجاء. والغلبة لذيذة ، لا لجمهور الناس ، بل لسائر الحيوان ، فضلا عن مؤثريها من الناس خلقا وطباعا ، وإن اختلفت

(١) اذكار : سقطت من س || مشقات : مشبقات د || قوسيت : قوسيه د || (توصل) بها : سقطت من س : وكتب فوقها خ فى ه (٢) ووطر : وطرد ب || وانبعاث : ولا انبعاث م || لتخيل : لحصل س (٣) اوميرس : اوميروس ب ، ه ، م ، ن : + الشاعر م ، ن ، ه (ثم كتب فوقها خ فى ه) || إن : لان س || لأحلى : لاجلى س (٤) وأيضا : سقطت من س : كتب فوقها خ فى ه (٥) قلما : قل ما د || بالتسخط : بالسخط د || الشهوة : الشهرة س (٦) مصادفة : مصادفة س : مصادرة م (٧) فتلذ : قبله س || ولهذا : واهذا م : فلهذا د ، ه || المؤمل : المتأمل س (٨) المآتم : الماا اثم سا || المناحات : المناحاه س : المباحات م : النباقات ه || للنفس : سقطت من ب (٩) أن : سقطت من م || المأتم : الماا اثم سا (١٠) كالمصاب : كالمضاف د || وكما : كا ب ، د ، ن (١١) اوميرس : اوميروس ن : إميروس م : ميرس س || انسان : انسانا ب || يندب : يب د || يؤبنه : يؤبنه د (١٣) فى الطلبات : سقطت من س ، ه ، سا || وكما : كما سا || الحنق : الخفق م (١٤) فيفرح : مفرح ب (١٥) اختلفت : اختلف م

الدرجات فيه . ولهذه العلة ماصار استعمال الأدوات اللعبية كالضرب بالصولجان والمراماة بالأحجار والملاعبة بالشطرنج والنرد وسائر مايجرى مجراها لذيذة . فبعضها لا يلذ مالم يتمهر فيها كالشطرنج والنرد ، وبعضها يلذ فى الحال كالصيد . والغلبة بالواجب والقسط ألذ عند قوم ، والتى تقع بالمشاغبة والتلبيس ألذ عند آخرين ، بحسب انشعاب الهمم . وكثير من الغلبة وغير الغلبة يرغب فيه لما يتبع ذلك من الكرامة ، لما يتخيل من استحقاق الغالب والمعجب إياها مع الغلبة أو التعجب . فإن المجتهد فى الفضيلة ربما صرف وكده إلى اجتهاده بسبب الوجوه . وحتى إن إكرامه على ذلك يزيده غلوا فيه . ووجوه الحاضرين أدعى إلى ذلك من الغيب ، والمعارف أولى بأن يبتغى وجوههم من الأجانب . والبلديون أولى به من الغرباء . والحاصلون أولى به من الآتين . والمحصلون أولى به من الأغتام . والأكثر عددا أولى به من الاقل . وأما المستخف بهم جدا مثل البهائم والأطفال وأشباههم من الناس فلا تهتز الانفس إلى طلب الوجه لديها . والأحباء من الأمور اللذيذة . فما من حبيب حتى الجسم إلا ويستلذ . وإنما يستلذ الحبيب لما يتخيل فيه من خير يصل منه أو يريده هو لمن يحبه . وأما التذاذ الإنسان بأن يكون محبوبا مقربا فليس لاجل شيء خلا نفسه . وكذلك أن يكون متعجبا منه ، ولأجل ذلك ما يبارز المعجب من نفسه بين الصفوف ومجمع الزحام ومآقط اللقاء ، فيتجشم

(١) اللعبية : اللعيبة د (٢) فبعضها : وبعضها ب (٣) وبعضها : سقطت من د (٤) ألذ : الذى د (٥) الهمم : الهم د || يرغب : فيرغب ب ، د (٦) مع : من س (٨) اكرامه : الكرامة د (٩) من (الأجانب) : و س (١٠) به : سقطت من س (١١) واما : و س (١٢) الانفس : النفس د || طلب : طالب م || لديها : لذتها د ، م ، ه (ثم صححت فى الهامش فى ه) (١٣) حبيب : حسث د || الجسم : الجسد سا : الحاسد د : الحسده ب || وإنما يستلذ : وإنما يلتذ ب (١٤) لمن : بمن ب ، سا (١٦) المعجب : المتعجب س : المجيب م || مجمع : مجتمع د || مآقط : اماقط ب : ماقطه ن : ماقط س

ما يتجشمه التذاذا بما يعجب من نفسه . والتملق أيضا لهذا السبب لذيذ . فإن المتملق معجب من نفسه بما يظهره من الموالاة . وتكرير اللذيذ لذيذ . والمعتاد لذيذ . وتغير الأحوال وتبددها لذيذ ، لما يستحدث معه من الإحساس بها ، ويكمل به من الوهم المتسلط علينا . فإن الوهم إنما يستكمل بما توردة عليه الحواس من الفوائد الجديدة . وأما الحاصل فيكون كشىء قضى منه الوطر ، فلا تأثير لبقائه . والتعلم لذيذ، ويشبه أن يكون إلذاذه لما يخيل من التعجب منه إذا استكمل، ولأن التعلم يخرج أمرا دفينا فى قوة الطبيعة إلى الاستكمال وإلى حصوله صنعة . والفعل الجميل إذا فعل لذيذ . والانفعال الجميل كالاحتمال الدليل على جودة الاقتدار، وكمال المسكة لذيذان ، وكأنداب الجروح فى مزاولة الشجاعة . والفعل الحسن إنما يلذ لأنه يشتاق فيه إلى أمرين : أحدهما الحسن ، والآخر إظهار الاقتدار . وفى الانفعال أحدهما فقط . والهداية لذيذة . والكفاية لذيذة . وانسداد الخلة لذيذ . وكما أن التعلم لذيذ بسبب ما يتوقع من التعجيب ، كذلك المحاكيات كلها كالتصوير والنقش وغير ذلك لذيذة ، حتى إن الصورة القبيحة المستبشعة فى نفسها قد تكون لذيذة إذا بلغ بها المقصود من محاكاة شىء آخر ، هو أيضا قبيح مستبشع ، فيكون إلذاذها لا لأنها حسنة ، بل لأنها حسنة المحاكاة لما حوكى بها عند

---

(١) يتجشمه : يتجشمها م : يتجشم سا || التذاذا بما : التذاذ انما د ، س || يعجب : + التذاذا بما يعجب م (٢) معجب : متعجب سا || لذيذ : سقطت من م (٣) يستحدث : سيحدث س : يحدث م || معه : معها م ، ن ، د ا || الاحساس : الاحسان د (٤) المتسلط : المساط س || بما : عند ما س (٦) التعلم : التعليم م (٧) التعلم : التعليم م (٨) الدليل : الدال ب (٩) الجروح : الخروج م ، د ا || مزاولة : امزاولة د : كزاولة ه (١١) الانفعال : الافعال ه || انسداد : ايراد د : اسناد م || الخلة : الحله م (١٢) لذيذ : لذيذة س ، م ، ن ، ه ، سا || بسبب : بحسب س || التعجيب : التعجب ه ، د ا (١٣) الصورة : الصور د || المستبشعة : والمستبشعة م : المسبعه د (١٤) مستبشع : مستشنع د ، د ا (١٦) لما : كما ه || عند : عقد س

مقايستها به . والحيل التى يتخلص بها عن المكاره لذيذة ، لا لغاياتها ، بل لجودة ترتيبها . هذا كله لمناسبات بين الصورة مثلا وما يحاكيها، وبين الحيلة وما تعمل فيه . وهذه المناسبات أمور فى الطبيعة . وشبيه اللذيذ لذيذ، مثل شبيه الصديق. وشبيه نفس الشيء لذيذ إليه، لأنه نفسه إلى نفسه لذيذ، مثل الصبي إلى الصبي، واللص إلى اللص . وكذلك المناسب فى العادة ، لأن العادة محبوبة . والسلطان والترأس بالحكمة والاستبصار لذيذ عند الجميع ، وخصوصا عند محبي الكرامة . والتمكن من عول الأقارب ورياستهم لذيذ . ثم ارتياض المرء فيما بينه وبين نفسه فى اكتساب الفضيلة جيد لذيذ . والمضاحك والنوادر والفكاهات الحادة لذيذة . فهذه هى اللذيذات ، وأضدادها هى المؤذيات .

فهذه هى ما يدخل فى باب اللذة من غايات الجور .

فصل [الفصل السابع]

فى الأسباب المسهلة للجور ، كانت فى نفس ما جير به أو فى الجائر أو فى المجور عليه

وأما الدواعى إلى الجور من انتهاز الفرصة ، وحسن التأتى ، فسنعدها عدًّا . من ذلك أن يكون الجور مما يسهل تجهيله وإخفاؤه وإنساؤه ، أو يكون الغرم

---

(١) الحيل : التحيل م || لجودة : بجودة س ، ه (٣) فيه : فيها م، ن || شبيه : شيه ب (٤) لأنه : لأن س || نفسه لذيذ : نفسه لذيذة ه (٥) لأن العادة : سقطت من ب ، سا || محبوبة : محبوب ب (٦) محبي : مجيء د (٧) الأقارب : الاماره س || لذيذ : + لذيذ ب (٨) جيد : جدا س : جد سا : سقطت من د || الفكاهات : الفكاهاه س || لذيذة : لذيذ ه (٩) فهذه : هذه م (١٠) من : عن م (١١) فصل : فصل ٧ ه : فصل زـب : الفصل السابع س ، م (١٢) جيربه : خيرية ب ، م ، ن ، سا (١٣) أوفى الجائر : أفى الجائر د || عليه : سقطت من ب ، د ، س ، سا (١٤) الدواعى : الداعى ب || الفرصة : الفرص د || فسنعدها : + عليه د : فيسعدها م ، ن (١٥) مما : بما ب : ما س || اخفاؤه : القاوه س || انساؤه : انشاوه ب ، س ، م ، ه ، سا || أو يكون : وأن يكون ن ، ه || الغرم : العَزم سا

فيه ، إن شاع وظهر ، دون الغنم . وأما الكلام فى الممكن وغير الممكن من الأمور فسنشرحه أخيرا . ولكنه إذا اجتمع التمكن وأمن سوء العقبى ، دعا ذلك إلى ارتكاب الجور دعاء حثيثا . ومما يؤمن ذلك كثافة العشيرة ، وكثرة الشيعة ، وخصوصا إذا كانوا شاركوا فى العهدة ، هم أو آخرون هم منهم بسبب . وهذا من جانب الجائر . ومن ذلك زوال الحشمة ، وتأكد الصداقة مع المجور عليه ، فيرجى احتماله أو حسن مرجوعه بأدنى اعتذار يخاطب به ، ولما ترافع بعد إلى الحاكم . أو إذا أمل ذلك من الحاكم ، فيطمع فى ميله ، أو تخفيفه عليه النكير ؛ وهذا من جنبة المجور عليه أو الحاكم . وكذلك إذا كان المجور عليه مريضا ، أو ضعيفا ، أو بعرض حد يقام عليه ، أو بلاء يساق إليه . فإنه إذا كان كذلك ، أقدم على ظلمه من غير مبالاة . وهو أيضا قد يقدم على الجور ، فإن مثله لا يظن به الجور . ومن ذلك أن يكون الجور علانية جدا ، ومجاهرة حقا ، إما بترويج الجد منه على أنه هزل ، أو باختداع الأوهام والإيحاء إليها أن ذلك لو لم يكن واجبا ، لم يجاهر به . ومثل هذا الجور لا يتحفظ منه ، لأن كل تحفظ إنما هو عن معتاد الوقوع ، والنوادر لا تتقى ، وإلا لازدحمت تقيات غير متناهية فى إنسان واحد . ولذلك فلا يتحفظ عن صديق أو حميم . وكذلك فإن حسن الظن بالناس ، والواثق بصحبتهم ، والغافل عن ترصد أعدائه إياه هو بصدد

(٢) فسنشرحه : فيشرح د || أخيرا : خيرا م : اخرا ن || أمن : آمن م || دعا : دعى ن ، ه (٣) كثافة : كافة ن ، ه : كثائب هامش ه || الشيعة : الشعبة م (٤) شاركوا : سقطت من م (٥) تأكد : تأكيد ب (٦) ترافع : برافعا ب ، ن ، ه (ثم صححها ترافع) (٧) او : و سا || فيطمع : فطمع س ، م || ميله : مثله د ، س ، م ، ن || تخفيفه : تحقيقه د ، ب || النكير : التكبر م ، سا (٨) أو : و س (٩) بعرض : يعرض م || بلاء : سقطت من سا || يساق : نعاق س || فانه اذا : فاذا ه (١٠) قد : سقطت من ب ، م ، ن ، دا || يقدم : تقدم د ، ه (١١) ومن : من د || ومجاهرة : أو مجاهرة د (١٢) الجد : الأخذ د ، الاحد ب || باختداع : باخداع ب || الإيحاء : الانحاء د ، ب ، ن (١٤) عن : عين سا || تتقى : تبقى ه : ببقى سا : يبقى م || تقيات : هيئات م ، ن (١٥) ولذلك : لذلك م : فلذلك د || فلا : لا د : قد لا م || كذلك : لذلك ب ، د ، ن ، دا ، سا (١٦) والواثق بصحبتهم ... هو بصدد : سقطت من م || بصحبتهم ن : بصحتهم بقية المخطوطات || ترصد : رصد دا

كل جور لسقوط التحفظ عنه . ومثل هذا يسهل الجور عليه لما يظن به من تضييع الاحتياط . ومن الناس من يهمل التحفظ إيهاما من نفسه سلامة الصدر، ليقل الاحتراز منه ، فيتمكن من الجور ، وتقوم الحجة له فى التنصل أنه ليس من أهل العدوان. ومن الذين تسهل عليهم الجور من يقتدر على كتمان ما جار فيه، إما فى الأخبار ، وإما فى الحالات ، أى فى أحوال يعمى على الناس فعله من مراآته بالتقوى ، أو وقوعه حين ما يجور فى زحام لا يبين . ومما يسهل الجور رجاء الإملال بالتجاج،وطول المدافعة عند المحاكمة ، والموافقة ، أو بذل الغرامة. وكذلك رجاء حيف من الحاكم إلى جنبة الجائر ، وتعديه فى الحكم . وكذلك الثقة بظهور الإعدام وأنه ليس ممن يسام غرامة ويجبر عليها . وكذلك من يرجو فى جوره منفعة حاضرة وعظيمة ، ويحاذر مضرة متراخية أو يسيرة. وكذلك من يأمن مضرة الغرامة عند منفعة الغنيمة لعموم فتنة أو وقوع هرج يهدر الجنايات. وكذلك من اكتسب بإمعانه فى الجور ذكرا ينشر أو فخرا يشهر ، مثل المؤاخذ بثأره ، إذا تعدى حد القصاص ، فقتل عن نفس نفوسا . وكذلك الذين لا يرتقبون فيما يجنونه آفة عن خسران فى مال أو اضطرار إلى جلاء . ومن الناس من هو بالضد من هؤلاء ، فيهون عليه ارتكاب الجور الذى تعقبه فضيحة أو

(١ — ٢) كل جور . . . الناس : سقطت من م (٢) يهمل : يهل ه || إيهاما : انهاما د، ن (٤) الذين : الذى م (٥) الاخبار ب ، هامش ه : الأحرار س، ه، سا : الاجزاء د ، ن : الاحرار م || الحالات : الخيالات م ، د ا || الناس : سقطت من د (٦) مراآته : ترا ايه ه : ترائيه س || لا يبين : الاثبين ه : إلا يتبين ن : لا يتبين د ، سا (٨) حيف : خيف د، سا || فى : من ب ، د، سا (٩) غرامة : غرامته د || يجبر : يحصر م || يرجو : يرجوا ب ، م : رجوا د (١٠) جوره : جور س || منفعة : ومنفعة سا || عظيمة : عظمه سا || يحاذر : يجاوز د || متراخية : ومتراخية م ، ن (١١) يهدر : تهدم || الجنايات : الخيانات م (١٢) وكذلك ... الاشرار (ص١٠٩ ، سطر ٦) : فقدت من س (١٢) ذكرا : ذكر ه || ينشر : انتشر ه || فخرا : فخر ه || يشهر : اشتهر م ، ه ، سا (١٣) تعدى : تعد م || فقتل : فقيل م || وكذلك : + فى م (١٤) يجنونه : يجبونه ه || عن : غير م ، ه ، سا (١٤ — ١٥) الناس من : سقطت من م ، ن (١٥) بالضد من : بالصدق سا || من هؤلاء : وهؤلاء ب || عليه : عليهم ب || تعقبه : يعقبه م

عقوبة ، إذا أمن الخسران فى المال . والمرددون فى العقوبات ، المتادون للآلام يستخفونها ، فيرون عليهم احتمالها ، ولا يقبضهم ذلك عن ارتكاب العدوان . ولهذا مايشجع من كثرت مزاولته للحروب . وقد يحمل على ذلك ضعف الرأى ، وهو الرضى باستعجال المنفعة واللذة ، وإن اقترن باستعجال المضرة والأذى العظيمين . وههنا قوم بالضد منهم لايردعهم عاجل الخسران عن مزاولة جور يعقبهم آجل الالتذاذ . وهؤلاء أجل رأياً . وربما حمل على الجور تقدير الجائر أنه يعتذر بأن ذلك قد وقع منه اتفاقا ، أو أنه كان عليه محمولا مستكرها ، أو كان سهوا وخطأ ، أو صدر عن طبيعة مستولية عليه وعادة متقررة فيه ، أو يكون من ظاهر حاله الاستغناء عن ذلك الجور ، فيقول عند التظلم منه : وما الذى ألجأنى إلى هذا الجور ولا امتساس حاجة إياى به ، ولا لى سبيل مستقيم إلى غرض دون تعاطيه ؟ على أن الاستغناء لا يلحق الحاجة إلى الازدياد . فالحاجة على وجهين : حاجة ضرورة وهى للفقراء ، وحاجة شره وهى للأغنياء ، وإذا أنجح صاحبها لم يحمد ، بل ذم لشرهه . والخب منهم ينسب ذلك الإنجاح إلى الجد والاتفاق ، دون القصد ، ولايظهر بسببه كل الجذل . والغبي بضده . ومن الأمور التى تكون فى الإنسان فيطمع الأشرار فيه أن يكون

---

(١) المرددون : المردودون هـ || المتادون : المتعادون د (٢) للآلام الالام سا يستخفونها : يستحقونها ب ، م ، سا || فيرون : فيون م || عليهم : عليه ب ، سا (٣) مزاولته : من اولته د || للروب : للرتب ب سا || يحمل : يحتمل ب ، م || على : سقطت من ب (٤) ضعف : ضعيف ب || الرضى : الرضا هـ ، دا || باستعجال : باستعمال بخ || باستعجال : باستعجال د (٦) يعقبهم : ويعقبهم ب || أجل : جل د (٧) تقدير : تقديره || بأن : فان هـ || قد : سقطت من سا || أو أنه كان : وأنه كان ب ، سا : أو كان د (٨) أو : إذ سا || كان : + به م ، ن ، دا : سقطت من د || وخطأ : أو خطأ ن ، هـ || أو : وسا (١٠) امتساس : امساس د || حاجة : سقطت من د || اياى : اياى م || ولا لى : إلى م ، هـ (١١) يلحق : يحق م ، هـ (١٢) فالحاجة : والحاجة ب (١٣) للأغنياء : للاعتبار سا || وإذا : اذا سا || صاحبها : صاحبهما هـ || الخب : الحب م . (١٤) الانجاح : سقطت من د || الجذل : الحذر د (١٥) الغبي : الغى د ، ن : الغنى م ، هـ : الغبى ب : الغى سا ، إنى أفضل هذه القراءة على الرغم من أن " الغنى " لها سند قوى فى المخطوطات لأن " الغبي " ضد الخب || بضده : بضد م

المجور عليه عييا عن الجور، أو مخذولا ، لا ناصر له ، أو يكون عنده ما يحتاج إليه المضطر < أو >[1] المتنعم ، أو يكون فى طباعه من قوم منظرين مسامحين لا يستعجلون فى اقتضاء الحقوق، أو يكون من القرابة . والأقرباء أيضا ، فان الأولين يجار عليهم استضعافا ، وهؤلاء يجار عليهم استسماحا . ولأن الأقرباء لا يسيئون الظن بأقربائهم ، فتخفى عليهم مظنة الجور ، فيدرس الأمر ويخفى . وكذلك حال أهل التقوى والصيانة والترفع عن المشاجرة . وكذلك الذين حسنوا الطرائق وصححوا الأمانات يُقصدون بالجور أحيانا ، لما قيل: ومن لا يظلم الناس يظلم . والداعى إلى ذلك أمن جانبهم . وكذلك المتدعون الكسالى ، فإنهم لا يلحون على الحكام بفصل القضاء . وكذلك الحييون والذين يعدون الشغب أشد إخسارا من فوت المال . وكذلك المدعون المتظلمون كثيراً المعتادون للظلم ، فإنهم يظلمون استحقارا وثقة بأنهم ملوا التألم والتظلم . وكذلك الذين أخفقوا كثيرا فى الشكايات فمجتهم مجالس الحكام . والذين شارفوا الانتصاف مرارا فلم ينتصفوا . والذين قد حالت الجنايات بينهم و بين الظهور للحكام والأئمة ، فهم مرتقبون حلول النكير بهم، لما سلف عنهم . والواترون قوما بأنفسهم أو ذويهم معرضون للجور من القوم . والمستخفون . ومن أنهى منه ترة ، أو أنهى منه استخفاف ، وهو صديق . فإن كان المنهى يسيرا ، خف ولم يلتفت إليه . وإن

(١) عييا : غنيا د ، م ، سا : غباب : غيا ه || ما : بما ه (٢) المضطر : البطر د
(٥) فيدرس: فيندرس د || ويخفى : فيخفى د (٦) الطرائق : الطريق ن ، د ا
(٩) الحييون : الحيون سا || اخسارا : خسارا د : اختيارا م ، ن (١٠) المتظلمون : المظلمون م ، ن || كثيرا : كثير ه (١٠ — ١١) المعتادون ... كثيرا : سقطت من م
(١٢) الحكام : الحكماء ب ، ن || الانتصاف : للانتصاف م (١٣) الجنايات : الشكايات د || الظهور : اظهور د || فهم : بهم د (١٤) النكير : التكر د || قوما : سقطت من ب || ذويهم : دونهم د ، ن ، سا (١٥) للجور : الجور ب || المستخفون : المستحقون ب ، م || منه : منهم ب ، م || ترة : امره م (١٦) استخفاف : استحقاق ب ، م

(١) ارسطو ١، ١٢ — ١٧ (١٣٧٢ ب ٢٥)

كان عظيما، التفت إليه ، وأصغى نحوه إصغاء ملذا ، لما يؤدى من حيث يوقف عليه؛ وإن كان أليما من حيث هو جفاء. وأما العدو فربما خف عظيم ما يبلغ عنه خفةَ ما يتوقع ، وربما ثقَلَ ما يستفظع . ومن ليس بصديق ولا عدو ، فأجدر بأن يكثر التهاون بمقاله ، إذا لم يتعده إلى المكروه من فعاله . ومن الناس من يجار عليهم لا لمنفعة ، بل للذة فقط ، مثل الغرباء ، ومثل أصحاب الغفلة ؛ فإن إيذاءهم والتعرض لهم أيسر على الأشرار منه لغيرهم. والسبب فى ذلك خروج أمثال هؤلاء إلى القلق سريعا لأيسر موحش . فقد علم أن إحراج من يسرع إليه الحرج لذيذ. ولهذا ما يولع الصبيان بالمجانين ، فإذا رأوهم يحتملون، وادعوهم ؛ وإذا رأوهم يزدادون نزقا ، زادوهم إحراجا . والمعتدون المسيئون يلتذ بالتعدى عليهم ، وتؤمن عاقبة الإنكار فيه ، كأنهم لما يفتنون أو يعذبون به مستحقون، ويتحرى بذلك قربة إلى الناس . وكذلك من ساعدهم ، أو فرح بسوء صنيعهم ، وجميع شيعتهم ، والمتعجبون منهم . والحكماء المحتملون البالغون فى الإغضاء يلتذ الجور عليهم ، تعجبا من حلمهم ، أو أمنا لغائلتهم . والمعاشر يظلم ، ثقة باحتماله أيضا . والذى وقف على شكايته ، قد ينشط لابتداء الجور عليه ، إذا كانت الشكاية هى المتقاة والصادة عن الجور . فلما وقعت ، فقد كان ما كان يتقى . والذين يفطن لجورٍ هُمْ يهمون به ، فإن مقابلتهم

(٢) جفاء : حقا ب (٣) خفة : حقه سا || ثقل : يقل ه || يستفظع : يستقطع م ، سا : يسقطع د || بصديق : تصديق ب ، د (٤) فاجدر : فاحذر ه ، سا || بمقاله : بمقابلة د : لمقابله ن || يتعده : يتعد م : يتعهده د : يعده ه : يبعده د ا || من : ومن ن ، ه (٥) لمنفعة : للنفعة ب || للذة : اللذة م (٦) التعرض : المتعرض ه (٧) سريعا : سقطت من س || لأيسر : لايسير م : لأ دبر ب : ولا يسر س (٨ — ٩) يحتملون ... رأوهم : سقطت من س (٩) نزقا : نزوا سا || المسيئون : لسنون س || يلتذ : يلتذه س (١٠) فيه : فيهم م || يفتنون : يعينون ه : نعسون سا || مستحقون : يستحقون ه (١٣) الجور : بالجور ب ، م ، ن || يظلم : بظلم س (١٤) ينشط : يبسط م || الجور : الجواد م (١٥) المتقاة : المتقاقة م (١٦) يتقى : يبقى م ، ه || بجور : الجور د || هم : سقطت من د ، س ، ه ، سا (١٦) مقابلتهم : مقاتلتهم م

بمثله مما لا يعد جورا ، مثل قتل من هَمَّ بالقتل . والذين هم بشرف من جور ، فقد يهون الجور عليهم من ذلك النوع ، أو من نوع آخر ، مثل مَن ماله عرضة لنهب جائر ، فإن غير ذلك الجائر ربما أقدم على مشاركته فى النهب إقداما ، لولا ابتداؤه به لما استحله . وذلك لأنه لما أيقن بفوات ماله ، لم ير مصيره إلى الجائر أولى من مصيره إليه . وكذلك من أشرف على الغرق ، فابتدر إلى سلب ثيابه عنه . وكما ذكر أن قوما شاهدوا شرذمة استخذأت لطائفة تأسرهم وتسبيهم ، فلما رأوهم قد بذلوا الرضا بذلك ، ولم أن يمتنعوا ، عمدوا إليهم ، فسبوهم وحجزوا بينهم وبين الطائفة المبتدئة . وقد يسهل الجور فى أشياء تخنى ، ويتوقع فيها الصفح ، لحقارة المجور فيه ، أو لسرعة استحالته وتغيره كالأطعمة ، أو لسهولة تغيره عن حاله ، إما بالشكل أو اللون كالثياب ، أو بالخلط كالأدوية ، أو لأن الجائر يملك ما يشبهها ويضاهيها . فإذا وجدت معه ، لم تميز عن الموجود قديما عنده ، وأوهم ذلك استغناءه عنه . أو يكون فى رفعه إلى الحكام ، والبوح بالتظلم فيه فضيحة ، ويكون ستره أخلق بذى المروءة من كشفه ، كالجور فى الستر (١) .

---

(٢) او : وب ، م (٣) غير : سقطت من س (٤) ابتداؤه : ابتدا ما ب || بفوات : بفواته م ، ه || مصيره : تصيره د (٥) مصيره : تصيره د || فابتدر : ابتدو سا (٦) ثيابه : بيانه د ، م || استخذأت : استخذلت ب || تأسرهم : بأسرهم م (٧) الرضا : الرضى د || اليهم : اليه س ، ه || فسبوهم : فسبوهم د (٩) استحالته : استحاله د || أو : و سا || لسهولة : السهوله سا (١٠) كالثياب : كالنبات س ، م ، ه ، سا || بالخلط : الخلط د (١١) ما : وما ه || فإذا : فإن ب (١٢) ذلك : تلك م || استغناءه : استغناوه فى جميع المخطوطات || عنه : سقطت من ب (١٤) الستر : الستره سا

---

(١) يمكن ان تقرأ : السِّتْر ، ويمكن ان تكون : السُّتُر . وفى الحكمة العروضية ، ص ٧٢ : كالفضيحة فى النساء . قارن ارسطو ، ١ — ١١ — ٣٥ (١٣٧٣ أ ٢٨ — ٣٣)

فصل [الفصل الثامن]

فى التنصل والاعتذار وجواب الشاكى بتعظيم الجناية والمعتذر بتصغيرها

إن الظلم قد يكون بحسب مخالفة السنة المكتوبة ، وقد يكون بحسب مخالفة السنة الغير المكتوبة . وكل ذلك : إما فى الملك ، وإما فى الكرامة ، وإما فى السلامة . وكل ظلم : إما بحسب واحد، كمن يضرب واحداً أو يأخذ ماله ؛ أو بحسب المدينة ، كمن يفر من الزحف ، ولا يشارك فى البيعة . والظلامة حال المظلوم من حيث ظلم . وذلك كما علمت بالمشيئة ، وطوعا ، وعلى أقسامه . وليس كل مضرة ظلما ، ولا كل منفعة عدلا . وبإزاء المتظلم المتنصل . والمتنصل: إما أن ينكر أصلا لما رفع عليه فى قصة الدعوى؛ وإما أن يقر به ، وينكر وقوعه على الجهة التى يكون بها ظلما ، كما يقول: إنه أخذ ولم يسرق ، وإنه عاشر ولم يفجر ، وإنه كان أخذ الزينة غافلا عن كونها وقفاً على المصلى ، وإنه فعل ما شكى فضحه المفعول به ، لكنه فعله سراً غير جهار ، وعلى جهة لم يفضح به ، وإنه واطأ العدو احتيالا عليه لا له . فإن

---

(١) فصل : نصل ٨ هـ : فصل ح ب : الفصل الثامن س ، م (٢) الشاكى : السكاكى س
(٥) الغير : غير م || الملك وإما فى : سقطت من م (٦) اما بحسب : ما بحسب م
(٨) ظلم : ينلم ب ، م ، ن (١٠) والمتنصل : التنصل سا || المتظلم : المتكلم س || ان : بأن س
|| رفع : وقع سا (١١) يقر به ، ويقربه ، وينكر : يعرف ينكر د || الجهة : الجملة م || كما : كن س || يقول : يقال ب || إنه : + اذا سا (١٢) وانه عاشر : وبانه عاشر د ، م ، هـ ، سا || وانه كان : وانه اذا كان م (١٣) فضحه : فضيحة بقية المخطوطات (١٤) يفصح : يفضح س ، هـ || به : بها د
|| واطأ : واطن ، هـ : نخ : راطن س ، سا : واطن ب ، م ، هامش هـ

أصناف الظلم من السرقة والفضيحة والاستهانة والزنا إنمـا تصير ظلما، لا لنفس الفعل، بل لوقوعه على جهة، و بالمشيئة. فيكون الاعتذار: إما بإنكار نفس الفعل، أو بإنكار وقوعه على جهة يكون بها ظلمـا، أو لوقوعه كذلك غلطا وسهوا، لا بالمشيئة. وهذه الجهات تحدد بالشرائع المكتوبة والمشتركة. أما المكتوبة فيرجع إليها فى كميتها. وأما غير المكتوبة فإن العدل والجور يتفاضل فيها على حسب تفاضل الخير والشر، إما من جنس ما يستحق به المدح أو الذم، و إما من جنس ما يستحق به الكرامة والهوان.

ومثال الأول أن من قال. ينبغى أن نحسن إلى المحسن، ثم فعل ذلك، استحق المدح بفعله؛ ومن قال: ينبغى أن نحسن إلى الإخوان كافة، ثم فعل ذلك، استحق الكرامة منهم أيضا لفعله.

وكثير من العدل لا يكون بحسب المكتوبة مفصلا. فإن الحلم يعـد فى السنة المكتوبة عدلا من غير تفصيل ملخص، ثم يفصل بالسنة الغير المكتوبة المشتركة. فإن الحلم فى بعض المواضع رذيلة وجور بحسب السنة المشتركة، كما قيل: إن بعض الحلم عجز. و إنما يقع هذا الإبهام فى السنن المكتوبة حيث لا يفصل العدل والجور على واجبه، و يحتاج أن يردف حكم السنة المكتوبة فيه بحكم السنة الغير المكتوبة لشيئين: أحدهما أن يكون المتعرض للشرع غير مؤيد من السماء، و إنما هو متكلف

---

(١) انما : وانما م، د ا (٣) أو : سقطت من ه (٤) الجهات : الجهاد س || اما : فاما د، ه : واما ب، س، م، سا (٦) فيها : فيهما د || أو : و م، ه (٨) ان من : من د : من ان م || الى المحسن : للحسن ه (١١) كثير : كثيرا ب، م || المكتوبة : + فصلا فان الحلم م || الحلم : الحكم سا || فى : من ب، م (١٢) عدلا : جدلا سا || ملخص : مخلص سا (١٣) الحلم : الحكم سا (١٤) الحلم : الحكم سا || هذا الإبهام : هذه الايهام م، ه (١٤–١٥) حيث... السنة المكتوبة : سقطت من س (١٥) واجبه : واجبة م || و يحتاج : يحتاج ه || يردف : يرادف ه || حكم : سقطت من سا (١٦) لشيئين : بشيئين ه : لسببين م || متكلف : يتكلف ه : متغلب ب، د

خارجى فيجهل و يتهم ؛ و إما لأن الأمر فى نفسه غير ممكن إنهاؤه إلى آخره تفصيلا ، لأن المخصصات الجزئية لا نهاية لهـا . فيكون الشارع إنما يشرع أحكاما كلية ، يحتاج أن يستعان فى تفصيلها بحسب الواقعات الجزئية بالمحمودات والسنن الغير المكتوبة ، وهى التى تسمى عنـد الجمهور عقلا . ومثال هـذا أن الشارع إذا قال : من قَتل بالحديد ، فيلزم أن يُقتل بالحديد ، فليس يمكنه بعد ذلك أن يفصل جميع وجوه القتل بالحديد ، من جهة القتل ، أو من جهة الحديد ، أو من جهة المضرب ، أو من جهة عوارض جزئية أخرى ، ربما تعرف لها أحكام وتكون غير محدودة ولا مضبوطة ، ودون إنهائها فناء العـالم . فبيّنٌ أن كثيراً من الظلم والعدل ، إذا كان ظلما وعدلا بحسب الشريعة المكتوبة ، فربمـا يجد المعتذر فيه مخلصا بالتجائه إلى السنة الغير المكتوبة على سبيل التفصيل . وربمـا كانت السنة الغير المكتوبة تخالف المكتوبة أصلا ، كما كان فى بعض السنن المكتوبة القديمة أن لابس الخاتم ، إذا شال يده غير منكوسة ، استحق التأديب ونسب إلى الظلم ، والسنة الغير المكتوبة تبيح له ذلك .

وقد تختلف السنة المكتوبة وغير المكتوبة بالعكس من ذلك : وهو أن تكون المكتوبة قد تحدد وتحصر فى أقل ، وغير المكتوبة توجب على العموم . فإن السنة الغير المكتوبة توجب الإحسان إلى الإخوان كافة ؛ وربما منعت المكتوبة

(١) فيجهل و يتهم : يتهم و يجهل د : + وتهم سا || تفصيلا : تفصيلها د (٤) مثال : مال م (٥) بعد أن ذلك يفصل : أن يفصل بعد ذلك د (٦) أو (من جهة الحديد) : و س ، ه ، سا (٧) أو : و س ، سا || ربما : وربمـا ه : انمـا س || تعرف : تغيرت د ، س ، ه ، سا (٨) محدودة : محمودة ن ، د ا || إنهائها : انها س || العالم : سقطت من د (٩) ظلما وعدلا : عدلا وظلما ب ، م (١٠) بالتجائه : بالنجاة ه : بالنحاه س || وربمـا : فيهما د (١١) تخالف المكتوبة : سقطت من سا (١٢) منكوسة : مكتوبة د (١٣) تبيح : منتج ه ، سا : نسح د ، س : تسح ب (١٤) تكون : + السنة م ، د ا (١٥) المكتوبة : + به سا || قد : سقطت من د ، س : كتب فوقها خ فى ه (١٦) كافة : كانه د

الإحسان إلى بعض الإخوان . وكما أن السنة المكتوبة ترى كل حلم عدلا ، والمشتركة تفصل ذلك، وقد توجب خلاف ذلك . فإن السنة المشتركة وبما رأت الحلم فى بعض المواضع واجبا ، ورأت العقوبة قبيحة ، وكانت السنة المكتوبة لاترى ذلك بل تخصص ذلك الموضع . مثاله : أن السنة المشتركة توجب أن يكون المقدم على سرقة الطفيف يحلم عنه ولا يعاقب ؛ والسنة المكتوبة توجب قطع اليد فى سرقة دينار عند قوم، وربع دينار عند آخرين . وهذا مما تشمئز عنه المشتركة .

ومن ترك حقه من الإضرار بالآخر على مبنى السنة الغير المكتوبة ، إذا كانت المكتوبة لا ترخص له فى ذلك الإضرار ، لا يسمى حليما ولا محتملا . وإن كان الأمر بالعكس ، سمى حليما ومحتملا . ومن تعاطى الإفضال على الآخر على موجب فتوى السنة المكتوبة ، فإن كان لا توجبه السنة المشتركة ، لم يسم متفضلا . فإن تبع فتوى السنة المشتركة فى ذلك، وإن كان لا توجبه عليه السنة المكتوبة ، أو توجب عليه دونه ، يسمى متفضلا .

وبإزاء المتظلم اثنان : معتذر ومستغفر . وقد قلنا فى المعتذر، فبالحرى أن نقول فى المستغفر . والمستغفر هو ملتمس الحلم أو التفضل . أما الحلم ، فبأن لا يعاقب على جوره ؛ وأما التفضل ، فبأن يترك عليه ما جار فيه ، ولا يرتجع منه . فإنّ تَرْك ذلك عليه نوع من مغفرته . فليسم باسم آخر . والأنواع النافعة فى الاستغفار

---

(١) حلم ب د ، ن ، ه : حكم س، م، سا (٢) والمشتركة : فالمشتركة د || خلاف : سقطت من د (٣) الحلم : الحكم سا (٤) بل : بان م || تخصص : تخصيص د (٥) اليد : اليدين س، ه (٦) تشمئز : تشمأز ب، د، م، ن : يشتمئز ه || عنه : + عند ه (٧) بالآخر : بالاحرار م (١٠) فان كان : وان كان ب ، س ، سا : فكان ن : كان م || السنة : سقطت من م (١١) فتوى : سقطت من سا (١١ — ١٢) فان تبع فتوى... متفضلا : سقطت من ن (١١) كان : + الشاكى المعاقب د || توجبه : + الشاكى المعاقب م ، ه ، سا : + للشاكى المعاقب ب (١٣) اثنان : اينان د، م، دا || مستغفر : يستغفر م || نقول : يقول م ، ه : يقال ب ، د، سا (١٤) فى المستغفر : فالمسغفر س || ملتمس : الذى يلتمس س || الحلم الحكم سا || أو : و د || الحلم : الحكم سا || فبأن : فأن ب (١٦) فليسم : أو فليسم س، ه : فليسمى د : او قلتم سا

أن يقال : إن الحلم هو الصفح ؛ والأولى بالعاقل أن لا ينظر إلى قول الشارع فى شرعه ، بل إلى سيرته من حلمه وصفحه ؛ وأن لا يتعلق بالظاهر من لفظه ، بل بالمقصود من مراده ؛ وأن لا يؤاخذ بعمل العامل ، بل يلحظ نيته ؛ وأن لا يتلفت إلى نادر خطيئته ، بل إلى متواتر طاعته . وأن يقول المعتذر المستغفر: لا تلحظنى بعين الحال ، بل بعين السالف والآنف . فقد أحمدتنى فيما مضى ، وستحمدنى فيما يستقبل . واذكر الجميل ، ينسك القبيح . وتأن ولا تتوثب بالمكافأة ، فعسى أن يكون ما كرهته يعقبك خيرا . وليكن للشكور من الجميل عنك موقع عندك ليس دون موقع المشكو من القبيح يفعله . وليكن حضور الولائم آثر عندك من حضور المخاصم . فإن الخيِّر الكريم موادع ، والخبيث اللئيم نزق منازع . واعلم أن الصخِب الأهوج ربما نزعت نفسه إلى أن يتحالم . فلتكن أنت أولى به . فبهذه الأشياء يعتذر المعتذر ، ويستغفر المستغفر .

وحينئذ للشاكى أمور يعظم بها الظنية ؛ وبإزائه للمعتذر أمور أضدادها يهون به الفعلة . فمن الظلم العظيم ما يقدم عليه الإنسان العظيم الذى لا فاقة به إلى الجور . فيكون اليسير من فعله مستعظما ، فإنه يدل على العظيم من شره . وربما كان اليسير

(١) يقال : + للشاكى المعاقب س، ن، ه (٢) من : فى د || حلمه : حكمه د (٣) بل (بالمقصود) : سقطت من د (٤) نادر : بادر ه || متواتر : تواتر ه (٥) بعين : بغير ه || بعين : بغير ه || فقد أحمدتنى : وقد حمدتنى د (٦) وستحمدنى : فاستحمدنى ه || ينسك : ينسيك س، م ، سا : ينسينك ه || وتأن : وبان م || ولا تتوثب : لا يتوب م : لا تتوثب د ، ن (٨) دون موقع : دون توقع م ، ن || المشكو : المشكور م ، ن ، دا || من القبيح يفعله : مما يفعله من القبيح س، ه || وليكن : ولكن س، ه (١٠) الصخب : الصخيب س ، ه || الأهوج : + حضور المخاصم فان الخير الكريم موادع والخبيث الاثيم م || نزعت : رعب ب : يرغب سا : غب د || يتحالم : يتحاكم ب، س، دا (١٢) الظنية : الطيبة س، ه : الظنة بخ || بإزائه : بإزائها د || أضدادها : يضادها س، ه || به : بها م، ن، ه (١٣) يقدم : يقدر س (١٤) اليسير : اليسر م || فعله : جوره س، د، ه || يدل : عدل ه || اليسير : اليسر م

من الجور مستعظماً، لا من جهة الجائر ، بل من جهة المجور عليه ، إذا كان فقد ذلك اليسير عظيم الضرر عليه ، كمن لا يملك إلا قوتا ويغصب ما يملكه . والخيانة الخسيسة مستعظمة، كمن يسرق من وقف المسجد درهما . فإن هذا ، وإن كان من طريق الحقيقة واعتبار العدل ظلما قليل الضرر لا يوجب الحكام فيه عقوبة بالغة، فهو من جهة استنكاره عظيم القبح ، وإن كان من الظلم الذى لا يفتقر إلى مصالحة، ولا إلى مشاجرة ومرافعة إلى الحكام، أو احتمال عن المظلوم بسبب أنه صديق وقريب، فإنه دون أن يقع فيه حلم وصفح ، كما لا يقع به تفضل ، فإنه ليس مما يتعين به صلاح . والحاكم ، إنما يرفع إليه فيما يحتاج أن يرده الحاكم إلى الصلاح، أو فيما يحتاج أن يقيم فيه حداً . ومن الظلم العظيم أن يجمع إلى غضب النقمة الإنهاك فى العقوبة . ومن الظلم العظيم ما يقع على المحسن، مثل عمل الناسك بابن عرس . ومن المعظمات أن يقال : إنه أول من فعل ، وإنه المنفرد وحده بما فعل ، وإنه كثيرا ما فعل ، وإنه جار على من توخى بصنعه التقرب إليه والمصلحة له . ثم من الظلم العظيم أن يستعان فيه الجسراء على الانهماك الذين لا رقة بهم ولا رأفة، كأنهم سباع ضارية ، حتى يستعان بهم فى العقوبة . وقطع القرابة وإغفال حقها

---

(٢) اليسير : اليسر م || كمن : فمن م || قوتا : قويا د، م || يغصب : يغضب م، ه، سا || الخيانة : الجناية ه، سا : بالخيانه م (٤) ظلما : ظلم ب، د، م، ن : ظالم ه || عقوبة : + بل ن : + بل عقوبة م (٥) فهو : فهى ن، ه، د ا : وهى م || استنكاره : استكثاره د || يفتقر : يغفره (٥—٦) ولا إلى : أو س، سا : أو إلى ه (٦) او : وسا || وقريب : أو قريب د (٧) حلم : حكم م، ن || تفضل : تفضيل د || يتعين : يتغير س، ه، سا (٨) إنما : مما ه (٩) فيه : منه د : به س || غضب : عصب سا || النقمة ، النعمة ب، د، س، ه، سا || الانهاك : الانهماك م، ن (١٠) فى العقوبة : بالعقوبة د، س، سا (١١) أن يقال : انه تق د || أول : أولى م (١٢) وإنه كثيرا : وان كثيرا ب || بصنعه : بصنيعه د || فصنيعة م || التقرب : التقريب د || له : سقطت من م (١٣) يستعان : يستعمل س، ه، سا || الجسراء : بالجسراء د || الانهماك : الانهاك س. || بهم : لهم د

وإخافتهم ظلم عظيم . وكذلك خفر العهد ، والحنث فى اليمين ، والخيانة فى الأمانة ، والتعرض للمحصنات . فإن هؤلاء لا يقتصر بهم على العقوبة ، بل يعمل على فضحهم وإخزائهم ، كما يفعل بشهود الزور من فضحهم فى مجلس القضاء . والظلم فى السنة الغير المكتوبة أعظم ، لأن هذه السنة أوجب . وكذلك تعدى المكتوبة أيضا ظلم عظيم عند مستحليها .

وأما الظلم اليسير فهو ما قابل ذلك .

فليكن ما قلناه كافيا فى التصديقات الواقعة بصناعة .

فصل [الفصل التاسع]

[فى التصديقات التى ليست عن صناعة]

وأما التصديقات التى ليست عن صناعة — وأكثر نفعها فى المشاجرات — فهى تنحصر فى أقسام خمسة : السنن ، والشهود ، والعقد ، والعذاب ، والأيمان . فأما السنن المكتوبة فربما افتقر الخطيب إلى مناقضة موجبها ، فيجد إلى إيهان مقتضى بعضها سبيلا بإظهار إعراض مثلها للنسخ والتبديل ، وأن غير المكتوبة

---

(١) اخافتهم : اخافهم د || ظلم : وظلم سا || فى اليمين : باليمين ب (٢) للمحصنات : للحسنات س (٣) على فضحهم : فضحهم م : على فضيحتهم د (٣) اخزائهم : احزانهم د (٤) أعظم : سقطت من م ، ن ، د ا (٥) مستحليها : مستحلها د : مستحيلها سا (٦) ما : مما سا (٧) بصناعة : + صناعة س (٨) فصل : فصل ٩ فى مثل ذلك هـ : فصل ط ب : الفصل التاسع فى مثل ذلك س : الفصل التاسع م (١١) فهى : وهى م || خمسة : الخمس م (١٢) فأما : وأما ب ، س : أما د (١٣) بعضها : نقضها م || إعراض : اعتراض من || مثلها : مثله س ، هـ

مأمون التغير ، ولأن أهل المروءة لا يناقشون بمر السنة المكتوبة ، بل يتحرفون إلى مقتضى السنة المشتركة ، وذلك بحسب ما يقول : لأن المكتوبة إنما احتيج إليها لعجز الجمهور عن تقدير الغير المكتوبة وتفصيلها . فإذا كان بالعاقل من المُنة أن يفصل المشتركة ، كان له بعقله كفاية ، وكان له أن يخصص المكتوبة بحكم العقل . ثم يقول : والحاكم الفاضل هو بمنزلة النار المخلصة بعض الجواهر عن بعض ، فيلزمه أن يتهدى لهذا التخليص ، وينظر فى واجب الأمر ، ولا يخلد إلى مر القضاء ، فإن ذلك من عمل الحشوية الغُتم الذين لا يفطنون للمصالح ، ولا يتصرفون فى رأى واجتهاد . وأما القاضى البصير فربما رأى أن يرجح حجة العقل ، وربما رأى أن يرجح مر الحكم . وإذا أشكلت عليه المصلحة ، اعتصم بالتوقف ، ولم يستعجل فى فصل القضية . فربما أعقبته العجلة ندامة . وإذا وقف الأمر ، كان له أن يستظهر بمعاودة النظر ، فيلوح له الصواب من إيثار الواجب من المكتوبة أو النافع من المشتركة . فهذا وأمثاله مما يقوله الخطيب ، حين تكون السنة المشتركة أشهد للخطيب .

---

(١) مأمون : مأمونة ب || التغير : التغيير م ، ن || ولأن : لان س ه || يناقشون : ينافسون م ، ن || بل : قبل د (٢) ما يقول : قوله ومخالفته للواجب حين يقول س ، ه : ما تقول د

(٣) تفصيلها : مضيلها سا : نفصلها م || فاذا : واذا م ، ن (٤) أن يخصص : تخصيص د

(٥) العقل : القول م || يقول ه : نقول م (٦) يتهدى : يهدى د

(٧) الحشوية : الحسبويه د || الغتم : والغم س : والغنم ه : الغنم د : الرم ن ، د ا

(٨) يتصرفون د : ينصرفون م ، ه (٩) وربما : فربما د || رأى : سقطت من م || اشكلت : شكلت س || المصلحة : المسئلة د (١٠) ولم يستعجل : سقطت من د

(١١) بمعاودة : بالمعاودة ب ، م ، ن ، د ا || النظر : للنظر م ، د ا (١٢) فهذا : وهذا م (١٣) حين : حتى س ، ن ، ه || أشهد : أشهر س ، ه

فإن لم توافقه المشتركة ، وكانت المكتوبة أوفق له ، قال غير ذلك ، فقال : إن الأمور التى فيها أحكام السنة المشتركة أمور مختلفة ومتبدلة لا استقرار لها ، ولا صدق للحكم الكلى فيها ، فلا بد من سنة مكتوبة مخصصة تحدد وتقدر ، ولا يحل للحاكم أن يحدث نفسه بعدول عنها . فإن كان الحاكم قد جهل المكتوبة ، فما أخلق به أن لا ينفذ حكمه ، بل يتوقف ريث الاستبانة . فإن الحكم الذى عنده بحسب السنة المشتركة هو مصلحة أو خير مطلق . وليس قضاؤه ، عند ما يترافع إليه المتشاجران ، قضاء فى أمر كلى ، حتى يكون فى خير مطلق ، بل فى خير ما . فعليه أن يتأنى ريث ما يستعلم مقتضى السنة المكتوبة المقدرة . فإنه إن جاز أن لا يستعمل السنة المكتوبة ، فقد جاز أن لا يسن ، وفى ذلك إبطال السنن ورفع الحاجة إلى الشريعة . وكما أن الانتفاع بالطبيب مما يفقد عند مواربته ومناكرته والعدول عن إشارته ، كذلك الانتفاع بالشارع مما يبطل أصلا إن جازت مخالفته . بل هذا أعظم . ولو جاز أن لا يلتفت إلى السنن المكتوبة ، لم تقع الحاجة إلى استقصاء الفقية الماهر المستبصر فى أحكام السنة المكتوبة . فإن السنن المشتركة لا يذهب عنها أولو الألباب ، وإن لم يكونوا فقهاء . فهذا ما قيل فى سبيل السنة .

---

(١) له : + فان م ، ن ، ه (٢) لا استقرار : لا استقراء د ، ه : لاستقرار م
(٣) مكتوبة مخصصة : مخصصة مكتوبة د || تحدد وتقدر : بجدد وتقدر ه : محدود سدرد : محدد وىقرر ب : يحدد و يقدر م (٤) يحدث : يجذب س ، ه (٥) به : له س ، ه
(٦) يترافع : + به م ، ن ، ه (ثم كتب عليها خ فى ه) (٧) المتشاجران : + ان د || قضاء : قضى ه (٨) فعليه : فعلته سا : فعلية ه : فعله م || يتأنى : يتأتى د || السنة : سنة ب || ان : إذا سا || جاز : + ان جاز د (٩) يسن : سىن د (١٠) رفع : دفع د || وكما ان : فكما ان ب : وكان م || بالطبيب : با الطب د || مواربته : موازنته ب ، د ، م ، ن ، سا (١١) مناكرته : مما كرته س ، ه ، سا || كذلك : فكذلك م ، ن ، ه ، دا || مما : ما ب || يبطل : تبطل ه
(١٤) وان : ان ب ، م || لم : لا س (١٥) سبيل : سقطت من س

وأما الشهادات ، فمنها شهادات قدماء عدول على أمور قديمة ، يلتفت إلى شهاداتهم بوجود الأمر وغير وجوده ، و إلى شهادتهم بكونه على صفة من صواب أو خطأ أو ظلم أو جور وغير ذلك . وربما كانت شهادتهم كهانات و إنذارات بأمور مستقبلة بحسب زمانهم . ومنها شهادات شهود حدث ، وهم المشاركون فى الزمان ، وهم الذين يحتاج إلى تعديلهم والتفتيش عنهم والرجوع فى ذلك إلى جيرانهم الخبراء بأمورهم . ويفارقون الأولين أيضا من جهة أنهم قد يتهمون بمشاركتهم المشهود له فى فائدة الشهادة من جذب خير أو دفع شر ، ومن جهة أنهم لا مرجع إليهم إلا فى إثبات وجود الأمر وعدمه . وأما حكمها بعد ذلك فيكون إلى الحكام . ومن الشهود ماليس من جملة الناس ، وهى الدلائل والأمارات التى تجر اجتهاد الحاكم إلى أحد جنبتى الشكاية والاعتذار بحسب المشاكلات وكيف لا يستنام إلى هذه الأمارات عند عدم الشهود . وربما احتيج إليها عند وجود الشهود فى قبول الشهادة أو تزييفها . وكل شهادة ، إما على الخصم بأنه ظالم كاذب فيما يقوله ، وإما على الأمر بأنه كان أو لم يكن ، وهو الأصل الذى لا محيص عنه . فأما الشهادة على النحو والكيفية : بأن يشهد مثلا للمشهود له بأنه حسن السيرة حليم محصل ، ولخصمه بأنه داه محتال خب .

---

(١) الشهادات : الشهادة د || عدول : وعدول س ، ه (٢) شهادتهم : شهاداتهم ب ، م ، ن || والى : الى ب || شهادتهم : شهاداتهم ب ، م ، ن ، سا || صفة : صفته د (٣) أو ظلم أو جور : أو جور أو ظلم ب ، م ، ن ، د ا || وغير ذلك : أو غير دلك د ، سا : وعن غير ذلك ب ، م ، ن ، د ا || شهادتهم : شهاداتهم س ، ه ، سا || كهانات : كفايات د (٤) وهم : سقطت من ب (٥) يحتاج : محتاج د : يحتاجون ب (٧) بمشاركتهم : لمشاركتهم س ، ه || الشهادة : والشهاده س (٨) واما : فاما د || حكمها : حكمهما س ، ه (٩) وهى : فهى م (١٠) الحاكم : الحكم د (١١) الامارات : سقطت من م : + الا م ، ن ، د ا (١٢) وكل : فكل م (١٣) يقوله : يدعيه د || الأمر : الأمور س ، ه (١٤) محيص : يحيص د || فاما : واما سا || على : سقطت من سا (١٥) السيرة : السريرة م ، ن ، ه ، د ا || داه : داهية ب ، د

وكل ما هو خارج عن الأمر نفسه ، فإما أن يؤكد به نفس ما يقوله المتكلم بأنه حق ، وإما أن يؤكد به ما هو مخالف لدعوى خصمه . وهما وإن تقاربا ، فبينهما خلاف : فإنه ليس تصحيح ما يقوله إنسان ، هو بعينه تصحيح بطلان ما يقوله خصمه . مثلا : ليس القياس الذى يثبت به ، مثلا ، حدث العالم ، هو بعينه القياس الذى يدفع به قدمه ، وإن كان نتيجة لازمة لنتيجة ذلك . فإن القياس الذى نحو الموجب منهما غير القياس الذى نحو السالب منهما ، وهما متغايران . وكذلك فرق بين أن يشهد أنه أعطاه وبين أن يشهد أنه أخذ منه ، وإن كانا معاً . فالشهود إنما تقام على أحد هذه الوجوه .

وأما إبطال الشهادة ، فهو بأن يقال : إن الشاهد هو صديق للمشهود له ، أو عدو للمشهود عليه . وذلك لأن الشهود ثلثة : صديق ، وعدو ، وغريب من المدعى والمنكر ، لا ميل له إلى أحدهما ، الذى بالحرى أن تقبل شهادة مثله .

وأما العهود ، فإنها إذا وافقت دعوى المشاجر ، أعطته مجالا فى تزيين أمر نفسه وتعظيمه ، إذ قد حافظ على الميثاق ، وفى تحقير أمر صاحبه ، إذا خفر به ونكثه . وبالجملة : فإن غناء العهد لعارضه على الحكام والحاضرين إنما هو فى الإقناع ، وإيقاع التصديق بوجوب العمل على مقتضى دعواه ، وثبوت ظلم من خالفه وتعداه . وإما فى التزيين والتفخيم . والعهد كالشاهد فى وجوب ما يوجبه على المكتوب له وعليه . وكالشاهد فى التعديل والتجوير والتعظيم والتحقير

(١) وكل : أو كل د (١—٣) المتكلم بانه حق ... ما يقوله : كررت فى د (٣) تصحيح : بصحيح سا (٤) به : سقطت من د (٦) (السالب) منهما : منها سا (٨) كانا د : كان بقية المخطوطات || فالشهود : فالمشهود د || أحد : سقطت من س (٩) فهو : هو ب ، س ، ه || بأن : فبان ه (١٠) غريب : قريب بخ (١١) بالحرى : بالجزئى د (١٣) الميثاق : المشاق م || إذا : إذ ب ، د ، س ، ه ، سا || خفر به : حقرته م : حقر به س ، ه ، سا (١٤) نكثه : بكته س ، ه : نكته سا || غناء : عى س || لعارضه : لعارضة م : معرضه د (١٥) ايقاع : اتباع ه (١٦) تعداه : تعد له م (١٧) له : سقطت من م || وكالشاهد : كالشاهد م || التجوير : التجويز س ، سا : التحويز م التحوير ه : التحور د .

ونفى الحجة . العهد ، إذا وافق الدعوى ، فينبغى أن لايحاد عنه ، بل يجب أن تقام به الحجة ، وتعظم به الظنية . فإن العهد شريعة شرعها اثنان أو عدة فيما بينهم . والشريعة إنما ترعى وتحفظ بالعهد . والعهود ربما كانت خارجة عن حكم موجب الشريعة ، مستقلة بنفسها ، مثل معاهدة اثنين على أن لا يفترقا فى سفر ، ولا يتخاذلا عند وقوع منكر . وللمدعى أن يقول : إنك إن نبذت العهد وراء ظهرك ، فاخلق بأن تنابذ الشريعة وتنسلخ عن السنة . و إن الناس عند عهودهم . وكيف ، و إنما عقدوها على اختيارهم ! فإن كان العهد مرذولا والاستنامة إليه ساقطة ، فقد زالت المعاملات ، وسقطت المشاركات ، وما يجرى هذا المجرى من الشناعات .

فأما الذى يجد العهد مخالفا لمراده ، فيجب أن يقول : كل عهد ليس فى الكتاب فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وقد كفانا عقد الشرع عقد العهد الذى هو مخادعة ومراوغة . ومن استقصر الشريعة ، حتى احتاج إلى غيرها من المعاهدة والشريطة ، فقد برئت منه الذمة . ومن استقصرها ، فقد نسب الناس فى قبولهم الشريعة إلى اجتماع على الجهل والضلالة . ثم يقول للحاكم : إن الحاكم خليفة العقل والشرع ، وفى ذمته عهدة الاستكشاف ، و بالحرى أن يستبرئ أحوال

---

(١) نفى : بقى د : نعم س ، ه || العهد : والعهد د (٢) الظنية : الطيبة ه : الطينه سا : الطب د
(٣) بينهم : بينهما د || ربما : انما س (٤) مستقلة : مستقبلة م || مثل : بل س || ان لا : ان ه
(٥) يتخاذلا : يجادلا م || منكر : يتكرر م || العهد : العزود د || وراء : فيما ه
(٦) فاخلق بأن تنابذ : فسيفسد د || الشريعة : سقطت من س || تنسلخ : ستسلخ د || وان : فان م ، ن : وه || عهودهم : عهودكم م (٧) وانما : انما س || عقدوها : عقودها ه || على : عن د ، س ، ه ، سا (٨) المعاملات : المعاملة ب ، ن ، سا : المحاملة م
(١١) وكل بدعة : سقطت من م (١٤) اجتماع : اجتماع الناس ن ، د ا : اجماع الناس ه : اجماع س ، سا || للحاكم : الحاكم ب (١٥) يستبرئ : يسترى م

العهود المفروضة ، فإن صادفها بمعزل عن جهه السنة أوعز بفسخها ، وعمل بإبطالها . فلا عهد فى معصية الله . فمن القبيح أن يتمكن مدلس من حمل على جور بقهر ، ومن إيجاب طاعة لعقد غير عادل بقسر . و إن الشريعة لتتقبل عن رضى واتفاق من العلماء . وأما العهد والإقرار فربما خدع إليه ، وربما قسر السلطان عليه . و إذا وجد الخطيب نصا من السنة المكتوبة فى سنة تلك المدينة ، أو رجع إلى سنة مدينة أخرى أو أمة أخرى ، إن لم يجد النص فى سنة المدينة ، ووجد مشهورا من السنة المشتركة بخلاف العهد ، فقد اعتصم الخطيب فى إبطال مقتضاه بالعروة الوثق . وكذلك إذا وجد عهداً آخر سبقه ، وقد عهد بخلافه ، فيقول : إن الأول من العهدين هو الأولى بالانتهاء إليه والعمل عليه ؛ ولو حل نكثه ، فأحرى بأن يحل نكث مابعده . وكذلك إذا وجد عهداً تأخر عقده عنه والشيء بتاريخ بعده ، فإنه يستدل بتاريخه على نسخه الأول ، وعلى أن التراضى بالأول مقصور على مدة ، لم يتراض بعدها إلا على ضده ، وأن الأول ، لوكان مقبولا ، لما أجمع على نقضه بعهد ردفه . والدفع بالناسخ أعمل منه بالمنسوخ . ويجب أيضا أن ينظر ، فعسى أن يجد فى لفظ العهد وعبارة الصك لفظاً متشابها يحتمل غير المعنى المدعى ، فيكون التأويل يصرفه عن الجهة التى يخشى أن ينص عليها الحاكم .

(١) العهود : العمود د || المفروضة : + عليه ن، ه : المعروضة عليه د || اوعز بفسخها ه : أو عن بفسخها س : او عن نقسها ب، د، م، ن، سا : او عن تفسيخها د ا || وعمل : أو عمل ن ، دا (٢) بابطالها : فى ابطالها د || معصية : معرفة م || حمل : بجهل س (٣) بقسر : يقرم || لتتقبل : لسعلل س || رضى : رضا د، س، ه، سا (٤) والاقرار : سقطت من س || خدع : جدع د، س || خدع إليه وربما : سقطت من م ، د ا (٦) إن : اذا د (٧) من : فى د (٩) الأولى : سقطت من م (١٠) فأحرى : فاجبر س : فاحرسا || يحل : محل د || عهدا : عهد ب، ه، سا : سقطت من م || تأخر : باخر د، س : بآخر م || عقده : عقد م : عهده د، ن، د ا (١١) والشيء : ولشيء ب || الأول : سقطت من م (١٢) مقصور على : مقصور س || إلا على : إلا عن س (١٣) على نقضه : عن نقيضه س : على نقيضه ه || اعمل : لعمل د (١٤) لفظ : لفظه ه || الصك : الضد د، ن : الصد م

وأما التقريرات والفحص عن الأحوال بالإنذار والإعذار ، وبالترغيب والترهيب ، وبالعقاب والثواب فهى أيضا من جنس الشهادات . فإن كان التقرير موافقا للدعوى، احتفظ به حجة ورُبِّىَ واعتمد عليه، وقيل: لا أكثر من اعتراف على هذه الجهة ، وإقرار يصدر فى مثل هذه الحالة . وإن كان مخالفا للدعوى، فيقول ما هو الحق: وهو أن المضطر، كالغريق، لا يبالى بأى عُلقة يتشبث ؛ وربما رجى الخلاص بالكذب ، كما يرجى الخلاص بالصدق. وإنه إذا صدع المقور بالحق وصبر عليه فلم يصدقوه ، ولم يزالوا يعنتونه تكذيبا إياه وتعذيبا له ، ألجىء إلى الكذب، وعدل إليه عن الصدق الذى لم يجد به خلاصا. ويضرب لذلك أمثال مشهورة عند الحكام من كذب قوم آخرين عند تشديد عليهم . مما يقال حينئذ : إن من الناس من يستنكف أن تذله العقوبة وتضطره إلى البوح بما آثر كتمه ، وينسبه ذلك عند من يطلب وجهه إلى عجز فلا يصرح بالحق، وإن اختلف عليه ضروب العقوبات؛ ومنهم خوار يقوره أدنى ذاعر. فلا معول على التقرير بالتنكيل .

وأما القسم واليمين ، فمنه ما لأجل أن يُعطَى ما يحلف عليه من عرض أو جاه أو معونة أو غير ذلك ، فيأخذه وما يتعلق به . وإما أن يكون لا معطيا فيه

(٢) فهى : وهى م || من : + جهة س ، ه (٣) التقرير : التقدير م ، ه (٥) علقة : شىء م (٦) يتشبث : سقطت من د || الخلاص (بالصدق) : + وهو ان المضطر كالغريق لايبالى بأى علقة د || وانه : انه س : فانه ب (٧) المقرر: المقود ه : المقررسا || ولم يزالوا : لم يزل سا : بل ب : بوالرا د || يعنتونه : نعتينونه م : نعيبونه ب : نعسونه د : يعصونه ه : نعسونه س ، ن : يعتونه سا : بغيبوته د ا (٨) وتعذيبا : أو تعذيبا ه || عن الصدق : سقطت من م : من الصدق ه (٩) الحكام : الحكماء م (١٠) مما ب ، س : بما ه : ومما د : كما م ، ن ، د ا || تذله : يزله ب ، م || البوح : البرح ه : السرح د : النوع ن ، د ا (١١) وينسبه : ويتشبه س ، ه || عند : سقطت من ب || فلا : ولا ب (١٢) اختلف : اختلفت ب ، س ، سا || ضروب : + من ه ، ن ، د ا || ادنى : اوفى د : اذى م || ذاعر : داعر د ، س ، م (١٣) بالتنكيل : بالتنكل د (١٤) اليمين : التمر سا || مايحلف : بما يحلف س ، ه || عرض : غرض سا

ولا آخذا ، بل حاكيا أو متظلما . و إما أن يكون متمكنا من إعطاء ، معفى عن الأخذ ، وذلك عن رغبة ، كمن يحلف : أن هذا الولد ليس له ، حيث يكون حلفه يوجب إلزام الولد غيره ، ويكفيه مؤونته . و إما أن يأخذ ولا يعطى . وكل ذلك إما أن يلزم المدعى الحلف أو يلزم خصمه . ومن عرف بالحنث والخبث والفجور لم تكن اليمين التى يقدم عليها موقعا لتصديق البتة . وأما الموثوق به ، فإذا حلف ، أماط عن نفسه وجوب ما يدعى عليه . والذى لا يحلف ، فقد أوجب على نفسه مايدعى عليه ، وكانت فضيلة داعية إلى التصديق بقول الخصم عليه . وكان هذا ضربا من الفضيلة يكون على الفاضل ، ليس له .

فمن يخطب فى تزييف اليمين يقول : إن هذا لم يزل حانثا فى يمينه ، ضعيفا فى مروءته ؛ أو يقول : إن غنم الإقدام على الأقسام منقود ، وغرم الحنث نسيئة ، والفاجر يؤثر العاجلة على الآجلة .

وأما الملاعنة والاستدعاء إلى اليمين ، فقد تكون على سبيل تهور ؛ وقد تكون عن ثقة بجبن الآخر عنه ، وخصوصا إذا كان المتحدى بذلك كأنه لا يبالى بما تعقبه اليمين ، و إن كانت كاذبة ، وذلك الآخر يتقى الشبهة فى الصادق ؛ وقد تكون على سبيل الثقة بصدق نفسه . ولأجل ذلك أكثر ما يتحدى المتحدون . والأمين ربما غرم ، ولم يحلف ؛ وربما حلف لتأكيد صدقه ، وليزيل الشبهة عن إنكاره ، حتى لا يقال إنه استحل أن يكذب عند الإنكار . فلو نكل ، لصحح أنه كان قد

(١) حاكيا : حاليا س || يكون : + لاحدهما س : لاحدها ه || من : عن س ، ه ، سا || معفى : معفًّا م : معرف د (٢) رغبة : رغبته ه || له : + من ه || حيث : حنث سا (٣) و إما : فاما فى كل المخطوطات (٤) الحلف : بالحلف س ، ه || والخبث : سقطت من د (٥) اليمين : لليمين د ، م ، ن (٧) فضيلة : فضيلته ب (٨) يكون : فيكون د (٩) تزييف : تزيف د || اليمين : باليمين م || هذا : + المره ن ، د ا ، ه || حانثا : خايتا م ، ه (١٠) أو يقول : سقطت من سا || الاقسام : الاقدام على الاقدام د || منقود : مما ينقد د (١١) يؤثر : يورث سا (١٢) تهور : التهور د (١٣) عن ثقة : نبعه د || كأنه : انه ه : سقطت من س (١٤) يتقى : يعنى سا (١٥) اكثر : سقطت من سا || يتحدى : يتحدم || والأمين : سقطت من م (١٦) الشبهة : + الشبهة د (١٧) يكذب : + فيه واذا حلف ازال الشبهة عن انكاره حتى لا يقال انه استحل ان يكذب م || فلو : لو د

كذب فيه . و إذا حلف ، أزال الشبهة ، ولكنه يستصعب ذلك و يستشقه على نفسه . أقول : والكريم من حلف لذلك ، ثم غرم . والثقة الأمين ربما آثر الغرامة ، وأن يجل الله عن ذكره فى مثل ما شجر بينه و بين غيره ، و يتنزه عن الإقدام على الحلف به ، حيث له عنه مندوحة ببذل مال ؛ لكنه يستحيي أن لا يحلف فى موضع يوجب هو نفسه الحلف على الآخر فيه ، أو يتحداه إليه ، كما فى المنافرة إلى اليمين .

فمن هـذه الأشياء تؤخذ الأنواع النافعة فى الدعوى والإنكار الذى يقوله . والمقدم على اليمين الفاجرة ، إذا ظهر حنثه ، أو المعقود عليه فى المستقبل بعقد ، وقد أجرى إلى مخالفة حكمه ، قد يدفع اللائمة عنه بمثل ما يقول : لقد قهرونى على الاستحلاف ، أو أجرؤنى على الخلاف ، أو خدعت ، أو وقع منى ، أى ذينك كان بلا قصد ، أو إنه إنما خالف ظاهر اللفظ ، لا التأويل المعتقد والنية المرادة ، و إن اللجاج حمله على الزلة لكثرة عناد الخصم ، و إن اليمين التى يعتبر حكمها ما تعقده القلوب ، لا ما يوجبه اللغو . فإن الشرائع قد أهملت أمر اللغو .

---

(١) على : عن س (٢) لذلك : لذاك س || الأمين : والأمين م ، ن ، ه ، د ا || آثر : اثرت م
(٣) الله : + عز ذكره ب ، سا || عن ذكره فى مثل : عن ذكره فى مثل ذكره م : بمنه ذكره فى مثل ذكره ه : عن ذكر فى مثل ذكر ن (٤) الحلف به : الخلقية م : الحلمه ن || عنه مندوحة : عند مندوحة د : مندوحة عنه ن ، د ا : مندوحة ب ، م ، سا (٦) المنافرة : المشاجرة س ، ه
(٧) تؤخذ : يوجد سا (٨) حنثه : خبثه م ، ه (٩) قد : وقد س || عنه : سقطت من ه || بمثل : فمثل س ، ه || يقول : يقال د || عنه بمثل ما يقول : عند ما يقول م || لقد : سقطت من د
(١٠) أجرؤنى : جرؤنى ب ، د : اجبرونى س ، ه || الخلاف : + أو أجرؤنى على الخلاف م || خدعت : اخدعت م || وقع : وقعت ب ، م ، ن ، سا (١١) خالف : خلف م (١٢) الزلة : البراه سا || اليمين : العماد س (١٣) ما تعقده : اما يكتسبه فى د : مايعتقده س || لا ما : لا ما لا م || امر : امن د || اللغو : + تمت المقالة الثانية من الفن الثامن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم م : + تمت المقالة الثانية من الفن الثامن من الجملة الأولى فى الخطابة من المنطق والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ه : + تمت المقالة الثانية من الفن الثامن والحمد لله رب العلمين ب : + تمت المقالة الثانية والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي د ا

المقالة الثالثة

ثمانية فصول

فصل [الفصل الأول]

[فى المخاطبات الاستدراجية]

لنتكلم الآن فى المخاطبات التى يستدرج بها القضاة والسامعون .

قد يختلف ذلك بحسب مراتب الحكام فى أذهانهم وثقافة آرائهم، أو أضداد ذلك ، وخصوصا فى المشوريات . وأما الخصومات ، فيشبه أن يكون الاعتماد فيها على السنن المحفوظة أكثر منه على القرائح المميزة . فإذا كان الخطيب خبيرا بحال الحاكم ، وحال خصمه ، انتفع بذلك . فإن الحكام لا يتساوى ميلهم إلى من يحبونه، ومن يشنؤونه ، وحكمهم لمن يضمرون عليه موجدة، أو لا يألونه مسالمة . فكذلك إذا استدرج الحاكم بالمخاطبة فى خَلَل المرافعة إلى قِلًّى يعتقده للخصم وسخط عليه ، ومحبة يعتقده للخطيب أو رحمة إياه ، أو غير ذلك مما يميله إليه ويشدده على خصمه ، أو كان حسن الظن بالمتكلم الخطيب مستنيما إليه ، لما يتخيله من فضيلته ودماثته ، أو صار كذلك ، لم يبعد أن يصير به إلى خير، كما أنه لا يبعد أن يكون متعسرا على المريب المتعسر . فما أطوع الطباع لمدامثة المدامث ، ومشاكسة المشاكس . والمتكلم قد يقع التصديق به للثقة بلبه ،

(١) فصل : فصل ا بَ : الفصل الأول فى المخاطبات الاستدراجية س، ه: سقطت من م، دا
(٢) لنتكلم : فلنتكل د : ليتكلم م (٣) قد : فقد ب، د : وقد م (٤) المشوريات : المشهوريات م
(٥) القرائح : القراع ه (٧) يشنؤونه : يسبونه د : يشناونه س، ه || أو لا : أو ب || يألونه : ينالونه ن ، د ا (٨) فكذلك : وكذلك د|| بالمخاطبة : بالمخاطب د || خلل : حلل سا || إلى : الا م || يعتقده : نعقيده م (٩) للخصم : فى الخصم د || محبة : صحبة س || يعتقده : يعتقدها د|| رحمة : رحمته د|| يميله : يمليه م (١٠) أو كان : وإذا كان س، ه (١١) لما : مما س || أو صار : وصار د || يصير به : يضربه م (١٢) المريب : المرتب م ، سا || لمدامثة : لمدامث س
(١٣) للثقة بلبه : لنفسه ه || بلبه : بانه م

أو للثقة بفضيلته، أو للثقة بمؤالفته وصداقته. وقد يقع التكذيب لأضداد هؤلاء. كما قد يقع الكذب فى المشورة من المشيرين: إما لجهلهم، وإما لشرارتهم ومحبتهم الشر للناس، وإما لأنهم غير معنيين بالمشار عليه، فلا يصدقون النظر فى أمره، ويشيرون عليه بالفطير من الرأى. فأما امتحان الإنسان وتعرف حاله فى أصالة لبه، وزكاء خليقته، فإنما يتيسر الوقوف عليه باعتبار الأنواع المعطاة فى باب المدح والذم. وأما حال الألفة والصداقة واعتبارها فسيرد من الأنواع فى ذلك ما يزيح العلة فى الحاجة إلى معرفته حين نذكر الانفعالات، وهى الأحوال التى يختلف — باختلاف تكيف الحاكم بها — حكمه.

فلنبدأ من هذه الأحوال بالغضب، والمغضب، والمغضوب عليه. فأما الغضب: فهو أذى نفسانى لشوق من الإنسان إلى إحلال ما يرى عقوبة بسبب اعتقاد استصغار وازدراء من الذى يغضب عليه إياه. ولذلك فالغضب لا يتناول أمرا كليا يغضب عليه، لأن الأمر الكلى لا يصدر عنه احتقار، ولا يرجى منه انتقام، بل المغضوب عليه شخص أو نفر. وقد علمت ما يلزم الغضب من اللذة التى تستدعى إلى التزايد فيه. وأما الاستحقار: فهو أن يظهر من حال الشىء قولا أو فعلا أنه لا يستحق الاعتناء به، والالتفات إلى كرامته، وأنه لا يخاف شره ولا يرجى خيره. وينحصر فى ثلثة أقسام هى: الاستهانة،

(١) لاضداد: بأضداد م (٢) قد: سقطت من س || الكذب: التكذيب ب، د || اما: واما س || واما: اوسا (٣) محبتهم: صحبتهم س || معنيين: معفين م || عليه: اليه س، م || فلا: ولا س (٤) فأما: وأما ب، د (٥) لبه: لبة س || زكاء: ذكاء م (٦) فسيرد: فيرد د، د ا (٨) تكيف: وتكيف س (٩) الغضب: + المغضوب له د، د ا || المغضوب عليه: + المغضوب له ه || فاما: أما ب (١٠) من: سقطت من د (١١) اعتقاد استصغار: احتقار واستصغار ب، هامش ه، د ا || ولذلك: وكذلك س: وبذلك ه (١٤) التى سقطت من د || التزايد: التزيد م (١٥) يستحق: يستحي م (١٦) وينحصر: سقطت من م

والعنت ، والشتيمة . والاستهانة : إظهار ما يدل على دناءة المستهان به . والعنت : هو التعرض له عند ما يحاول حركة أو سكونا بإرادته ليصد عن ذلك لا لغرض إلا للالتذاذ بضجره أو حيرته . وهذا لا يفعل إلا بمن يعد غير معتد برضاه ولا سخطه ، كأنه لا يرجى ولا يتقى .

وأما كيفية الإضرار بالشتيمة وأنه لا يصدر إلا عن استحقار فهما ظاهران لا يحتاج إلى كشفهما . والشتم أيضا مما يلتذ له الشاتم لما يتخيله عندما يشتم من الغلبة ، وما يتوهم عند نفسه من سبقه المشتوم فى الفضيلة لبراءته عما قذفه به من المثلبة . والأحداث والمثرون شتامون فحاشون لهذا السبب . والبطر تركيب من العنت والاستخفاف ، أو العنت والشتيمة ، على ما يشرح فى موضعه .

وأقل الناس احتمالا للمحرجات وحلما عند لذع المغضبات من يرى لنفسه فضلا بحسبه ، أو قوته ، أو فضيلة فيه ، أو سلطان ، والمتنعمون ، ومن يتوقع إكراما و إنعاما فيخفق ، أو يتلق ممن يتوقع ذلك عنده استخفافا وهوانا فى نفسه أو ذويه بقصد من الآخر . والمشغول بألم فى بدنه أو مقاساة أذى من غيره أو مصائب بفجعته أو نوائب فدحته مستعد للغضب من أدنى مغضب . ولذلك من منى بالعسرة ، أو قصر عن مشتاق إليه من الأغراض فإنه لا يتفرغ للشهوة واللذة ، ويضطرب عند عارض الغضب . وقد يسرع إلى الإنسان الغضب على من

(١) العنت : العتب م : العبث ب ، د ا ، سا || دناءة : ديانه س (٢) العنت : العتب م : العبث ب ، سا || ليصد : ليضجر ب ، د ، هامش ه (٣) بضجره : بضجرة م || حيرته : خبرته د || يعد : هو ب ، د ا (٤) سخطه : بسخطه م (٥) وانه : وانها م || فهما : هما م (٦) له : به م (٧) قرفه : قوفه د : قذفه هامش ه (٨) المثلبة : المثلية م || لهذا : بهذا ب (٩) العنت : العتب م : العبث ب ، د ، سا || العنت : العنه س : العبث ب ، سا (١٣) ذويه : دونه د ، م || بقصد : يقصد د ا || مقاساة : بمقاساة د || مصائب : مصيبة د (١٤) بفجعته : بجمعته س || أدنى : أذى س ، سا || لذلك : كذلك ب ، د ، د ا (١٥) واللذة : سقطت من سا (١٦) يضطرب : يضطر م || من : سقطت من ب

يتهاون بعارض له من ألم بدنى أو نفسانى ، أو بما يهمه من استخبار حال أو مزاولة قتال ، أو يتهاون بحقه من الصداقة . وكذلك المخفق فى أمله ، فإنه تعرض استشاطته غضبا على من حرمه أمله ، وعلى غيره . ومن جنس الشتيمة والاستهانة تحقير ما يؤثره أهل الاجتهاد فى العبادة والفضيلة ، أو فى تعليم أهل الاجتهاد الحكمةوتعلمها ،وترذيله . فإن الجمهور كثيرا ما يتطازون بهؤلاء لقصور أوهامهم عن إدراك المنفعة فيما يدأبون فيه ، فينسبونهم إلى أنهم متشحطون فيما لامنفعة فيه، ولاقوة منفعة. فإذا فطن المجتهد والمتعلم لصنيعهم امتعض وارتمض. لكن العامى أيضا آخر الأمر فقد تحوجه الأحوال إلى ترضى الأمناء والفضلاء فيما يتوقعونه من حسن قيامهم على الودائع ، وحسن توسطهم فى الأمور، بما يعرفه العامى من تدينهم بإحسان المعونة من الافتقار إلى عدالتهم فى باب الشهادات التى لا بد منها فى المعاملات ، فحينئذ يتألفونهم ويستعطفون قلوبهم ، ويرون فى استيحاشهم منهم خسرانا ووضيعة .

ومن المغضبات : قطع العادة فى الإحسان،والقعود عن جزاء الجميل بالجميل. فكيف إذا ساءت المجازاة ، وقوبل الجسيم من النعمة بالسيئة أو بالكفران ، أو باستخساس ما أسدى من الإحسان وإيقاعه موقع القاصر عن الاستحقاق. فبعض هذه الوجوه خسيسة وهو قطع العادة ، وبعضه أخس وهو القعود عن الجزاء، وبعضه لا كلام فى قبحه وهو سوء الجزاء. وقد يغضب المرء على صديقه،

(١) بما : ماب ، سا (٢) وكذلك : فكذلك م ، دا || المخفق : المحفق سا (٣) استشاطته : استشاطة ب (٤) أو فى تعليم : وفى تعليم د (٥) وتعلمها : سقطت من م || ترذيله : رذيلة د || ما يتطازون : لتطايرون ه || بهؤلاء : بها ولا د (٦) يدأبون : يدانون د || متشحطون : متسخطون س (٧) لصنيعهم : لضيعتهم م : لصنعتهم دا (٨) تحوجه : يحرجه د || ترضى : رضى د (٩) بما : وبما س، ه (١٠) بإحسان : الاحسان ه || المعونة : المعرفة سا || من : و سا (١٢) ووضيعة : وصيعه س (١٣) القعود : العقود د، س (١٤) المجازاة : المجازات د، س || بالكفران : الكفران م (١٦) القعود : العقود د

إذا استحل السكوت عن الجميل فى بابه ، وخصوصا إذا أصابه بأساء فهانت عليه ، ولم يتمعض له ، ولم يحسن مشاركته إياه فيها ؛ أو أصابته فاقة ، و به سدها ، فلم يرتح له . وكذلك إن كان مكانه أهل عنايته ، ومن يهمه أمره . وذلك لأن هذا كله دليل على الاستهانة .

وأصناف الاستهانات الموجبة للعتب : الاستهانة بالمرء نفسه ، والاستهانة بمن يكرمه ، والاستهانة بمن يتعجب المرء ، والاستهانة بما يجلب فضيحة على الصديق . ومن هذه الأصناف : غضب الوالد على أولاده ، والمتسلطة على زوجها .

والبخس فى كل مستحق هو من الاستهانة . وكذلك تلقى جد الجاد بالهزل . والتخصيص بالحرمان من بين الأشكال . وتناسى الصديق حتى يمحو اسمه أو قصته عن الذكر . فقد استقصى شرح ما يتعلق بالغضب .

فلننتقل إلى شرح الحال فى ضده : وهو فتور الغضب . وإنما يفتر عمن لم يقصد الاستهانة بالمنة ، بل سها أو غلط ؛ وعمن يتعدى الإغضاب إلى العذاب ، فيشغل الألم عن الحَرَد ؛ وعن الذى يعامل نفسه بما عاملك به ؛ وعن المعترف والمستغفر بالتوبة . كما أن المصر على الإنكار والجحد لوقاحة أو لاستخفاف فإنه يؤهل لمزيد الغضب على ما كان عليه من الغضب . وعن المتخاشع المتذلل المستكين المتساكت

(١) أصابه : اصابته هـ || بأساء : بأس د : بأسا م : بامها سا || فهانت : فهان د (٢) يتمعض : يتمعظم : يتغص د || له : سقطت من س || فيها : سقطت من د (٣) أهل : هل س (٤) هذا كله : هذه كلها د (٥) للعتب : للعنت س ، هـ : للغضب ب ، د (٦) يكرمه : يمكر به م || بمن : فمن د || يتعجب : تعجب ب : + من م || المرء : + منه د : + ومنه الاستهانة والاستهانة . بجب من المرء م || يجلب : جلب ب ، سا (٧) الصديق : التصديق م (٨) كل : سقطت من م || مستحق : + حق م (٩) التخصيص : التخصص م || بالحرمان : والحرمان د (١١) وإنما يفتر : سقطت من م (١٢) بالمنة : بالشتيمة د || بل : قبل د || سها ب ، س ، ن : سهى د ، م ، هـ || فيشغل : فيستعمل م : وليتقل د : فينتقل دا (١٣) عاملك : عامل سا (١٤) الجحد : الجهد س || يؤهل : موهل س ، هـ (١٥) المتذلل : المتكل م || المستكين : المسكين د ، سا

الذى لايعتصم باللجاج والجماج، ويستثبت السكون من الاعتراف المخجل. وقد تجد الكلاب المتهرشة، إذا أولعت بالحمل على عِدة ، فقعد بعضهم ، واستعجل بعضهم كأنه يجالدها ، كفت عن المستخذى بالقعود ، وحملت على المجالد . وقد يفتر الغضب عن القوم الهشاش جدا . فإن الأريحية التى تتوسم فيهم لمفراحيتهم تحيل النفس إلى مثلها فى بابهم ، كأن الهشاشة إحسان يقتضى جزاء . وكذلك الفقراء الذين بأحوالهم ضر ؛ وكذلك المستغفرون المحتجزون ؛ وكذلك المشاهير بكف الأذى ، وغض الطرف ، وقصر اللسان ، فإنهم يحتمل عنهم بوادرهم ونوادرهم . وكذلك المهيبون والمستحيي منهم ؛ فإن الغضب لا يجامع المهابة ، ولا الخجل . والاستهانة ، إذا صدرت عن محتشم ، ظنت نتيجة سخطه ، فلم تعتقد استهانة محضة ، بل اعتقدت تأديبا وتثقيفا ، وعد تأهيله للغضب عليه مضاداً لاحتقاره . فإن البالغ فى السقوط لا يسف إليه السخط ، ولايعترى منه الحزن ، ولا الأذى المستشعر مع استشعار استهانته. وكذلك الاستهانة التى تكون فى حال المزاح ، فإنها تدل على التذاذ المستهين بمحاورة المستهان به ، ومخالطته ؛ وذلك لعزه لا لحقارته . والملهو به قد لا يغضب لرجائه الخير ممن يلهو به . وكذلك إذا أتى بفعل مغضب مشوباً بسد خصاصة ، وإسداء معروف . وإذا طال الزمان على المعنى المغضب امحق أثره ، فلم يغضب ، أو فتر عنه الغضب .

(١) الجماج : الجماج م || يستثبت : ستثبت سا || السكون : السكوت ب || المخجل : المحول ه
(٢) المتهرشة : المهترشة م || اولعت : اولغت سا || بالحمل : سقطت من س || فقعد : وفقد د : ففقد ه
(٣) كأنه : سقطت من م || المستخذى : المستخذين ب || المجالد : المحادل س (٤) تتوسم : ترسم س || لمفراحيتهم : لمفراحتهم ب : بمفراحتهم د (٥) تحيل : تميل د || جزاء : جزءا د
(٦) المحتجزون : المحرون د : والمحرون المحرون م (٨) ونوادرهم : سقطت من سا || والمستحيي : المستحرس || المهابة : المهانة د ، ن ، ه ، دا (٩) الخجل : الخجالة ب || فلم : ولم س
(١٠) محضة : محمدة س ، ه : محمدة سا || اعتقدت : اعتقد د ، س ، ه || وعد تأهيله للغضب : وعند تأهيل المودب للغضب د (١١) السخط : لسخط ذ (١٢) الحزن : الحرد ب || ولا الأذى : والاذى د || استهانته : استهانة س ، ه || الاستهانه : استهانة د ، سا (١٤) لعزه : لغيره سا || ممن : بمن د (١٥) مشوبا : سدبا د || بسد : لسد د (١٦) طال : كان س || امحق : امحى ن ، دا || أو : إذ ه

ومما يسكن الغضب : الظفر، وإدراك الثأر ، وانصباب عذاب على المغضبين ، ولومن السماء . والعارف بزلته وجنايته، الواقف باعتباره على خطيئته، المتحقق لاستحقاقه ما يجرى عليه من الاحتقار، فإنه لا يحرد فى التعنيف به حرد المصر على الإنكار ، وخصوصا إذا عوقب أولا بالكلام ؛ وذلك أن يواقف على سوء صنيعه ، ويوبخ عليه . وإنما يغضب فى مثل هذه الحالة من الناس من هو غال فى الزعارّة . ومما يسقط الموجدة على المسىء جهله بالإساءة، وغفلته عن الفرقان بين الجميل والقبيح . وإن هلاك المغضب ولحوقه بالدار الآخرة لما يسل السخيمة عن القلوب ، فضلا عن الغضب .

فصل [الفصل الثانى]

فى أنواع الصداقة والأمن والخوف والشجاعة والجبن

الصداقة حالة الإنسان من حيث يهوى الخير لإنسان آخر، لأجل ذلك الآخر، لا لأجل نفسه . فتكون له ملكة داعية إلى فعل الخير لذلك الآخر . والصديق هو الذى يحب ويحب معا ، ويشارك فى السراء والضراء ، لأجل صديقه ،

---

(١) وانصباب : أو انصباب د ، س || عذاب : سقطت من س (٢) باعتباره : باعترافه ب
(٣) يحرد : يجرد م ، سا || حرد : جرد سا (٤) عوقب : عوتب م || يواقف : واقف ب
(٥) يوبخ : التوبيخ م || غال : عال د ، س ، ن (٦) الزعارة : الذعارة ه : الدعارة س ، م ، ن ، سا
(٩) فصل : فصل ٢ ه : فصل ب َب : الفصل الأول م ، د ا : الفصل الثانى س (١٠) الخوف : + والأنس م (١١) حالة : حال س : على ه || الخير : سقطت من د (١٢) الآخر : به س ، سا
(١٢ — ١٣) الآخر والصديق هو : و به الصديق الآخر وهو م

لا لأجل نفسه . وإنما يظهر صدق الصداقة عند الارتياح لما يسر الصديق والاغتمام لما يسوءه . لأن العدو بالضد. والمحببون إليك من الناس هم المحسنون إما اليك ، أو إلى من منك بسبب ، وخصوصا إذا توالى الجسيم من إحسانهم عن طيب نفس، وطلاقة، من غير استثقال. وكذلك الذين يرتجى مثل ذلك فيهم. وكذلك حبيب الحبيب ، وعدو العدو الذى يبغض العدوّ ، أو يبغضه العدوّ . والذين يطمعون غيرهم ولا يطمعون ، مثل الأسخياء والشجعاء والأبرار . والذين يقتنعون بما يكسبونه بكد أنفسهم ، ويحسمون مواد الأطماع عن غيرهم ، مثل الذين يتعيشون بغنائم الأعداء . وكذلك سلماء الصدور محببون ، لكفهم الأذى وإيمانهم الناس غوائلهم . وكذلك ذوو الفضائل الذين يستغنون عن الآخرين، ولا يقدم أحد على إكرامهم إلا بالاستئذان ، ويستشعر من يبرهم منة جسيمة حين يجاب إلى القبول. وكذلك الظرفاء الألذاء فى عشرتهم لما يتوقع من مساهلتهم، ومساعدتهم، ولمهم الإنسان على شعثه، وقلة معاتبتهم على التقصير، وشدة أمان الأصدقاء توبيخهم على التفريط. وأضداد هؤلاء هم الصخابون، المعاسرون، العذال . وإن كان ليس كله للنكد ، بل وللشفقة . ومنهم الصلاب ، المحتملون لأنواع العقوبة، المصطبرون عليها، فإنهم إنما يفعلون ذلك لشراسة أخلاقهم.

---

(١) الصداقة : الصداق د (٤) فيهم : منهم د (٥) الذى : والذى م (٦) الشجعاء : الشجعان س، ه || والذين : الذين س ، م (٧) يكسبونه : يكتسبونه ب ، ه ، د ا : يكتسونه د || الاطماع : الاطباع ه، دا : الاطمان د || عن : من د، م (٨) يتعيشون : يعيشون ب || بغنائم : لغنائم د || سلماء الصدور : سليمو الصدور د (٩) ذوو : ذو م : ذوا ه (١٠) اكرامهم : الزامهم س || بالاستئذان : باستئذان م ، ه (١٠ — ١١) من يبرهم منة جسيمة : ببرهم منه حشمة س : بتوهم منه حشمة ه (١١) عشرتهم : عشيرتهم م ، سا (١٢) شعثة : سعيه سا || معاتبتهم : معاتبته س، ه || وشدة : وصد سده د (١٣) المعاسرون : المعاشرون د، م (١٤) العذال : العداله د : العدال م || وان : فان سا || للنكد : للتكد سا (١٥) المصطبرون : المصطرون س || عليها : عليهما س || لشراسة : + فى د ، م

ومن المحبوبين : المداحون المتملقون ، والمتجملون الحسنو البزة ، والذين لا يعيرون ، ولا يعاسرون ، ولا يربون الوغر فى الصدور ، و يمقتون اللجاج . فإنهم إذا جرت عادتهم هذه فى الناس ، رجا كل إنسان منهم مثل ذلك مع نفسه . وكذلك الذين يملكون ألسنتهم فلا يهجرون ولا يفيضون فى ذكر الشر . ولمثل هذه العلة ما تحل عقدة الموجدة ، إذا تلقيت بالسكون والاستخذاء . والشريك فى الحرفة والعادة . والذى يظن بالإنسان فضيلة أو تعجيبا ويأنس به هو محبب عند المظنون به . وكذلك المكرمون المبجلون . وكذلك من تود أن لو حسدك من غير تعديه إلى تربص غيلة بك ؛ فإنك لو لم تعتد به ، لم تهو حسده لك . والمعتد به ، إذا أمن شره ، فهو معرض للمحبة . وكذلك من تحب أن يحبك . ومن المحببين أيضا من يبذل مودته للدانى والقاصى من غير تملق وتصنع . ومن المحببين من يوثق بحسن كتمانه لما يقف عليه من مساوئ الإنسان . ولذلك فإن الوقاح يحب الحيي ، لأنه يأمنه .

فأما أنواع الصداقة فثلثة : أولاها الصحبة ، وهى حالة تتأكد بين اثنين لطول التشاهد ؛ وثانيها الأنس ، وهو الالتذاذ بالالتقاء ؛ وثالثها الوصلة ، وهى المشاركة ، إما فى القرابة كالمصاهرة ، وإما فى النعمة كالمهاداة .

وأما العداوة فيوقف على أحوالها من أحوال الصداقة ، على مقتضى المقابلة . ومن أسباب العداوة والبغض : الغضب . لكن الغضب لا يكون إلا على شخص ،

(١) والمتجملون : المتجملون س : والمحتملون م : والمتمحلون سا || يعيرون : يعيرون ب : تعزون م : يغترون د : يغرون س ، ه (٣) رجا : رجاء د ، س ، ه (٤) فلا يهجرون : سقطت من سا (٥) والشريك : الشريك د (٧) تود : يود س ، ه || لو حسدك : لو حدك د (٨) تربص : رفص د ، دا || غيلة : عمله د : محله ب : عيلة ه : علة س ، هامش ه ، دا || بك : بل ب ، م ، د ، سا || حسده : حده د (٩) ومن : من سا || المحبين : المحبيين س (١٠) أيضا : سقطت من س : وكذلك سا || مودته : سقطت من س || تملق وتصنع : تصنع وتملق س ، ه || المحبين : المحبيين س (١٢) يحب : محب د (١٣) حالة : حال س ، ه (١٤) التشاهد : الشاهد سا (١٧) (لكن) الغضب : العداوة د ، س

والبغض قد يكون للنوع ، وما يشبه النوع ، كبغضك للسارق على الإطلاق . فمن هذه الأنواع يمكن أن نبين أن فلانا صديق وفلانا عدو ، ومنها يمكن أن نقرر فى نفس الحاكم والسامعين على سبيل الاستدراج عداوة للخصم وغضبا عليه، ومحبة للمتكلم وميلا إليه .

فأما الخوف ، فهو حزن واختلاط نفس ، لتخيل شر متوقع ناهك يبلغ الإفساد أو لا يبلغه . فإنه ليس كل شر يخاف . فإن الحسد وكون الإنسان فاجراً مما لا يخاف . إنما يخاف من الشر ما ينهك من يحله بإفساد أو إيلام ، ويكون فى المستقبل . فأما الذى انقرض ، أو الذى حل ، فقد بطل الخوف عنه . ويكون — مع كونه فى المستقبل — متوقعا ، أى قريب الوقوع . فإن المستبعد لا يخاف . ولهذا لا يخاف كل إنسان الموت ، بل إنما يخافه الذى شارفه . فالمخوفون إذاً هم الذين يقتدرون على مثل هذا الضرر . وركوب الخطر هو الحركة نحو مقاربة الضرر أو الثبات بقربه . ومما يوجب الخوف الاعتبار ، وهو مشاهدة مثل ذلك الضرر وقد حل بآخر . ومن صدر عنه ذلك مخوف، ومن جرب بالإضرار مراراً فهو مخوف . والمقتدر الذى لا يدافع إلا بالاستغفار مخوف ، وإن لم يقدم على ضرر ، وخصوصا إذا كان مع ذلك ظالما . والمغافص —

---

(١) قد : سقطت من س || يشبه : يشبهه م، دا، سا || الإطلاق : سقطت من م (٢) نبين : تبين م، دا ، سا : سقطت من س || ومنها : منها ما د : + ما س (٣) السامعين : السامعون م || غضبا : غضب س ، ه ، سا (٤) ميلا : ميل ب، س، م، ه ، سا (٥) فهو : وهو م، دا (٦) الحسد : الكسل س ، ه (٧) فاجرا : فاخرا د ، دا || ما : وما س || ينهك : نيهل م || يحله : كله سا (٨) فأما : واما د || فقد : فقط س (٨ — ٩) فاما الذى انقرض ... فى المستقبل : سقطت من م (٩) عنه : عليه د || قريب : + من م || المستبعد : المتبعد س : المستعد سا (١١) فالمخوفون : والمخوفون ب || ركوب : نكون د || هو : وهو ه (١٢) مقاربة : مقارنة س ، ه || الضرر : الضر د || الثبات : الثياب م : النبات ب (١٣) بآخر : بالآخر د || عنه ذلك : ذلك عنه س ، ه (١٤) بالاستغفار : بالاستصغار م (١٥) ضرر : ضرره د

بخلاف المظنون — خائف ، يخاف من غافصه به . وهذا المغافص، ما لم يرجه، مخوف عند مغافصه . والمقتدر على المنازعة فيما لا يحتمل الشركة ، كالملك ، مخوف . والأعلى يداً مخوف ، وخصوصا إذا شعر بقصد منه . والذين يخافهم من هو أفضل فهو مخوف عند الأدون . وأصدقاء المظلومين . والأعداء . والمسارعون إلى الإضرار بك . والمتأنون من الدهاة ، فإنهم أبلغ نكاية من المتسرعين ، وهؤلاء هم الذين لا يوقف على نياتهم بسرعة ، ولا يملون طول مزاولة العداوة . ومن الأمور المخوفة ما لا يسهل تداركه بمنعه، أو مقابلته بضده، وما لا ناصر له على مدافعته . فأما المستعد لأن يخاف ، وهو الذى به أحد هذه الأحوال ، فهو متوقع لضرر مطل، ولا ناصر له ، ولا حيلة . والذين لا يخافون هم المثرون، المتمكنون من العدد والأعوان . ولذلك ما تراهم شتامين، صخابين، مستخفّين بالناس ، مستعلين ، وخصوصا فى سن الشباب وصحة البدن وقوته ، ووفور الشيعة ، وكثافة الرفقة . والالتجاء إلى المشورة من علامات الخوف .

فمن أراد أن يثبت خوفا ، أو يقرره فى نفس أو وهم ، فليتأمل شيئا شيئا مما قلناه ، وليتخذه موضعا .

فأما الشجاعة : فهى ملكة يكون بها الإنسان حسن الرجاء للخلاص، ومستبعدا لوقوع المكروه . وكأن المكروه عند الشجاع غير موجود ، أو بعيد . وكل ذلكَ

---

(١) به : سقطت من م || ما : بما م || يرجه : يوجه د، م (٣) منه : + سى د : + شى سا (٤) أصدقاء : الاصدقاء س (٦) المتسرعين : المسرعين م ، سا || على نياتهم : سقطت من ه || نياتهم : ثباتهم د (٧) مزاولة : مزاولته م || بمنعه : لمنفعة ه || مقابلته : عمابلته س (٨) له : سقطت من ب، م || فأما : وأما د || المستعد : المستبعد م || وهو : فهو د، س، ه || به : سقطت من س (٩) فهو : وهو س، ه || مطل : مظل م (١١) مستعلين : مشتغلين م (١٢) الشيعة : الشنيعة م || المشورة : المشهورة د (١٣) أو وهم : أوهم م || شيئا : سقطت من م (١٤) قلناه : قلنا د ، س، سا (١٥) فأما : وأما س || فهى : فهو س : وهى م || مستبعدا : مستبعد م (١٦) أو بعيد : وبعيدا د

له من جهة اعتقاده بأن أسباب الخلاص قريبة ؛ ومن جهة حسن ظنه بالتمكن من تقويم الشر المتوقع ، وقوة استشعار نفسه التمكن من إحلاله النكير بالقرن المبارز . ثم كثرة الأنصار وقوتهم معا ، ثم البراءة عن الظلم وقلة احتماله معا ، إذا اجتمعا ، شجعا الإنسان . فإنه من حيث لم يظلم حسن الظن ، ومن حيث لا يحتمل الظلم جرىء على المدافعة . فإنه لا يمكن أن يقدم على المجاهدة وما به مُنة بدن أو نفس . فأما إذا كانت هناك قوة ، وكان الآخر يجرى منه مجرى الصديق ، وكان مبرأ عن توجه الضيم منه إليه ، بل لم يزل مخصوصا بالإحسان منه به ، إما فى فعل ، أو انفعال — أما الفعل فمثل المعونة بالمال ، وأما الانفعال فمثل مقاساة الشدائد فيما يعود على الصديق بالمصالح — فإن مثل هذا الإنسان شديد التشجع على من يؤذيه من أصدقائه الذين حاله إليهم ما اقتصصناه . ثم المستند بخلال الشرف فى النسب ، والفضل فى الحسب ، أو باجتماعهما ، جرىء مقدام ، لاستحقاره من دونه . والأمور التى يشجع عليها هى الأمور التى لا تبلغ الإتلاف ، ويتوقع فيها التلافى . والأمور المكابدة مراراً عن خلاص ، فإن المجرب من المخاوف المكابدة ربما جرأ عليها قوما ، وربما جبّن عنها قوما . وما لم يجرب مشجوع عليه أيضا حين لا يتخيل عقباه . وقد يشجع على المخوف المجرب ، إذا صودف فيه سند يعول على كفايته ، كمن يشجع على ركوب البحر

(١) اعتقاده : الاعتقاد د || اعتقاده ... ومن جهة : سقطت من م || بأن : فان د ، سا || ومن : من س ، ه || ظنه : الظان د (٢) نفسه : النفس د (٤) لم : ما م ، سا
(٥) يحتمل : يحمل د || الظلم : + ثم م (٦) منة : سقطت من سا || فأما إذا : فاذا ب
(٧) بل لم : فلم ه (٨) به : سقطت من د || بالمال : بالحال ه : سقطت من ب ، س
(١١) المستند : المستبد ب ، م ، سا (١٣) يتوقع : متوقع د || الأمور : لأمور د
(١٤) جرأ : جراه س : جسر د (١٥) لم : لا م || عقباه : عقبا د || على : عن س
(١٦) المجرب : والمجرب م ، ه ، د ا || يعول : يقول د ، م ، ه || كفايته : كفاية م || يشجع : نعول سا

مستنيا إلى الربان الحصيف . وقد يشجع على المخوف معرفة الإنسان بخلاص طائفة قاسوه عنه ، وإن لم يخضه الإنسان بنفسه . وإذا كان المدبر تحت تدبير غيره يرى أنه أفضل وأولى بالرتبة السنية منه ، شجع عليه. وكذلك إن رأى نفسه نظيرا له . فأما إن كان المستعلى أفضل وأولى بوفور ماله ، أو قوة بطشه ، أو كثافة أنصاره وزحامة بلده وكثرة عدده ، أو فى بعض ما هو خطير من جملة ذلك ، فإنه يكون حينئذ مخوفا مهيبا . وإذا كان المستعلى عليه حسن السيرة ، متمهد الحال فيما بينه وبين الله ، كان أيضا قليل الاكتراث بالمتغلب عليه . وكذلك إذا كان العقلاء والفقهاء والخطباء يحسنون به الظن ، ويشهدون له بالستر ، فإنهم لا يكترثون بالمتغلبين . ومن المشجعات اشتعال الغضب ؛ فإنه إذا حمى ، شجع الجبان ، وقوى الخوار ، وأخرج الإنسان إلى جانب الإقدام . ومما يوجب مثل هذا الغضب ظلم يقع على البرىء ، فإنه يحسن ظنه بنصرة الله إياه . وكذلك الثقة بأمن غائلة الإقدام ، أو بزيادة المنفعة فيه على المضرة ، أو اعتراضها للتلافى .

---

(١) مستنيا : مستنيفا س || الحصيف : الخصيف س : الخفيف ه || يشجع : يجسر د
(٢) قاسوه : فاسره ه (٣) يرى : ويرى ب ، د ا ، سا ، ه (ثم كتب فوق الواو خ فى ه)
(٤) كان : يخاف ه (٥) زحامة : رحانه د : رجانه م || خطير : خطر سا (٦) حينئذ : سقطت من ه || يكون حينئذ : حينئذ يكون د (٧) كان أيضا : سقطت من س || بالمتغلب : بالتغلب د
(٨) به : سقطت من ه (٩) يكترثون : كثيرون ه : يكثرون د (١١) الله : + تعالى ب (١٢) بزيادة : زيادة ب ، د ، سا (١٣) اعتراضها : عوارضها ه : اعراضها س

فصل [الفصل الثالث]

فى أنواع الاستحياء وغير الاستحياء والمنة

فلنتكلم فى الخجل وفى الافتضاح وفى أسبابهما :

إن الخجل والاستحياء حزن واختلاط بسبب شر يصير به الإنسان مذموما ، سواء سلف وقوعه ، أو حضر ، أو يتوقع . والوقاحة خلق يحتقر معه الإنسان فوات الحمد ، ويستهين بانتشار الذم . فتكون الفاضحات هى الشرور التى بهذه الصفة ، مثل الفرار من الزحف ، والتكشف عن السلاح جبنا ، ومثل التعرض للوديعة بالخفر ، ومثل ارتكاب الظلم ، وكذلك معاشرة الفساق ومداخلتهم فى مواضع الريبة ، والحرص على المحقرات والإسفاف للدنيات مثل سلب المسكين والنبش عن كفن الميت ، والتقتير مع اليسار ، ومسئلة المعسرين ، والاستسلاف حيث يقبح ، ومعارضة المستميح بالاستماحة ، ومقابلة المجتدى بالتقاضى ، فيتقاضى إذا استميح ، ويستميح إذا تقوضى . ومن ذلك المدح للطمع ، والذم عند الإخفاق ، فيكون متملقا يفرط فى نشر فضائل إنسان ما خارجا عن الواجب ، ومتظاهرا باغتمام لما يغم الآخر فوق المضمر فى النفس . ومن الفضائح الجزع على اليسير

(١) فصل : فصل ٣ ه : فصل حَ ب : الفصل الثانى م ، د ا : الفصل الثالث س (٢) وغير الاستحياء : سقطت من س (٣) فلنتكلم : + الآن س || وفى الافتضاح : والافتضاح د ، س (٤) واختلاط : أو اختلاط م ؟ ه || شر : سوء د ا : شىء هامش ه (٥) يحتقر : يحقر س (٦) يستهين : يستبين ه (٨) مواضع : موضع سا (٩) الريبة : الرتبة س ، سا : الزينة م || الاسفاف : الاشتياق ب : بالاشتياق د (١٠) التقتير : التغير ه (١١) المستميح : المستميحين ب ، د (١٤) النفس : + ومن النفس م

من الوجع أو الضر جزع المشايخ ، أو الكسالى ، أو المتسلطين ، أو الضعفاء وكذلك تعيير المحسنين بأفعالهم أوانفعالاتهم ، فإن ذلك قبيح وفضول ، لأن ذلك علامة صغر النفس . وكذلك مدح النفس بالكذب والصلف وانتحال ما أظهره غيره من أثر ، فإن هذا من علامات الزهو . ومن المستهجنين من يجرى مجرى هؤلاء ، وإن لم يأت مأتاهم . والذى يجرى مجراهم هو من يرضى برضاهم ، ويدخل فى مشورتهم ، ويميل إلى عشرتهم . ومن المخازى انفعالات يتلقاها الإنسان فى نفسه وذويه بالإذعان ، مثل رضى الإنسان بالاستهزاء به ومحاكاته للأمور الخسيسة وتعريضه أعضاءه لمعاملات فاحشة ، وصبره على الشر الواقع به بإرادته وغير إرادته ، لحرصه وجشعه وتوقعه حلوانا عليه . وكثير من الصبر جبن لا شجاعة ، وذلك مثل القعود عن الثأر وما يجرى مجراه : ثم الافتضاح أو الخزاية فى الجملة فإنه يوهم لفوات الحمد وحلول الذم وانطلاق الألسنة فيه بالذم عند من يعبأ به .

وأما فوت الحمد عند المجانين والصبيان فأمر لا يستحيي منه . فالمستحيي منهم هم الذين يتعجب منهم ، أو يتعجبون هم من المستحيي ، ومن يؤثر المستحيي أن يكون عجيبا عنده أو مكرما لديه ، ويكون معتدا بما يناله من حمده ، وذلك من

(١) جزع : بجزع ب ، د || أو الكسالى : والكسالى د (٢) تعيير : يعتبر م ، سا || أو انفعالاتهم : وانفعالاتهم : أو انفعالهم م : أو انفعالهم ب (٣) علامة صغر : المصغر ه || بالكذب : والكذب ه : سقطت من س ، سا (٤) الزهو : الزهق د (٥) مأتاهم : ما اتاهم س ، سا (٦) عشرتهم : عشيرتهم م (٧) رضى : رضا م (٨) وتعريضه : تعريضه د || أعضاءه : أعضاؤه ه ، دا : اعضاء د || صبره : صبرة س || الشر : البشر سا (٩) جشعه : خشعه ب ، د || عليه : سقطت من س || كثير : كثيرا س (١٠) الخزاية : الخزانة م : الحرصانه س (١١) فى الجملة : وبالجملة ب ، د || يوهم : موهم م : يتوهم د : يؤهل ب || وحلول الذم : سقطت من س ، ه (١٢) يعبأ به : يعنى به م : يعتابه ب : نعتابه سا (١٣) فالمستحيي : فالمستحى ب ، ه : والمستحيي د ، س (١٤) المستحيي : المستحى ه || المستحيي : بالمستحيي ه (١٥) معتدا : سقطت من س || ذلك : كذلك س

إيثاره تعجبه منه، أو يكون محتاجا إليه ، أو يكون مادحاله ، أو يكون نظيراً له . فربما توخى من الوجه إلى النظير ما لم يتوخ إلى غيره . أو يكون المستحيي منه حصيفا معروفا بأصالة الرأى ، أو شيخا ، أو أديبا . وفضح العيان أشد من فضح الأثر ، وفضح الجهر أشد من فضح السر . والفضيحة عند الأقربين والمصاحبين أعظم من الفضيحة عند الأبعدين والمهجورين . والفضيحة عند الذين لا يحلون منه محل المقومين والمؤدبين أعظم من الفضيحة عند القائمين مقام المقومين والمؤدبين . فإن الإنسان كالمتكشف لمن لا يحله محل المؤدب ، ولمن استرسل إليه ، وكالمتقبض عمن يحله ذلك المحل ، ولا يبوح إليه بنيات صدره وخفيات سره ، ويكره أن يقف هو على خطائه ، صرح له به ، أو لم يصرح ، كان ذلك حقا ، أو كان باطلا ، بعد أن يكون هناك توهم . وليس كل ذى معرفة يسترسل إليه ، فكثير من المتعرفين بالمودة هم قاعدون للعثرات بالمرصد ، وموكلون باستقراء المساوئ . والفضيحة عند أمثالهم أعظم فضيحة . وأمثال هؤلاء ، فليس إنما يستحيي منهم لأنهم فى أنفسهم أهل الاستحياء ، بل لإذاعتهم ما يستحيي منه ، حتى يبلغ من يستحيي منهم . وهؤلاء هم المستهزئون بالصداقات ، والمشاجرون للمعارف . وقد يستحيي ممن لم يزل معظما للإنسان ، لم يمتهنه باستهانة ، كما يستحيي من المتعجب من الإنسان ، ومن المرغوب فى استئناف صداقته واستمداد مواصلته ، ومن الذى سيصار إلى الالتقاء به . والمعارف القدماء الذين

(١) منه : فيه س || نظيرا له : نظيرا د (٢) توخى : سوحى س || ما لم : مالا د (٣) أو أديبا : أديبا د : وأديبا ب ، سا (٥–٦) الأبعدين ... من الفضيحة عند : سقطت من م (٦) والمؤدبين : المؤدبين ب ، سا || القائمين : + منهم د : + منه س ، ه (٧) كالمتكشف : كالمكشف سا (٨) كالمتقبض : كالمعض س || يحله : + فى م || بنيات : بينات م : سات سا (٩) خطائه : خطاه د || له به : به د : له م (١٠) ذى : سقطت من س ، ه ، سا (١١) فكثير : وكثير م || للعثرات : للغمرات س ، هامش ه (١٢) والفضيحة : فالفضيحة ب ، م ، د ا (١٤) المستهزئون : المشهورون د (١٥) المشاجرون : المتأخرون ه (ثم صححت فى الهامش) || للمعارف : من المعارف د || لم يزل : له بدل د || لم : ثم ب ، م ، د ا ، سا (١٧) الالتقاء : الا التقاء د || القدماء : والقدماء م

لم يستعثروا الإنسان فيما سلف . وليس إنما يستحي فقط من العمل الفاضح والكسب الفاحش ، بل من دلائله وعلاماته ، بل ومن النطق به .

وأما من لا يستحيي منه فالخلص من الإخوان ، والمستخف بهم من الغاغة المجرون مجرى البهائم والأطفال ، والغرباء الذين لا معرفة بينهم . فإن الاستحياء من المعارف بالحقيقة ، ومن الأجانب على سبيل الظن .

ولا يحتاج أن يكرر القول فى ذكر ما يشتد الاستحياء منه .

وإذ قد قلنا فى الحياء والوقاحة ، فلنقل فى شكر المنة وكفرانها ، فإنه متصل بذلك . والمنة هو الأمر الذى به يسمى الإنسان ممتنا ، وهو الأمر النافع الذى إذا وجد من إنسان عند إنسان وجب أن يصير له الإنسان الآخر شاكرا ، أو طائعا ، أو أكثر شكرا ، أو أطوع نفسا . وكل منة : فإما بخدمة ، أى بفعل بدنى نفاع ، وإما بصنيعة ، أى بإعطاء جوهر ينتفع به ، اللتين لولا المعطى ، لما كان الانتفاع به نفسه ممكنا مستطاعا . وإنما يكون مثل هذه الخدمة والصنيعة منة ، إذا لم يرد بها غير نفس المصطنع إليه . والمنة العظيمة ما توافق اشتداد الحاجة ، أو تكون فى وقت تعسر المعونة بمثله فيه ؛ أو يكون المان منفردا بالمن به ، لم ينشط به غيره ؛ أو يكون أول من أنعم ، فأنشط غيره ، ويكون أكثر إنعاما به . والحاجة ، إما مشتهى يشتاق حصوله ، أو مشتهى يحزن فراقه ، كالمعشوق . وخصوصا ما يشتهى فى الشديدة ، إما لأنه يدفع الشديدة ، وإما لأن الرغبة فيه بحيث لا تسقطها الكآبة والحزن بالشديدة . وموقع

---

(١) يستعثروا : يستعروا د (٢) علاماته : أماراته س (٣) منه : منهم س : سقطت من ه || فالخلص : فالخاص سا (٤) بينهم : بهم س ، ه (٦) يحتاج : + الى د (٧) وإذ : وإن ب (٨) ممتنا : ممنا د (٩) يصير : تكون س (١٠) أو أطوع : وأطوع د ، م || بخدمة : + بدنية م ، ه || بخدمة : يخدمه م (١١) أى بفعل : او فعل سا || بصنيعة : بصنعة ه || اللتين : التين س (١٣) الصنيعة : الصنعه سا (١٤) اشتداد : باشتداد س ، ه || المعونة : المؤنة د || فيه : سقطت من سا (١٥) المان + بها سا || المن : لمن سا || (ينشط) به : لمثله س ، ه : بها م : له ب (١٦) ويكون : أو يكون س ، ه (١٨) لان : ان د || تسقطها : يسقط س ، ه : تسقطها د || الكآبة : الكابة ب ، ه .

المنة عند الممنونين بالفاقة ، والمدفوعين إلى الخصاصة أعظم . وكذلك عند المحوبين والمتوارين والمستخفين عن أعداء وأضداد ، ولمن يجرى مجراهم ، وعند من هو أسوأ حالا منهم . وأعظم الناس منًّا من لم يرد بالإنعام ذكرا ، ولا بستر الصنيعة نشرا ، فإن ستر الاصطناع تهنئة ، كما أن إذاعته تنغيص . فهذا مايحتج به فى توكيد المنة .

ومما يحتج به فى إبطالها وتحقيرها أن يقول : ما أردت باصطناعك إلا عرضا استنفعته ، وإنك لم تتم النعمة ، وقصرت عن الواجب فى مثله عليك ، إذ لم تطبق به مفصل الحاجة ، وألزمت قبولها عند القنية ، فإنك لم تصنع بقصد ، بل لاتفاق أو ضرورة ، أو لرغبة فى مجازاة ، أو من غير علم ولا إرادة . فإن ذلك كله مما تتضاءل معه المنة . وإذا كانت من أجل الضرورة ، قلّت معها المنة . وقد تكون مع الضرورة إرادة ، فتكون الإرادة قسرية ، وهو أن يلجأ إلى اختيار الإنعام . وقد تكون من غير إرادة فيه ، وهو أن يكون المضطر يؤخذ منه ماله ، ويبذله غيره ، وكذلك تكون مع علم ، ومن غير علم .

وهذه الأنواع نافعة فى الشكاية والاعتذار . والعلامات المحققة لتهنئة المنة وتأكيدها أن يكون صدورها عن إرادة ومحبة ، وأن لا يكون فيها تقصير ، وأن لا يكون مثل ذلك قد صدر منهم إلى أعداء الممتن . فإنه إذا اشترك فى النعمة

(١) عند : غير س ، سا (٢) والمتوارين : سقطت من هـ ، دا : والمتوازين د : والمموارين ن : سقطت من دا || المستخفين : المستحقين م || وأضداد : أو أضداد م ، سا (٣) وعند : أو عند س ، م || ولا : اولا ن ، دا (٣—٤) ولا بستر الصنيعة نشرا : بل سترها وأخفاها د (٤) بستر : ستر سا : ينشرم : ممرب : فشل ن : فسل دا || الصنيعة : للصنيعة م ، ن ، دا ، سا || ستر : نشرم || تنغيص : تبغيض م : سمص د (٧) عرضا : عوصا د || استنفعته : استنقصته د (٨) إذ : أو س ، هـ || تطبق : تطيق سا || مفصل : مفضل سا || وألزمت : الزمت م || القنية : الغيبة م ، دا ، سا : الغيب د || فانك : وانك س (٩) أو لرغبة : أو كان لرغبة م ، ن ، دا (١٠) تتضاءل : تتضاد د : يتأصل : س (١١) معها : معه سا (١٢) فيه : سقطت من د ، س ، هـ (١٢) يؤخذ : يوجد سا || ويبذله : مدله : د ويبدله سا (١٥) العلامات : سقطت من د || لتهنئة : لهنه د (١٧) أعداء : الاعداء.

العدوان معا ، دل على ضرورة دعا إلى ذلك الإحسان . وكذلك إذا اصطنع المـان مثله إلى عدو نفسه . وكذلك إذا لم يكن أحسن إلى من هو فى مثل استحقاق الممنون عليه أو فوقه. فان ذلك يدل على أن المنة لم تصدر عن سماحة . فإنه لو كان إحسانه إحسان مرتاد للمنة والقربة لمـا كان حكم العدو فيه حكمه، ولمـا كان المستحق الآخر يقصر عنه مثله . وكذلك إن كانت المنة مشوبة بشر ينقصها . فحينئذ لا يكون الغرض بالمنة مطابقة الحاجة . والاعتراف بالمنة يقتضى اعترافا بالحاجة ، ولا يعترف أحد بحاجة إلى الشر .

فصل [الفصل الرابع]

فى أنواع الاهتمام بالمرء والشفقة عليه والحسد والنقمة والغيرة والحمية والاستخفاف

فلنذكر الآن الاهتمام بالغير ، وهو قريب من الشفقة أو شغل القلب بالإنسان على سبيل العناية ، ومَن الذى يهتم له . والاهتمام أذى يعترى الإنسان لشيء

---

(١) دعا : دعى م ، هـ : دعت د (٢) المـان : بالمـان م ، ن ، دا || مثله : بمثله ب ، م ، سا (٣) سماحة : سحاحة م : سجاحة هامش هـ ، سا (٦) ينقصها : يبغضها هـ (٦) والاعتراف : فالاعتراف د ، س (٧) بحاجة : بالحاجة د ، هـ || الشر : شر من (٨) فصل : فصل ٤ هـ : فصل ءَ ب : الفصل الرابع س : الفصل الثالث م ، دا (٩) بالمرء : بالغير ب : بغير بالمرء م : بالغير بالمرء ن ، دا (١١) فلنذكر : لنذكر س ، سا : ولنذكر د ، هـ || الشفقة : المشقة م (١٢) العناية : + ومن الذى يهتم هـ || يهتم : مهتم د || لشيء : لشر د ، س ، هـ

بمفسد أو حازن يعرض لإنسان آخر من غير استيجاب ، ومن غير توقع . والمهتم هو الذى به مثل هذا الأذى لما عرض لإنسان آخر ، أو المتصل به من ذلك. وأما الهالكون فلا يهتم لما وقع لهم ، لأن ما عرض لهم يبعد أن يقال فيه إنه غير متوقع . وكذلك سعداء البخت لا يهتم لهم ، لأنهم لا يظن بهم سوء ، ولحوق شر . والذين لا يهتمون ، ولا يبالون ، فهم المتدربون بمقاساة الشرور للسن ، أو لكثرة التجارب . والمخلدون إلى الإقبال وأنفسهم طيبة لا تستوحش لحال . والمشهورون بالاعتلاء والنمو . والمتأدبون الذين يغلب عليهم حسن الظن . والذين جرت الأمور على محاب أسلافهم ، وعلى محابهم أنفسهم . والمنفعلون بأعراض الشجاعة ، كالغضاب والقساة . وكذلك المستهينون والشتامون ، فانه لا هؤلاء يهتمون ، ولا مقابلوهم من الخائفين الأرقاء المكروبين الأشقياء ، فإنهم بهم ما يشغلهم عن الاهتمام لغيرهم ؛ بل إنما يهتم المتوسطون بين ذلك . ولا يهتم بالخاملين المحتقرين فإنهم فى عداد المعدومين . ولذلك فإن الجبابرة لا يهتمون بأحد تقديراً منهم أنه ليس غيرهم أحد .

وأما الأسباب التى لأجلها يهتم فقد يوقف عليها من حد الاهتمام . وهذه الأسباب مثل المهلك من العذاب والأوجاع والجهد والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم الأنصار ، وخصوصا إذا طرأ الشر من متوقع منه الخير ،

---

(١) استيجاب : استحاث د (٢) به : سقطت من س || مثل : سقطت من سا || أو المتصل : لمتصل س : والمتصل هـ (٣) واما : فأما د ، هـ || الهالكون : الهناء نكون هـ || لهم : بهم د ، س ، هـ
(٤) سعداء : سعيدوا د ، هـ (٥) الشرور : الشرم : السرقة هـ || للسن : للشر د ، هـ
(٦) تستوحش : يستوحشون د ، هـ (٧) الذين : والذين س ، م (٨) جرت : جربوا س || وعلى : وش س (٩) الشتامون : الشامون س (١٠) مقابلوهم : مقابلون د || الخائفين : الخائبين س ، م ، سا || الأشقياء : سقطت من ن ، دا (١١) لغيرهم : بعدهم س || بين : من م
(١٢) المحتقرين : المحقرين م : المستحقرين س : + المحترمين ب || ولذلك : وكذلك م || الجبابرة : الجهابرة د (١٥) المهلك : الملك س

وإذا خلا الشر عن خلط الخير، أو يكون الاستمتاع بخلطه قد انقرض وقته.

والمهتم لهم هم المعارف والشركاء والحرفاء. فأما من هو من الإنسان كنفسه، وهو الولد، فلا يقال إن الإنسان يهتم للأذى يصيبه، كما لا يقال إنه يهتم للأذى يصيب نفسه. فلا يقال إن الانسان يشفق على نفسه، ويعتنى بنفسه، بل ذلك شدة خوف، لا عناية وشفقة. ولهذا ما حكى عن واحد أنه لم تدمع عينه عند إشفاء ولده على التلف، ورأى صديقاً له قد فضحته الفاقة، فبكى له. والشدة تنسى الشفقة، وتسلى عن العناية بالغير. ومن المهتم لهم الأشكال فى الأسنان، وهم الأقران، والأشكال فى الأخلاق والهمم والمراتب وإيثار الجميل. وكل ما يخاف وقوعه بالإنسان فهو الذى يهمه إذا حل بالإخوان. ولذلك لا يهتم للتقادم، ولا للتراخى. وممن يهتم له المتشكل بشكل المظلوم، والمعذب، والممنو والمحون، وإن لم يشاهد ما قد مناه ولا يحقق ما محنته. فإن هيئته تخيل حالته، فيكون المشاهد من هيئته كالمشاهد من حاله. وقد تهم أيضا علامات الآفات إذا دلت على وقوعها، وإن لم تقع بعد. ولهذا المعنى قد يهم امتحان غير المستحق. وكأن هذا الحزن مضاد، أى مقابل مقابلة ما، للحزن الذى يعترى للنجح بلا استحقاق، وهو الذى يسمى فى هذا الكتاب جزعا، وإن لم

(١) بخلطه: بخلقه ب، د، هـ، ن، سا || قد: وقد س، سا || انقرض: نقرض د (٣–٤) يهتم ... الانسان: سقطت من هـ (٣) يهتم: يهم د || للأذى: لأذى م || لا: سقطت من د || للأذى: لاذى م (٦) إشفاء: اشفاء م (٨) الأسنان: الإنسان د، هـ || الأخلاق: الخلاق د || الهمم: الهم د (٩) فهو: وهو د، م، هـ || بالاخوان: بالانسان د، هـ || ولذلك: ولهذا س: وكذلك د، هـ (١٠) ولا للتراخى: والمتراخى د، هـ || بشكل: سقطت من م || الممنو: المنزد: المهون ن (١١) والمحون: الممحون س || محنته: محبته م، هـ: محنة سا: ممحه س: يحسه دا (١٢) من حاله: عن حاله د || تهم: تهتم س (١٣) ولهذا: لهذا د، س، هـ، سا || قد: وقد د، س، م، هـ (١٤) مضاد: مضادا ب، م || مقابل: سقطت من هـ (١٥) للنجح: المنجح فى جميع المخطوطات || يسمى: سقطت من هـ

يكن تضادا حقيقيا . فإن مصدر كل واحد منهما عن خلق كريم . والجامع من ذلك صيرورة كل منهما إلى غير مستحقه من خير أو شر. ووقوع مالا يستحق يغم بالحق ، وأما إذا لم يكن لذلك سبب معلوم ، بل كان واقعا على مجرى القضاء والقدر ، فالحزن فى ذلك متوسط . فإنه لا يبعد أن يقول القائل : إنه لم يقض له الخير الذى أتاه عفواً إلا عن استحقاق ، ولا قضى عليه الشر الذى أتاه بغتة إلا عن استيجاب ، فيقل الحزن لذلك ، و إن كان لايجب زواله دفعة أو جملة . فإن القضاء والقدر ليسا مقصورين على الاستحقاق فقط ، و إن كانا موهمين إياه ، بل المشهور أن أمر القضاء والقدر مشكل موكول إلى الله .

وقيل فى التعليم الأول : وأما الذين يصيرون إلى ذلك بلا حتم أو قضاء . يشبه أن تكون لفظة « لا » قد وقعت زائدة سهوا من الناقلين أو غيرهم ، أو يشبه أن يكون معناه بلا حتم من الكاسبين ، ولا تقدير منهم؛ فيكون كأنه قال: بلا توقع من الناس وتقدير .

ومما يضاد الاهتمام والجزع المذكورين : الحسد . فإن الاهتمام هو أذى يعترى لشر يصيب الإنسان ؛ إنما يعترى لأنه غير مستحق ، ولأجل ذلك الإنسان . والحسد هو أذى يعتريه لخير يصيب من يستحقه ، لأجل أنه أصابه . فأما الجزع المذكور فهو كالوسط بينهما . فإن الجزع أقرب إلى الاهتمام . وإذ هو أقرب من الاهتمام فهو كالضد للحسد . ولا يجب أن

(١) يكن : سقطت من س || تضادا : مضادا د ، ه || عن : غير سا (٢) من : فى س ، ن || صيرورة : ضرورة د ، دا ، ه : ضروره س (٣) يغم : نغمر م (٦) إلا : لا م (٨) الله : + تعالى ب ، د ، م ، ه ، دا ، سا : + عزوجل س ، ن (٩) فأما : فان س || أو : ولا م ، ن ، دا (١٠) يشبه : ونشبه ن ، دا || قد : وقد د || الناقلين : الناقل س (١٠–١١) أو يشبه : ويشبه م || تقدير : نقدر د (١٢) بلا : فلا م || توقع : موقع د ، ه || وتقدير : او تقديره : أو نقدر د (١٤) أذى : اذن س || لشر : بسبب شر د ، ه || إنما : انه م (١٥) هو : سقطت من د ، س ، ه ، سا (١٥ — ١٦) من يستحقه ... كالوسط : سقطت من سا (١٦) فاما : واما د ، ه (١٧) فهو ... ان : سقطت من سا

يناقش أيضا فى الأضداد ، مطالبة أن يورد على الحقائق ، دون المظنونات . فقد قيل فى هذا مما هو سد لهذا الباب . والحسد ، إنما يكون حسداً ، إذا كان الغم فيه بسبب أن الخير أصاب الغير . وأما إذا كان الغم ليس لهذا ، بل بسبب قصور مثله عن المغتم ، فهذا ليس حسدا . وهو أمر قريب من الواجب ، ولا تنفك عنه الطبائع . فإن كل إنسان يغتم لما يفوته من العطاء والرزق الذى من شأنه أن يوجد لغيره . وكذلك إذا كان الغم بسبب خوف يعترى الإنسان من إنجاح العدو ، يقدّر معه أن إنجاحه يبسط له فى القدرة ، فيمكنه من أفعال المعاداة . وهٰهنا فرح يصيب الإنسان لشر يعرض للمستحقين ، كالذين يقتلون الناس ويعفون الآثار ويعيثون فى الأرض ساعين بالفساد ، وفرح آخر بإخفاق المستحق وسوء حال المحسن ، وهما متضادان : أحدهما يصدر عن فضيلة ، والآخر عن رذيلة . وحزنان : حزن يعرض لحسن حال المستحق ، لأجل حسن حاله ، وهو الحسد ، وحزن يعرض لحسن حال من لا يستحق — لأنه لا يستحق — وهو المناقمة والغيظ ، وهما متضادان : أحدهما عن رذيلة ، والآخر عن فضيلة . فهذه تركيبات مختلفة من الحزن والفرح ، والخير والشر ، والاستئهال وغير الاستئهال . والحاسد يحسد فى كل خير ، حتى فى الحسن والجمال وغير ذلك . وأما الناقم فليس يحسد فى الفضائل ، لأنه لا معنى لاستشعاره وجود فضيلة بلا استحقاق .

(١) يناقش سقطت من سا || أيضا : ههناس (٢) فقد : وقد د ، ه || سد : سرد ، ه
(٤) مثله : ميله ه || حسدا : محسد س (٥) يغتم : نعيم ه : نغم د || لما : ولما ه || العطاء : الخطا سا (٦) وكذلك : ولذلك ب (٧) يقدر معه أن انجاحه : سقطت من ه || يبسط : و يبسط ه
(٨) لشر : ليس د ، ه (٩) يعفون الآثار : يعقون الاباء د ا || يعيثون : يعثون د ، ه || ساعين : سقطت من ن ، د ا || وفرح : وافرح م (١٢) الحسد : الحد د : + والنقمة وهو د ، ه || وحزن : حزن د ، ه : وحسن س || يستحق : + به م || لانه لا يستحق : سقطت من ه || المناقمة : المناقة د : المنافسة ب (١٤) وغير الاستئهال : سقطت من م
(١٥) وأما : + فى ه (١٦) لأنه : بل د ، ه || وجود : وجوده د

فإن غير الفاضل لا ينال الفضيلة . بل إنما ينقم لخيرات الخارجة . فإن غير الفاضل لا يستحقها ، وغير الفاضل ينالها ، و إنما يستحقها الأخيار . وكذلك لا ينقم فى الخيرات الواقعة فى الطبع كالحسن والجمال ، ولا فى الخيرات الموروثة التى لم تستحدث ، فإن ذلك يرى كالحق الواجب . وكذلك إذا كان المستحدث لخيرات سلطانا ومتبعا ، فإنه ، و إن لم يستأهلها بالفضيلة ، فكأنه استأهلها قديما للسلطان والمكنة . فيكون بعضهم لا ينقم عليه لأنه فى عداد من كان يملك قديما ، و إن استحدث ؛ و بعضهم لأنه لم يستحدث ، بل هو له كالحق .

وليس أيضا مبلغ الاستحقاق فى الجميع واحدا ، ولا كل إنسان مستحقا لكل خير ، بل كل إنسان يليق به خير ما ، ينقم إن فاته . فإن الناسك غير مستحق للمعتقد جمالا وخيرا من زينة التلبيس والتسلح . وكذلك فإن الاستكثار من السرايا وما يجرى مجراه لا يليق بمستطرف اليسار . فإن المستطرف يليق به أن يتشبه بعدُ بمن حاله حال الفقير إلى أن يؤنس بيساره . وكذلك الحقير لا يستأهل ظفرا بالنبيه ، وخصوصا إذا كانا فى مذهب واحد . ولهذا صار أمثال هذه الأحوال مما يعد من آثار القدر ، وليس من آثار القدر . ولولا ذلك لما استولى العاجز على القادر ، ولا استهان مثل المغنى بالناسك . والأمور المنسوبة من هذا الباب

---

(١) فإن : بان د ، ه || الفاضل : سقطت من سا (٣) لا (ينقم) : سقطت من س (٤) ذلك : سقطت من د || يرى : سقطت من س || وكذلك : فكذلك م (٥) فإنه و إن : وانه م || بالفضيلة فكأنه استأهلها : سقطت من ه || استأهلها : + وربما م (٦) عداد : عدد س (٧) يستحدث : يحدث د ، ه (٨) واحدا : واحد م || مستحقا : مستحق ه (١٠) جمالا : كمالا ب ، م ، ن ، دا || زينة : رتبة د ، م ، ه ، سا || التلبيس : التلبس ب ، س ، ن ، سا || التسلح : التسلخ د ، د ا ، ه ، ن (١١) مجراه : مجراها س || يتشبه : يشبه د ، ه ، د ا (١٢) بعد بمن : بعد من د ، م ، ه : بعديم س || يستأهل : يتساهل م ، د ا ، ن ، (١٤) يعد : + ذلك م || وليس ب : ليس بقية المخطوطات || وليس من آثار القدر : سقطت من ه (١٥) استهان : استاهل م ، ن ، د ا

إلى القدر اثنان : أحدهما أن يفوز من لا استحقاق له بالخطر العظيم ، والثانى أن يقصر المستحق الفاضل عن مستحقه . وإنما تشتد نقمة الناقم على أمثالها، إذا كان هو فى نفسه محبا للكرامة . فإن محب الكرامة أنظر إلى الاستئهال ، وضده . ولهذا السبب يكون القنوع بالدنية ، والمستند إلى المخادعة التى يرجى عيشه بها ، ولا يلتفت إلى المذمة ، غير ناقم ؛ لأنهم لا يلتفتون الى الاستيجاب . والمحسَّدون هم الذين أصابهم خير ، وهم مع ذلك من جنس الحساد . فإن المباين فى الجنس كأنه لا يحسد ؛ وكذلك المباين فى النسب ، أو السن ، أو الحرفة ، أو المرتبة ، أو الثروة . فإنه إذا بعد ما بين الدرجات ، نام الحسد . فإن لم يكونوا متساوى الدرج فى المعنى الجامع ، ولكن كانوا متقاربيها ، فإنهم يتحاسدون أيضا . والحاسد هو القاصر عن الغاية ، وإن كان مقاربا فيها . ولهذا ما يكثر الحسد من المتمكنين . فإن الذى يعلم ، هو أحسد للعالم من الذى لا يعلم . والذى يفعل العظائم هو أحسد لمن يفوقه فيها ممن لا ينهض إليها البتة . فإنه لا بد من مشاكلة أو مقاربة . وأشدهم حسدا محبو الكرامة ، وبالجملة : محبو الحمد ، لما قلناه . وكذلك المتجملون بالرقيق والأموال . فإن التجمل للتحمد . وكذلك فى كل شىء مستحسن حسد مرصد ، وخصوصا إذا كان المستحسن مما ينزع إليه الحاسد . وأنت تعلم من هذا أنه مَنْ المحسود . ولا يحتاج إلى تكرير ذكره مما جرى .

(٢) وإنما : واما د || تشتد : ستقد د || أمثالها : امثالها س (٣) إذا : إذ م || فإن محب الكرامة : سقطت من م || أنظر : أبطن ه || إلى الاستئهال : سقطت من ه (٤) بالدنية : بالزينة م || التى : الذى ه || عيشه : عيشته س، د (٥) غير : عن د (٦) خير : + وهم الذين اصابهم خير ه || فى : من م ، دا (٨) نام ب ، س ، سا : أمن د ، ه : يأمن م ، ن || الحسد : الجد د || يكونوا : يكونا د ، ن ، د ا (٩) متقاربيها : متقاربها م : متقاربتها د || يتحاسدون : يحاسدون ه (١٠) مقاربا : مقارنا د ، ه (١١) فان الذى : فالذى م (١٢) يفوقه : يفوته ب || اليها : سقطت من س (١٣) مقاربة : مقارنة ه : مقاربة ب، د، م || وأشدهم : فأشدهم د، ه (١٤) للتحمد : المحمل د : للتجمل ه || كذلك : سقطت من س (١٥) حسد مرصد : حسد مرصد س : حينئذ من ضد م : حسد يرصد د : حسد ويرصد ه

وأما الذين لايحسدهم الناس: فالذاهبون الأولون من القرون، والهالكون ، والبعداء فى المكان المنقطع عنهم ، كالساكنين عند منار هرقلس، فلا يحسدهم أحد من هذه البلاد . والمستنقصون جدا، والفائقون جدا، الذين لا يقاربون، بل إنما يحسد من يصلح أن يكون منازعا ، ويصلح أن يشارك فى الهوى والإرادة . ويكون الخير المحسود عليه مما يتوقعه الحاسد ، أو كان له مرة . ولذلك ما كان أكبر الغلامين يحسد أصغرهما إذا أفلح، إذ كان له فيما أفلح حق، وكان له أن يكتسبه . وكذلك المبذر يحسد المصلح . وكذلك الذى لا يدرك الخير إلا بجهده يحسد من تيسر له إدراك الخيرات . وبالجملة : إذا كان يرى نفسه أهلا لمثل ما سبق إلى غيره . فأما إذا تباينت المراتب ، لم يكن حسد .

فبهذه الأنواع يقتدر الخطيب على التنقيم ، والتحسيد ،والتأسيف،والاهتمام، والتسلية ، وغير ذلك .

وهٰهنا شىء يناسب النتم : وهى الحمية ، وهو أيضا من جملة الخير . والحمية الذى يعترى عند فوت خيرات يستحقها المرء وينالها الآخرون، ويكون فى نيل الآخرين دلالة على جواز نيلها . وجواز النيل فى مذهب الاستحقاق . ولن تعترى هـذه الحمية إلا لمن يحب الخير ، ويأسف على فوته ، ويراه محمودا ؛

---

(١) الذين : الذى س ، ن ، د ا || يحسدهم : يحدهم د ، يحسدون م ، د ا : يحسدونهم ن (٢)هرقلس ب، م، ن، ه، سا : هرقليس د : هرملس س||فلا : ولا س(٣)المستقصون : المستنقصون م (٤)يشارك : نكون مشاركا س || الهوى : الهدى د (٥) أو : و س(٦) إذ : إذا ه||حق : سقطت من سا (٦ — ٧) فيما أفلح حق وكان له : سقطت من ه (٧) يكتسبه : + وكذلك المبذر المصلح ه || يدرك : يدركه ه (٨) إلا : سقطت من س ، م ، ن ، د ا ، سا || يحسد : سقطت من س || تيسر : يتيسر ه || الخيرات : الخير د، س، ه (٩) إذا : ان د ، ه || تباينت : تناسب ه : تدانيت س (١٠) فبهذه : بهذه م، سا || التحسيد : التحسد س || الاهتمام : الاهمام سا (١٢) هو : هى د ، س ، ه (١٣) ينالها : يناله س ، سا (١٥) الحمية : الجهة د || فوته : فوقه

ولا تعرض إلا لكبار الأنفس ، أعلياء الهمم . وأولاهم بالحمية من تيسر مثل ذلك الخير لسلفه ، أو لعشيرته ، أو لأشكاله ، وخصوصا إذا كان الخير مما يكرم عليه ، وينال الحمد به ، كالمال والجمال ، لا كالصحة فإنها ليست تعرض الناس للكرامة كل التعريض ، وإنما يغار على مثل الشجاعة ، والحكمة ، والرياسة ؛ لأن هذه أمور تمكن من الفضائل ومن الإحسان ومن الكسب للمحامد .

فالغيرة إذاً إنما تقع على الذين لهم هذه الفضائل ، وأشباهها ، وعلى جميع من يرغب فى مصادقته لفضيلة ، وعلى المتعجب منهم ، والمثنى عليهم ، والمستخفين بمن يقصر منهم ويضادهم ويخالفهم . فإن الاستخفاف يضاد الحمية . فإن الحمية تصدر عن غيرة ، والاستخفاف عن عدم غيرة . وإذا كان الاستخفاف يضاد الحمية ، فهو يحركه تحريك المضاد والمؤذى فيزيد فيه . فإن المستخف بذى الحمية يكون محركا من حميته عندما يستخف به . وأما الذى تعتريه الحمية فهو فاقد الخير الذى يحمى . وأما الذى يستخف به ولا يحمى عليه فمن ساق إليه الجد شيئا بغير استئهال ، ولا يكون ابتداؤه عن جَلَد وصرامة . فمثل هذا يستخف به ، ويوثق بوهى قاعدة أمره .

(١) لكبار : الكبار د || أعلياء : على د : علىّ ه : أعلاء س || وأولاهم : فأولاهم د
(٢) لعشيرته : عشيرته د ، ه (٤) وإنما : انما س : فانما سا (٥) من الفضائل : ومن الفضائل س (٦) هذه : من س || من : ما د ، ه (٧) لفضيلة : لفضيلته س
(٩) غيرة : عتو م || عدم غيرة : عدم عتو م (١٠) المضاد : المضادى ب ، د ، ه ، سا : المضارى بخ (١١) به : سقطت من د ، ه || تعتريه : لا تعتريه ب || الحمية : سقطت من م || (١٢) شيئا : سقطت من س (١٤) || ويوثق : يوثق د || بوهى : وهى ه

فصل

[الفصل الخامس]

فى مواضع نحو اختلاف النـاس فى الأخلاق

وينبغى أن ندل على الأحوال المحركة نحو خلق خلق بحسب الأعراض والهمم، وبحسب الأسنان، وبحسب الحدود، وبحسب الأنفس. أما الأعراض فمثل الغضب والميل. وأما الهمم فكما يعتاد من إيثار النفس على جنس من الأمور، كملكة أو سياسة أو زهد، وتدخل فيها الأديان والصناعات. وأما الأسنان فكالحداثة والشباب والشيبة. وأما الحـدود فالحسب واليسار والجلد. وأما الأنفس فالنفس العربية والعجمية، والنفس الكبيرة والنفس الصغيرة.

ولنبدأ بالأسنان: فالغلمان قد تكثر حركة الشهوة فيهم ويقتدرون عليها، وتقتصر شهواتهم على الأمور المطيفة بالبدن، المنسوبة إلى الزهرة، كالمناكح والملابس والمشام؛ وهم سريعو التقلب والتبدل، يغلب عليهم الملال، يشتهون بإفراط ويملون بسرعة، لحدة أهوائهم وقلقها وفقدان الجزالة فى آرائهم.

(١) فصل: فصل ه ه : فصل هَ ب : الفصل الخامس س : الفصل الرابع م ، د ا
(٢) نحو: سقطت من س || الناس: النفس م (٣) خلق: سقطت من د (٤) الأسنان: الانسان م || أما: واما م، د ا ، ن (٥) فكما يعتاد: كانعقاد س، م (٦) كملكة: لملكه س || الأديان و: سقطت من ب، س، سا (٧) الشيبة: المشيب د: الشيب ه: الشبيه س || فالحسب: بالحسب ه: فكالحسبه س || اليسار: الشباب ه || الجلد: الخلد ه (٨) فالنفس: فكالنفس س، سا || العربية: الغربيه سا || الكبيرة: الكثيرة د || النفس: سقطت من ن، د ا (٩) بالأسنان: بالشاب د: بالشباب ه: + ومنهم بالغلمان س، م، ن، د ا || حركة الشهوة فيهم: فيهم حركة الشهوة س
(١٠) المطيفة: المطبقة س، ه، د ا (١١) وهم: فهم ن، د ا (١٢) يملون: يميلون ب: يملكون سا || لحدة أهوائهم: لحداء هوايهم د: لحدة أهواهم م (١٢) آرائهم: ازائهم د

وإنما آراؤهم كالعطش الكاذب الذى ينتفع بالنسيم البارد . ويسرع إليهم الغضب ، ويشتد فيهم ، وخصوصا لحبهم الكرامة ، فلا يحتملون الضيم . وتفرط فيهم محبتهم للكرامة ومحبتهم للغلبة ميلا منهم إلى النباهة والعلو . وحبهم لذلك أشد من حبهم للمال ، بل ميلهم إلى المال ميل يسير ، فإنهم لم يقاسوا الحاجة ، ولا كابدوا الفاقة . ومن طباعهم سرعة التصديق بما يرتمى إليهم لما فيهم من حسن الظن ، وقلة الارتياب ، وفسحة الأمل . وكل ذلك تبع لمزاجهم الحار المشابه لمزاج النشاوى الذى يقوى النفس جداً . ولذلك لا يجوزون ولا ينهزمون ويرجون العيش بالأمل . فإن المستقبل فى سلطانهم والماضى فى سلطان المشايخ . فإنهم ، إذ لا كثير ماض لهم ، تقل تجربتهم . ولحسن ظنهم يسهل انخداعهم . وكذلك الشجعان . ولهذا يشتركان فى سرعة الغضب ، فهما حسنا الظن ، سريعا الغضب . وحسن الظن يزيل الجزع . وشدة الغضب تقوى النحيزة فتتبعه قلة الخوف ، لا لحسن الظن فقط ، بل لشدة القلب . فإن الخوف والغضب لا يجتمعان . ويشبه أن يكون حسن الظن جزءاً من الشجاعة . وقد يغلب على الأحداث الحياء ، لأنهم لم يندفعوا بعد فى الفواحش الموبخة ، وبقوا على الفطرة . وهم متهمون لأنفسهم استقصاراً لأنفسهم فى المعرفة والخبرة . ويتبع حسن ظنهم كبر أنفسهم . ولا يقدّرون أنهم سيفتقرون ، إذ لم يقاسوا الضراء بعد . ولهذا ما تتوجه هممهم

(١) ينتفع : نتفع س ، سا : يقنع م || بالنسيم : بألسنتهم د : بالشيم ه (٢) فلا : ولا د ، ه
(٣) ومحبتهم : سقطت من ب ن ، د ا || للغلبة : والغلبة ب ن ، د ا (٤) كابدوا : كابدا د
(٥) يرتمى : يرى د ، ه : يرق ب : + يرى م (٦) لمزاجهم : مزاجهم س || المشابه : المتشابه ه || لمزاج : سقطت من ه (٧) النشاوى : النشاوىم : المنشازى ه : التساوى سا || يجوزون : يجوزون د : يخورون س || يرجون : نرجون سا (٩) كثير : كبير ه || تقل : يقنع م : تبع ب ، سا : ينتفع ن ، د ا (١٠) ولهذا : فلهذا د ، ه || حسنا : حسن س ، ه || سريعا : + الجزع وشدة م
(١١) النحيزة : النحيزه سا : النجيزة ب : النجيرة د ، ه : النجدة م ، ن || فتتبعه : ويتبعه م ، ن ، د ا (١٣) جزءا : خيرا سا (١٥) كبر : لكبر م (١٦) سيفتقرون : سيفترقون د ، ب (ثم صححت فى الهامش)

إلى العظائم ، وتجسم فى أنفسهم الأمانى . وميلهم إلى النافع الذى عرفوه أكثر من ميلهم إلى الجميل الذى لم يألفوه بعد . وإنما فكرهم وهواجس نفوسهم موقوفة على الأنفع . فإنهم إنما عرفوا من الخير النافع الذى عندهم بحسب سنهم ، وكأنه اللذة وما يجرى معها والفكر المبنى على الفطرة . وهذه الفكرة إنما تجذب إلى النافع الذى بحسب المفكر وعنده . وأما الجاذب إلى الجميل فهو الفضيلة ، لا الفطرة . هكذا يجب أن يفهم هذا الموضع .

وأما الأحداث فشديدو المحبة لذويهم وإخوانهم وأقرانهم ، وذلك لأنهم نشيطون ، يحبون السرور . والسرور إنما يتم بالصحة والمعاشرة معا . وليس غرضهم فيما يؤثرونه المنفعة الحقيقية ، بل المنفعة المؤدية إلى اللذة . ولذلك صداقتهم للذة ، لا للمنفعة فى المصالح العقلية ، فلذلك يحبون الأصدقاء ، ليلتذوا بهم . وخطأهم فى إتيان نافعهم وفى كل شىء أعظم من خطأ المشايخ فى مثله ، لأنهم مفرطون لايتوسطون . والإفراط مغلطة . ومن شدة إفراطهم ظنهم بأنفسهم البصر بكل شىء . ومن سجاياهم ركوب الظلم الجهار ، وإن عاد عليهم بالعيب والخزى ، لأنهم مائلون بالطبع إلى سوء الفعال ، لأنهم بالطبع شديدو الغضب ، قليلو الخوف . ومع ذلك فقد تغلب عليهم الرحمة ، لتصديقهم المتظلم المتعوف بالخير . وهم لقلة جربتهم ومكرهم مناصبون للأشرار المكرة . وهم محبون للهزل والمزاح ، لحب الفرح والسرور ، ولضعف الروية التى إذا قويت ، وقفت الهمة على الجد .

(١) تجسم : يجسمهم د (٣) انما : إذا د ، ه (٤) سنهم : سُنتهم سا || وهذه الفكرة : وهذا الفكر د ، ه
(٥) تجذب : يحدث ب ، ن ، د ا || المفكر : المفكرة ب || وأما : فاما سا (٦) لا الفطرة : سقطت من م || هكذا : فهكذا م ، ن ، د ا || يجب : ينبغى س (٨) بالصحة : بالصحبة س ، ه
(٩) يؤثرونه : يورثونه س (١٠) ولذلك : فلذلك د ، ه . (١١) إتيان : ايثار ب || وفى : فى ب (١٢) يتوسطون : يتوسطون ب (١٥) فقد : قد د ، ه (١٦) المتعرف : المعترف ه || المكرة : المكروه ب

وأما المشايخ فأكثر أخلاقهم ضد أخلاق هؤلاء. فإن أخلاقهم سخيفة، ومع ذلك شكسة ، ولا تذعن لأحد لكثرة ماجربوا ، وكثرة ما جرى عليهم من الخديعة والغلط، ثم تنبهوا له ،وكثرة ما خاضوا فيه من الشرور وقصدوه منها . ومن أخلاقهم أنهم لا يحكمون فى شىء من الأشياء بحكم جزم البتة . وإن حكموا ، حكموا به على ما جربوه . وكل شىء عندهم على حكم ما سلف، أو لاحكم له أصلا . وكأنه على كثرة تجربتهم ، لم يجربوا شيئا، وذلك لشدة امترائهم فيما لامثال له عندهم ، فكأنهم فيه أغمار . ويقل اكتراثهم بالمحمدة والمذمة . وإذا حدثوا عن أمر فى المستقبل ، حدّثوا عنه مرتابين يعلقون ألفاظهم "بعسى" و "لعل" وأخلاقهم سيئة ، لسوء ظنهم . وليس من عادتهم الغلو فى ولاء أو بغضاء ، إلا فى الأشياء المضطر إليها . وتراهم فى محبتهم كالمبغضين ؛ وفى بغضهم كالمحبين وهم صغار الأنفس، متهاونون ، لا يقتفون أثر العزم المصمم ، كأنهم قد يئسوا. فلذلك يضعف شوقهم إلى الأمور ، سوى ما يتعلق بالمعاش، فهم حرصاء عليه، خوفا من إدراك الأجل . ولأجل ذلك مالا تسمو أنفسهم إلى التكرم والمروءة، ضنًّا بمتاع الدنيا . وقد أشعرتهم التجارب عسر الاقتناء ، وسوء عاقبة الإتلاف والإفناء . والجبن يستولى عليهم . وهم حسنو الإنذار بما هو كائن ، لما استفادوه من التجارب . وهم على خلاف الشبان فى المعانى المحركة ، بل هم إلى السكون لبرد مزاجهم ، فلذلك يجبنون ويخافون . ولأجل الجبن والخوف ، يشتد حرصهم. وأيضا لفرط حبهم للحيوٰة بسبب إعراضها فيهم للزوال .. وتسقط

(١) فإن أخلاقهم : سقطت من س (٢) ولا : لا س (٤) شىء : حكم د ، ه || به : بأنه م
(٥) جربوه : جربوا د ، ه || وكل : فكل د ، ه || وكأنه : وكأنهم ب ، ه (٦) امترائهم : اجترائهم ن ، ه ، د ا (٧) فكأنهم : وكأنهم م ، د ا (٨) يعلقون : يعقلون د ، ه
(٩) بغضاء : فى بغضاء م ، ن ، د ا : بغضها د (١١) يقتفون : يقتفرون م ، سا (١٢) عليه : عليهم م (١٣) لا : لم د ، ه || أنفسهم : نفسهم س (١٤) ضنا : حبا د ، ه || بمتاع : لمتاع د ، ه ، سا (١٨) وتسقط : فتسقط ب

شهوتهم عن المناكح والمناظر ، لزوال حاجتهم فيها . على أنهم يشتهون أيضا ، وخصوصا المآكل . ويميلون إلى العـــدل ، ويحبون الأئمة العـادلة ، وذلك من جبنهم وضعفهم . فإن الميل إلى العدل هو لحب السلامة . وحب السلامة هو إما من فضيلة ، وإما لصغر النفس ؛ فإن الفضيلة تحث عليـه ، وصغر النفس أيضا يوجبه . فمن ليس توجبه فيه الفضيلة ، فليس شيء يوجبه إلا صغر النفس . ويؤثرون النافع ، ولا يؤثرون الجميل . وكل ذلك لمحبتهم لأنفسهم . فإن محب نفسه ، يميل إلى النافع ، لا إلى الجميل . فإن النافع بحسب نفس الإنسان ، والجميل بحسب غيره . وهم أوقاح لا يستحيون ، لأنهم ليس لهم كل الميل إلى الجميل ، بل ميلهم موقوف على جهة النافع . فلذلك يتهاونون بالجميل . ومن أخلاقهم قلة التأميل ، إذ وجدوا الإخفاق فى العالم أكثر من الإنجاح . والتجربة تتبع الأكثر . والاعتقاد فيهم يتبع التجربة . ولهم ، بدل الالتذاذ بالتأميل ، الالتذاذ بالتذكير . ولقلة تأميلهم ، يكثر جبنهم . وغضبهم حديد ، ضعيف . أما الحدة ، فلسرعة الانفعال ، كأنهم مسقامون ؛ وأما الضعف ، فلضعف النحيزة . وشهواتهم مضمحلة ، أو منكسرة . وشوقهم إلى النافع ، دون اللذيذ ، ولذلك يظن بهم أنهم أعفاء . وهم أعفاء ضرورة ، لا أعفاء فضيلة . وتقل رغبتهم فى طلب الفضل والفائدة ، استقصاراً لمدة الحيوة . ويعاشرون

(١) المناظر : المنازل س || فيها : عنها س (٢) المآكل : الماءاكل د (٣) من جبنهم : بجبنهم م ، ن ، د ا || لحب : يحب م : محب دا (٤) هو : سقطت من سا (٥) فمن : لمن ه || ليس : + له م (٦) الجميل : النافع الجميل د || ذلك : سقطت من سا (٧) بحسب : سقطت من ه || نفس : سقطت من ب ، د ، ه (٨) أوقاح : وقاح ه : فقاح د (٩) فلذلك : فذلك م : ولذلك د ، ه || يتهاونون : يتهاولون م (١٠) اذ : او س (١٢) بالتذكير : بالتذكر س || حديد : حاد د ، ه (١٣) أما : وأما س ، سا || مسقامون : مستقامون م (١٤) النحيزة : النحزه ب أ : المحزه س : النحره ه : المحره د ، ن : النجيره م ولذلك : (١٥) وكذلك سا || يظن بهم : يطربهم م (١٦) الفضل : الفضيلة م

الناس على أنهم أتباع فيما يؤثرونه لأخلاق مستعفة ، لأجلها يفعلون ما يفعلون ، لا على أنهم أتباع أفكار تؤم المنافع . فإن عاداتهم التراثى بأخلاق الصالحين ، وإن كان ما يفعلونه لأغراض وأفكار . فانهم إذا تراءوا بالصلاح ، طلبوا بذلك منفعة ما ، لكنهم لا يعترفون به . وهم طلّابون جدا لكسب المنافع ، ولكن على سبيل الأرب والخب والمكر ، لا على سبيل المجاهرة ، وارتكاب ما يستحيى منه ، خلافا لعادات الأحداث . وقد يرحمون أيضا بسبب مخالف لرحمة الأحداث . فإن الأحداث يرحمون لمحبتهم للناس ، وتصديقهم للمتظلم ؛ وهؤلاء يرحمون لضعف أنفسهم ، وتخيلهم للشر المشكو منه والمشاهد كالواقع بهم . وهم مع ذلك صبراء على الأذيات ، غير قلقين . وليسوا بهزالين ، لأن الهزل مناف للجد ، مباين للصبر .

وأما الذين فى عنفوان التشييخ ، وهم الذين بلغوا أشدهم ، ولم يخطوا ، فأخلاقهم متوسطة بين الخلقين المذكورين : بين الشجاعة التهورية والجبن ، و بين التصديق بكل شيء والتكذيب لكل شيء . بل هم فى الشجاعة على ما ينبغى ، وفى التصديق على ما ينبغى . وهممهم مازجة للنافع بالجميل ، وللجد بالهزل . فهم أعفاء مع شجاعة . وأما الأحداث فشجعان مع نهم . كما أن الشيوخ جبناء مع عفاف . ومبدأ هذه السن من ثلثين إلى خمسة وثلثين ، واستكمالها إلى خمسين .

---

(١) لأخلاق : لا خلاف د || مستعفة : مستعقبة د ، ه (٢–٣) لا على أنهم...يفعلونه : سقطت من ه (٣) وأفكار : افكر م (٤) ما : لا م || يعترفون : يعرفون م ، ن ، د ا || طلابون : ظلامون د ، ه ، سا (٥) ولكن : لكن سا || ارتكاب : ارتكابا د ، ه (٦) ما : لما د ، ه || خلافا : خلاف د ، ه || لعادات : العادات د ، ه || الأحداث : لا حداث ه || وقد : وهم س (٧) للمتظلم : للتظلم س ، سا (٨) للشر : الشر س ، م || منه : سقطت من س ، سا || والمشاهد : أو المشاهد س ، سا : أو المشاهدة م (١٠) الهزل : الهزال م || مناف : + مناف س (١١) الذين : + هم س || التشييخ : التشيخ ب ، د ، ه || وهم : فهم ب || يخطوا : يحصوا سا (١٣) فى : سقطت من س (١٤) للجد : الجد س (١٥) أعفاء : أعفى م || شجاعة : الشجاعه س || وأما : فأما د ، ه || فشجعان : فالشجعان ب ، م ، ن ، د ا ، سا (١٦) هذه : هذا س || السن : السنن م || الى خمسة وثلثين : الى خمسة واربعين د ، ه : سقطت من م || واستكمالها : واستكماله ن ، د ا : الى استكماله س

وأما الأنسباء ذوو الأبوة من الناس ، فإنهم راغبون جدا فى الكرامة ، متشبهون بأوائلهم . وقد يظن أن كل ما هو أقدم فهو أجل وأعظم ، فلذلك يشتهون الرفعة والكرامة . ولذلك يجنحون إلى التيه والاستطالة وربط الجأش . ومع ذلك فكرمهم يدعوهم إلى العدل ؛ وذلك ما دام الكرم فيهم باقيا بعد ، ولم تنسخ الأيام عاداتهم الموروثة عن أسلافهم . ثم يتعطلون آخر الأمر مع ضربان الدهر لقلة تواضعهم للتأديب ، واعتلائهم عن الإسفاف للحرف والصنائع والمكاسب السافلة . فإذا جار عليهم الدهر ، بقوا متعطلين ، وتفرقت عنهم العدد والكفايات ، فبقوا معاتيه ، أو عجزة مخاذيل .

وأما أخلاق الأغنياء : فالتسلط ، والاستخفاف بالناس ، والإقدام على شتيمتهم ، وعظم الاعتقاد فى أنفسهم ، كأنهم فائزون بكل خير ، يلاحظون كلا بالتملك والاستعباد . فهم مترفون بالنعمة ، صلفون بحسن الحال . وهم محبون للثناء ، مشترون للمدح لكثرة ما اعتادوهما . ومن عاداتهم أن يستحسدوا كل إنسان ، كأن كل إنسان يحسدهم على حظهم . ولذلك جعل بعضهم من فضائل الحكمة أن الحكيم ، لاحتياجه إلى الأغنياء ، ومقاساته الفقر ، يكون بصيرا بالأحوال ، غير سيء الظن بالناس ، ولا مسيئا إليهم بحكم التسلط . وإساءة الأغنياء تغلب عليهم ضعف الروية لقلة الحاجة منهم إليها . وتشاكل شمائلهم شمائل النساء . إلا أن الذى له قديم فى الغناء أنبل من المستحدث الذى قد قاسى قبله الهوان ، ورسخ فيه صغر النفس .

(١) وأما : فأما د ، ه || الأنسباء : الاباء م || ذوو : ذو س ، سا (٢) بأوائلهم : بآبائهم د ، ه
أعظم : أفضل د ، ه (٥) الأمر : سقطت من د || الدهر : + امله م (٦) الاسفاف : الاشفاق سا (٧) السافلة : السالفه س || متعطلين : معطلين م (٩) وأما : و د ، ه
(١٠) شتيمتهم : شيمتهم س (١١) بالتملك : بالتملل د ، ه || الاستعباد : الاستبعاد م
(١٢) للثناء : النا ء : البنا ه || مشترون : مشيرون ب (١٣) كأن : وكان د ، ه : سقطت من م
(١٥) سيء : شيء م (١٧) له : سقطت من سا || الغناء ب ، د ، م ، ه : الغنا ن : العنا س ، سا || انبل : اتيل سا

والأغنياء يشبهون الأحداث فى الجاهرة بالظلم من غير مبالاة ، كأن المال وقاية لهم عن كل آفة . وتقوى فيهم الأخلاق المائلة إلى جهة القوة. والأخلاق المائلة إلى جهة القوة : منها ما هو أخس وهى التى تصرف فضل القوة إلى الازدياد فى الاقتناء ؛ ومنها ما هو أنبه مثل محبة طلب الفضيلة . فإن من كان منهم أعلى همة ، صرف قوته إلى الفضيلة . وهؤلاء هم المحبون للكرامة . وهم أخل أخلاقا ، وأجزل آراء ، وهؤلاء هم أقدر من المائلين إلى الازدياد فى الميسرة ، لأن أفعال القوة هى التى نحو الغلبة والكرامة والجلالة . وأما الاكتساب والاستكثار من العدة فهو للضعف . وكلما كانت النفس أقوى ، كان إلى التصون والصلف أميل . وهؤلاء يكسبون بقوة أنفسهم فضل لب ، و يترفعون عن أن يتكبروا بتكلف ، فلذلك لا يرون لأنفسهم حاجة إلى الكبر ، فيكونون متواضعين حسنى الأشكال فى العشيرة . لا يسعون للظلم الحقير . فإن ظلموا ، ظلموا فى كثير .

وأما المجدودون ، فمن أخلاقهم : التنعم ، والاستمتاع باللذات ، والاستطالة ، وقلة المبالاة ، لسعة المقدرة . و يكونون محبين لله جدا ، واثقين به ، معولين على التوكل ، لأنهم اعتادوا الانتفاع بالجد ، دون الكد .

وقد يوقف على أحوال أضداد هؤلاء من أحوالهم .

ولما كانت المنفعة فى الأقاويل الإقناعية هى حصول الإقناع . والإقناع لن يحصل

---

(٢) عن : من د ، ه ، س (٣) هو : هى س || أخس : سقطت من م : احسن سا (٤) هو أنبه : هو ايته م : هى انبه س (٥) أعلى : أعلا د (٦) اخل : اجل سا || من : سقطت من م || الازدياد فى الميسرة : الاثراء والميسرة ه : الأثر والميسرة د (٧) لأن : الا ان م || التى : سقطت من م ، س ، ن ، دا ، سا || والاستكثار : بالاستكثار د ، ه (٨) كان : كانت م ، ن ، دا (٩) يكسبون : يكتسبون م ، ه || يترفعون : يتربعون س || يتكبروا : يتكثروا م : يكسروا سا (١٠) فلذلك : فكذلك م : فلا د ، ه : فبذلك ن || لأنفسهم : انفسهم ب ، م (١١) العشيرة : العشره سا || يسعون : يسفون س || الحقير : الكبير سا (١٢) المجدودون : المجدود سا (١٣) يكونون : يكون د ، ه (١٥) أحوال : سقطت من م ، ن ، دا || اضداد : ضد د ، ه (١٦) (حصول) الاقناع : للاقناع م || لن : إن م

إلا إذا انقطع الجواب، وحقت الكلمة. والواحد يعسر إسكاته، ويبعد إذعانه، وخصوصا فى الأمور الإقناعية. فبالحرى أن يكون من تمام التدبير فى المحاورات الخطابية تعيين حاكم يزجر المرتكب عن ارتكابه، والمعاسر عن معاسرته، مع تمكينه كُلًّا من كلامه، لا يحجر عليه، أو يجرى إلى الخطل. ويجب أن يكون إنما يحجر عند مشاركة النظار إياه فى استخطال المتكلم. وشهادة السامعين للبادئ لا لا ينسب إلى الميل.

فينبغى إذًا أن يكون ههنا متكلم، وحاكم، ونظار. وإذا كان كذلك، وجب أن تكون عند الخطيب أنواع تعين فى الانفعالات والأخلاق.

فصل [الفصل السادس]

[فى الأنواع المشتركة للأمور الخطابية]

قد حان لنا الآن أن نتكلم فى الأنواع المشتركة للأمور الخطابية الثلاثة: كالقول فى الممكن وغير الممكن، والقول فى الكائن وغير الكائن، وفى التكبير والتصغير. وهذه وإن كانت عامة للثلاثة، فيشبه أن يكون التكبير والتحقير أخص بالمدح. وأما الجزئى

---

(٣) المعاسر: المعاشر د، م، ه، سا || معاسرته: معاشرته ب، د، م، ه، سا
(٤) الى: فى سا (٥) مشاركة: المشاركة م || استخطال: استخطار ب: استحضار م، ن، د ا: استحطار سا (٦) للبادئ: للباد ب، س، ه، سا (٦—٨) للبادئ ... فى الانفعالات: سقطت من م (٩) فصل: فصل ٦ غير مترجم ه: فصل و ب: الفصل السادس س: الفصل الخامس م، د ا (١١) الآن: سقطت من س، م، ه
(١٢) وغير الممكن: سقطت من م || وفى التكبير والتصغير: والتصغير والتكبير ه (١٣) للثلاثة: لثلاثة د، ه || التكبير: التكثير د، ه || الجزئى: الحالى د، ه: الجنس أى س، م

الموضوع، أى الذى يحكم بوضعه وكونه ، وهو الذى ينحوه النظر فى الكائن وغير الكائن ، فهو أخص بالمتشاجرين . وأما الممكن وغير الممكن والمتوقع كونه فإنه أخص بالمشورى الذى يثبت أن الانتفاع بكذا ممكن ومتوقع .

فلنبدأ بالأنواع الخاصة بالممكن وغير الممكن ، فنقول :

إذا كان نقيض الشىء ممكنا ، فظاهر أنه ممكن . وأيضا إن كان ما يشبهه ويجرى مجراه ممكنا ، فهو ممكن . وإن كان الأصعب ممكنا ، فالأسهل ممكن . وإن كان كونه بحال أحسن ممكنا ، فهو ممكن . فإنه لما كان إجادة البناء ممكنا ، فالبناء ممكن . وما ابتداء كونه ممكنا ، فما ينتهى إليه ممكن . وما كان تمامه ممكنا ، فبدؤه ممكن . وإذا كان المتأخر فى الطبع ممكنا ، فالمتقدم ممكن . فإنه إن أمكن أن يكون الإنسان رجلا ، أمكن أن يكون غلاما . وبالعكس . والأمور التى يشتاق إليها طبعا ممكنات ، فإن الممتنع لا يشتاق . والأمور التى تتعاطاها العلوم كالطب ، والصنائع كالفلاحة ، ممكنات . وما كان إلينا أن ندبره ، كالذى يكون عن إجبار أو تشفع ، فهى ممكنات . والذى يتعلق بمعونة الأفاضل والأصدقاء كالممكن ، مثل ما يتعلق بأموالهم أو جاههم ، فإنه ممكن لا يبخلون به . وإذا كان كل جزء ممكنا ، فالكل ممكن . وإذا كان الكل ممكنا ، فكل جزء ممكن . وإن كانت طبيعة النوع ممكنة الوجود ، فطبيعة الجنس ممكنة لا محالة . وإذا أمكن

(١) وهو : سقطت من م (٣) بكذا : بكذى د || ومتوقع : + كونه م ، ن ، د ا
(٦ — ٧) وان كان الأصعب . . فهو ممكن : سقطت من هـ (٨) وما : وأما ب ، م ، ن ، د ا || فما : فيما م ، ن ، د ا || ممكنا : سقطت من د ، سا || فبدؤه : مبدؤه د (٩) فالمتقدم : فالمقدم سا (١٠) تشتاق : تشاق د ، م (١١) يشتاق : يشاق د ، م || تتعاطاها : يتعاطاه م
(١٢) ممكنات : ممكنا هـ || الينا : الناس || ندبره : ندره د (١٣) اجبار : اخبار م ، سا : احار د : اختبار ن ، د ا || والذى : الذى هـ (١٤) كالممكن : الممكن س || أو : و د ، هـ
(١٥) كل : سقطت من ب ، ن ، د ا ، سا (١٦) فطبيعة : وطبيعة س

أحد طرفى الإضافة ، أمكن الآخر . وما أمكن للجاهل والبطال ، فهو للعالم الصانع أشد إمكانا . وما كان ممكنا للأوضع ، فهو ممكن لمن دو أشرف .

وأما الذى لا يمكن ، فستجد له أنواعا مضادة لهذه .

وأما أنواع أنه : هل كان الشىء أو لم يكن؟ فمن أنواعه أنه : إن كان ما هو أقل استعدادا للكون قد كان ، فالأتم استعدادا قد كان . وإن كان التابع قد كان ، فالمتبوع قد كان . فإنه إن كان قد نسى ، فقد كان قد علم . وإن كانت الأسباب قد كانت، فالشىء قد كان . فإنه إذا كانت القدرة والإرادة ، فقد كان الشىء، وخصوصا إذا لم يكن عائق. وهذا نحو أن يكون قدر وغضب، أو قدر واشتاق، أو قدر واشتهى. والذى توجب الدلائل أن يكون ، فليوضع كائنا . فإن الأسباب الملاصقة توجب الوجود بالفعل لا محالة . وإذا كانت المعدات قد سبق كونها ، فالأمر قد كان. كما أنه إن كان السحاب قد برق، فقد رعد . وإن كان الإنسان قد جرب محاولة أمر يطلبه، فوجده قد أذعن له ، فقد فعل . وإذا استعد للثانى ، فقد كان الأول ؛ مثل أنه إذا استعد للقتال، فقد تقدم الاستيحاش .

قال المعلم الأول : ومن هذه ما هى اضطرارية ، ومنها ما هى أكثرية . فيجب أن تعلم من ذلك أن رأى المعلم الأول فى الخطابيات ليس ما ينسب إليه

---

(١) الآخر وما أمكن : سقطت من د || للجاهل : الجاهل د ، ه (١ — ٣) للعالم الصانع : للعالم والصانع د : للعالم والطبايع ه : للصانع العالم م ، ن ، د ا (٢) فهو : فهل د (٣) فستجد : مستجد م : فستجد سا (٤) (انواعه) أنه : سقطت من ب ، م ، د ا (٥) للكون : اللكون م || قد كان : قد وجد د ، ه : سقطت من س ، سا (٦) فالمتبوع : والمتبوع سا || فالمتبوع قد كان : سقطت من م || فانه : وانه ب (٧) قد كان : + فالشىء قد كانت م || إذا : إن س (٨) نحو أن : يجوز ه ، د ا (٩) أو قدر : أو قد قدر م (١٠) الملاصقة : المتلاصقه س (١١) سبق : سيق سا : يسبق د (١٢) جرب : جرت د ، م (١٤) فقد : قد ب || الاستيحاش : للاستيحاش د ، ه

من وجوب تساوى الإمكان فيها . وأنت ستعلم أنواع ما لا يكون من أنواع ما يكون . ومن هناك تعلم حال متوقع الكون، وهو ما استعدت نحوه الأسباب مما ذكر ؛ وما ليس متوقع الكون ، وهو الذى بالخلاف .

وأما أمر التعظيم والتحقير ، فقد يكتفى فيه بما ذكر منه فى المشوريات ، وخصوصا إذا خصصت بحسب أمر أمر من الأمور الجزئية، وجعل له بحسبه حكم حادث .

فلنفصل الأمر فى التصديقات المشتركة ، وهى جنسان : المثال والتفكير . وأما الرأى المحمود فهو داخل فى مواد التفكير .

ولنبدأ بالمثال ، وهو الذى نسميه ههنا برهانات ، ونقول : إن الأمثلة على ضربين : أمثلة من أمور مقر بكونها يقاس عليها غيرها سواء كانت أمورا موجودة ، أوحوادث وجدت فى زمان ماض، أو أمثالا مضروبة سائرة. هكذا ينبغى أن يفهم . ومنها ما يخترعه الإنسان : فمن ذلك مثل وحكاية تجعل له حكما وتجعله كأنه قد كان ، وهو ممكن الكون ، إلا أنه لا رواية له ، ولا سير مثل به ؛ ومنها ما هو كلام كاذب ، مثل ما فى كتاب كليلة ودمنة .

فمثال المثال بالحقيقة ، ما يقال : لا ينبغى لك أيها الملك أن تستهين بأمر الجواسيس ، ففلان قد استهان فندم . ومثال المثل المضروب ما قال سقراط :

---

(١) وجوب : وجوه ب ، م ، سا : سقطت من هـ || تساوى : يتساوى ب ، م ، سا || ستعلم : متعلم س (٤) بما : ما د ، هـ (٥) أمر : سقطت من هـ (٧) جنسان : الجنان هـ || التفكير : التفكر د (٨) التفكير : التفكر د (٩) نسميه : سقطت من هـ || برهانات : برهانا د ، هـ || ونقول : فنقول د : نقول هـ || الأمثلة : لامثلة د (١١) أوحوادث وجدت فى زمان ماض : سقطت من س || ماض : ماضى ب ، م || او : و سا || أمثالا : مثالا م || هكذا : هكذى م : فهكذا ب : وهكذا د ا (١٢) الإنسان : سقطت من هـ (١٣) سير مثل : سير ميل سا (١٥) بأمر : بامود س (١٦) ففلان : فلان س (١٦) المضروب : سقطت من س ، م ، ن ، دا ، سا || سقراط : السمراط س

إن من يحرم الترأس بالقرعة، كمن يحرم المصارعة بالقرعة. فإن تحريم المصارعة بالقرعة لم يكن أمراً قد وجد وأعقب خطأ ، بل أمراً قد اختلق فرضه ، و به يضير فيه الخطأ ، فتقل الخطأ منه إلى غيره .

وأما الثالث: فكضرب بعض المشيرين مثلا، وهو يشير على قومه بشدة التيقظ، وأن لا يذعنوا لواحد وعدهم بتخليصهم عن يدى متسلط عليهم عنيف بهم ، فإنه قال لقومه : إياكم وأن تصيروا بحالكم إلى ما صار إليه الفرس ، عند ما زاحمه الأيّل فى مرعاه ، ونغصه عليه ، ففزع إلى إنسان من الناس يعتصم بمعونته ، ويقول له : هل لك فى إنقاذى من يدى هذا الأيل ؟ فأنعم الإنسان له الإجابة على شرط أن يسمح بالتقام ما يلجمه ، و بتمطيته ظهره وهو ممسك قضيبا . فلما أذعن له ، صار فيما هو شر له من الأيل .

وقال آخر فى قريب من هذه الواقعة : إنى أوصيكم أن تستنوا بسنة الثعلب الممنو بالذبان . قيل له : وما فعل ذلك الثعلب ؟ قال : بينا ثعلب يعبر نهراً من الأنهار إلى العُبْر الآخر، إذ اكتنفته القنصة ، وحصل فى حومة الطلب ، فلم ير لنفسه مخلصا غير الانقذاف فى وهدة غائرة انقذافا أثخنه . وكلما راود الخروج منه ، أعجزه ، فلم ير إلا الاستسلام . وهو فى ذلك إذ جهدته الذبان

(١) الترأس : التراوس ب ، م، سا : التوابين ه : الراوس س || (يحرم) المصارعة : المصارخ س (٢) وأعقب : فاعقب ب || أمرا : سقطت من د ، ه || اختلق : اخلق س : اختلف ه || به : سقطت من س (٣) يضير : نضرّس : يصير م ، ه : نصرب ، د، ن ، سا || فتقل : فينقل د، ه (٤) فكضرب : فضرب سا || التيقظ : السقص ب || يذعنوا : يذعنون ه (٥) بتخليصهم : تخليصهم س ، سا (٦) الى : سقطت من ه (٧) الأيل : الايل س ، ه ، سا || نغصه : بغضه ه || انسان : القسال د : الفتيان ه (٨) هذا الأيل : هذه الابل س : هذا الابل ه ، سا || الاجابة : بالاجابة د ، ه (٩) بتمطيته : بتمطية س (١٠) الايل : الابل س ، ه ، سا (١٢) الممنو : سقطت من ب ، سا || بالذبان : سقطت من س || له : سقطت من د، ه || ذلك : سقطت من ن ، د ا (١٣) العبر : المعبر ه || إذ : فقد س : + فد سا || اكتنفته : اكتنفه د || وحصل : حصل سا (١٤) مخلصا : سقطت من س || الانقذاف : الاهذن د || انقذافا : و إنقذافا م || وكلما : ولما د ، ه : كلما سا (١٥) منه : عنه س || وهو : وهى م || جهدته : جهد به س ، سا

محتوشة إياه . وإذا فى جواره قنفذ يشاهد ما به من الغربة والحيرة ولذع الذبان وانحلال القوة ، فقال له : هل لك ، يا أبا الحصين ، فى أن أذب عنك ؟ فقال : كلا . ولا سبيل لك إلى ذلك ، وإنه لمن الشفقة الضائرة ، ومن البر العاق . فقال له القنفذ : ولم ذلك ؟ قال : اعلم أن هؤلاء الذبان قد شغلت المكان فلا موقع لغيرهم من بدنى ، وقد امتصت رِيها من دمى ، فهى الآن هادئة . فإن ذبت ، خلفها جماعة أخرى غراث ، كَلْبَى ، تنزف بقية دمى .

وأكثر ما ينتفع بهذه الأمثال فى المشورة ، حين ما يعز وجود جزئيات مشاكلة ، فتخترع؛ فإن اختراعها يسير . لكن موقع الموجود المشهود به آكد . واعتبار الجزئيات الموجودات من أبواب مبادئ الفلسفة ، إذ التجربة ، كما علمت ، من أجلِّ أصولها ، فكيف فى البحوث الضعيفة . والفزع إلى المثال إنما يقع عند عوز التفكير ، فإن التفكير أولى أن يوقع التصديق . وأما إذا أورد المثال لا على أنه المقنع نفسه ، بل على أنه شاهد لضمير مصنوع ، أو مصحح لمقدمة كبرى فى الضمير ، على ما تحققته قبل ، فإنه يكون فى أول القسمين نافعا ، وفى الثانى ضروريا . وتكون منزلة المثال فى تثبيت الكلى منزلة الاستقراء . وإن كان الاستقراء غير أهل للخطابة ولا مناسب إلا فى أحوال نادرة . فإذا قدم الخطيب الضمير ، ثم أيده بالشاهد ، على أنه نافع أو ضرورى ، كان قد تم الإقناع . فإن

(١) بجواره : جوازه د || الغربة والحيرة و : سقطت من سا || الغربة : العدبة هـ || لذع : لسع د ، هـ (٢) هل لك : سقطت من س || عنك : + الذباب م ، ن ، د ا (٣) كلا و : كلام سا || الضائرة : الضارة س (٤) هؤلاء : + الذين د (٥) من (بدنى) : غير سا (٦) أخرى : أخرس || غراث : غراب ب : عدار د ، هـ || كلبى : سقطت من سا (٨) يسير : شهادة ب || آكد : أوكد د ، هـ (٩) الموجودات : الموجوديات ب ، س ، سا || إذ : إلى م ، ن ، د ا || علمت : + بحثل ب : بحيل هـ : بحل د ، م ، ن : اجل س ، د ا : احل سا (١١) عوز : عدد د ، هـ || أن : بأن س || يوقع : سقطت من م (١٢) مصحح : محقق م || لمقدمة : المقدمة م (١٣) فى الضمير على ما تحققته قبل : سقطت من س ، سا . || يكون : + عند عوز التفكير فان التفكير م || فى : سقطت من م (١٤) الكلى : الكل د ، هـ (١٥) أهل : اهلى سا

الشاهد مقنع. لكنه إذا سبق فادعى، ولو مقرونا بالضمير، فاستنكر دعواه بديا، لم يكد يسلم له إلا شهادات كثيرة. فأما إذا أورد المثـال أولاً واعتمده، ثم أورد الدعوى بعده، فتكون الدعوى قد صادف الاستعداد من الأنفس لقبوله ولم ترد عليها بغتة فيتنبه لإنكارها . وقد يقبل المثـال الواحد قبول الشاهد الواحد ، إذا كان ثقة . وهذا الإعداد مثل الإعداد بحذف الكبرى أيضا ، فإن التصريح بها ينبه على العناد . فالغرض فى هـذا أن الضمير إذا كان محوجا إلى تصحيحه بالمثال ، فلأن يبتدئ بالمثال أولى من أن يبتدئ بالضمير. وأما إذا كان المثال للاستظهار ، فلا بأس فى تقديمه أو تأخيره . هكذا ينبغى أن يفهم هذا الموضع .

وأما الرأى فإنه قضية كلية ، لا جزئية ، وهى فى أمور عملية ، ومن جهة ما يؤثر أو يجتنب . والتفكير الرأيى قريب من المستنتجة التـامة . ونتائج الآراء ، إذا أخذت بانفرادها ، هى أيضا آراء ، كما أن مقدماتها آراء ، لكنها إنمـا تكون تفكيرا إقناعيا ، إذا قرنت بها العلة ، مثل قولنا : إن معرفة الأحداث بالحكمة فضول . فهو رأى ، ونتيجة رأى . وهو أنهم حينئذ يكونون مدخرين ما لا ينتفعون به . لكنه إذا أخذ الرأى الذى هو نتيجة وحده ، لم ينتفع به ، لأنه لا ينفع ، إذ ليس مقبولا بنفسه ، إذ القبول يناله بعـد قبول مقدمة ، هى علة قبوله ، فينبغى أن يقرن ذلك به ، فينتج ، ثم تستعمل النتيجة ، فيكون الضمير

---

(٢) واعتمده : واعتمد س (٣) صادف : صادفت د ، ه || ترد : يزد ب ، د (٤) لانكارها لانكاره د ، ه || يقبل : قبل د || قبول الشاهد الواحد : سقطت من ن ، د ا (٥) مثل الإعداد : سقطت من م ، د ا ، ن (٧) فلأن يبتدىء بالمثال : سقطت من ه || يبتدئ : سداء س || يبتدئ : سدا س : يبتداء م (٨) هكذا : فهكذا ب (٩) عملية : علمية م || ومن جهة : من جهة د ، ه (١٠) أو : و م || الرأيى : راى س || المستنتجة : المستحسنة س : السلجسه م : المسلحسة سا (١٢) تفكيرا : تغلبا م || قرنت : قرن د ، ه (١٤) الذى : سقطت من م || لم : ولم م : : لا س (١٥) ينفع : ينتفع ن ، د ا : يقنع د ، ه || يناله س : مثاله ب ، م ، ه ، سا : مناله د ، ن || هى : هو س ، سا ا || علة : علية د (١٦) الضمير : + المقنع سا

جميع ذلك القول. ويجب لذلك أن تكون أنواع الرأى أربعة: رأى لا يحتاج إلى قرن كلام به لظهوره فى نفسه، ورأى لا يحتاج إلى ذلك لظهوره عند المخاطب أو عند أهل البصر، ورأى يحتاج أن يقرن بكلام آخر ليؤدى إلى المطلوب. وهذا على قسمين: لأنه إما أن يكون ذلك الكلام هو نتيجة عنه، أو يكون منتجا إياه. فإن كان نتيجة عنه، كان هو بالحقيقة ليس ضميرا على المطلوب، بل جزءاً من الضمير، كأنه جزء قياس مركب. وإن كان يحتاج إلى ما ينتجه، فيكون هو الضمير القريب، وليس جزءاً من الضمير البتة. فإن القياس القريب ليس كالبعيد. فإن البعيد ينتج على أنه جزء قول مفلح، والقريب ينتج الشىء بذاته، لا على أنه جزء شىء. وعلى هذا ينبغى أن يفهم هذا الموضع.

وقد خبرناك أن الخطابة تشاكل الجدل فى الموضوعات والمبادئ، وتشاركه فى أشياء، فينبغى أن تأخذ الآراء الخطبية آراء مختارة مقبولة عند إنسان إنسان ممن تخاطبه، أو عند إنسان من الأئمة، أو مما يظن مقبولا مما هو فى الأمور الممكنة المتعلقة بالزمان، لا المظنونة التى فى الأمور الدائمة، فإن ذلك للجدل. وإذا كان هذا محصلا عندك، أمكنك أن تستنبط منه الحجج والضمائر. ولسنا نوجب عليك أن تضبط أموراً غير متناهية من الموجودات بحسب شخص شخص فى أمر أمر جزئى. فإن ما لا يتناهى لا يوجد، فكيف يحصر ويضبط؟! بل أن تصنف الأحكام الكلية الموجودة المحصورة المتعلقة بالأجناس الثلثة للخطابة، وتجتهد أن

(٢) ورأى... لظهوره: سقطت من سا (٣) يحتاج: + إلى ب || بكلام: كلام د: سقطت من ه (٤) الكلام: الكل او سا (٥) نتيجة: + فيكون هو الضمير القريب م || عنه كان هو بالحقيقة ليس ضميرا على المطلوب: سقطت من م || بل: وليس م (٦) كأنه: فإنه م || ما ينتجه: نتيجة م (٧) الضمير البتة: ضمير البتة د، ه || ينتج: نفلح سا (٨) مفلح: نفلح د ا: منتج س (٩) الموضع: الموضوع سا (١٠) تشاكل: يسارك س، سا (١١) الخطبية: الخطيبية د || مختارة: مخاحه س (١٢) ممن: مما س || مقبولا: مقبوله س (١٣) المتعلقة: المتكلفة د؛ ه || المظنونة: + المظنونة م: مظنونة المظنونة س (١٤) الحجج: الحج د (١٥) أمر: سقطت من م (١٧) المحصورة: المنحصرة م

تخصصها ما قدرت . فإن الأحكام التى هى أخص ، أشد نفعا ، وأقرب إلى الباب ، وأليق به . وكذلك إذا أخذت تستعملها فى الجزئيات ، فتلطف فى تخصيصها تلطفا آخر ، حتى تكاد تطابق ذلك الشخص المتكلم فيه وحده . مثال ذلك فى المدح : إذا كان عندك مقدمة مناسبة للمدح ، كقولك : الإلٰهى هو الذى يكاد أن تكون فيه قوة إلٰهية ، فإن هذا من المديح البالغ جدا . لكنك إذا مدحت واحداً من الفضلاء بهذا ، فقد مدحته بما يعمه وغيره من الذين يجرون مجراه . فإن خصصت وزعمت أنه الذى فعل الأمر الإلٰهى الفلانى ، فنفر بفلان ، وأنقذ فلانا من ورطة ، كان هذا بالمدح أليق ، وإلى الإقناع أقرب . فإنك إذا قلت : إن فلانا إلٰهى ، لم تقنع بذلك ، ما لم تدل على جزئى من الأمور به يصير مثله إلٰهيا . هكذا ينبغى أن يفهم أيضا هذا الفصل .

ومن الآراء التى تحتاج أن يقرن بها قول آخر حتى تتروج وتستمر وتقبل ما يكون انفراده غير مقتصر به على أن يجهل ، ولا يتسارع إلى قبوله فقط ، بل يكون معرضا إياه أيضا للشنعة . فما لم يقرن به القول الآخر ، لم يتعرض للإحماد . ولا نشك فى أن الأولى فى مثله ، على ما ذكرناه من غيره ، أن تقدم تلك القرينة به عليه ، مثل قول القائل : قد ينبغى لمثلى أن لا يتأدب . فإن هذا إذا ذكر وحده ، استشنع . فإذا قدم عليه ، فقيل : ينبغى لمثلى من الراغبين فى أن يأمن غوائل الحساد أن لا يتأدب ، فحينئذ ربما أقنع . وأما المجهول الذى لا تعرف شناعته ولا حمده ، فلا بأس

(٢) اليق : الو د || فتلطف : تلطف د : فيلطف س (٣) فى : سقطت من ب ، سا
(٤) مثال : ومثال س (٥) هو الذى : والذى س ، سا || المديح : المدح م (٦) مدحته : مرحته س || الذين : الدى س (٧) وزعمت : فزعمت د ، ه (٩) فانك إذا قلت : ... بذلك : سقطت من ب (١٠) هكذا : هكذى س || هذا : سقطت من م (١١) ومن الآراء : من الاراى س || تتروج : تروج د ، س ، ه ، سا (١٢) مقتصر : مقصر د ، ه || يجهل : يحل ه : يحتمل م : يجعلن ، د ، ا || لا : سقطت من س || تتسارع : يسارع د ، ه (١٣–١٤) إياه أيضا ... الأولى : سقطت من د (١٣) أيضا : سقطت من س || للشنعة : على سبعة ه || يقرن : يقترن ه
(١٤) ذكرناه : ذكرنا س ، سا || غيره : غير ه (١٥) قد : وقد م

أن تقرن العلة به مقدمة ، أو مؤخرة . وربما كانت العلة فى أمثال هذه ليست رأيا ، بل رمزا شعريا ، وكلاما مخيلا ، فيروج ، مثل قول القائل : إياكم أن تكونوا شتامين ، فتؤذوا خطاطيف الأرض . وعنى بخطاطيف الأرض الناس الضعفاء، الكافى الأذى، المستنيمين إلى الشنعة والوتوعة ، عندما يخرجهم أمر .

وليس كل الناس يليق به استعمال الكلام الرأيى واختراع ضرب الأمثال ، بل إنما يليق ذلك بالمشايخ ، لأنهم الموموقون بعين التمييز ؛ فتكون أحكامهم الكلية متلقاة بالإذعان ، وهم المظنون بهم كثرة التجارب ؛ فتكون أمثالهم التى يضربونها معدودة فى الكائن . فإن تكلف الغُمْر الذى لم يجرب لضرب الأمثال ، وإيراد الشواهد من الأحوال ، فهو شروع منه فيما لا يعنى ، وإساءة الأدب .

فالرأى إنما يوجد كليا ، ويعبر عنه مهملا . وربما اشترط فيه الأمر الأكثر ، وربما اقتصر على الكثير . فتارة يقال : إن كذا كذا ، إيهاما للكلية ؛ وتارة يقال : أكثر كذا كذا ؛ وتارة يقال : كثيراً ما كان من كذا كذا . وهذا مما يقنع بالتكلف ، والاستكراه . وكذلك فى العلامات . وينبغى أيضا أن نورد فى الرأى ما كان الجمهور يرونه مما أجمعوا عليه لسنة ، أو عادة ، وإن لم يكن من الذائعات المطلقة . وذلك مثل استعمالنا فى شريعتنا : أن المتعة ظلم ، وأن قذف

---

(٢) مخيلا : محال د : جميلا د ا || القائل : العاملين س (٣) وعنى : وعنا ب ، م : + وعنى د (٤) الوتوعة : العورة د ، ه || يخرجهم : يخزعهم د ، ه (٥) الناس : انسان د ، س ، ه || به استعمال : باستعمال ب ، ن ، د ا ، سا || الرأيى : الذاتى سا (٦) بعين : بغير م ، ن ، د ا || التمييز : المتميز د : المميزة ه : التميز س (٧) الكلية : كلية م || متلقاة : ملتقاة م || وهم : فهم ب || بهم : + من م (٨) الضرب : الغرس : الغير د ، م ، ه ، سا || يجرب : + الأمور م ، د ا || لضرب : ضرب ب ، د ، ه ، سا (٩) الأدب : للأدب س (١٠) كليا : كلها م || الأكثر : الأكثرى م : الاكبر د ا (١١) كذا كذا : كذا كذى س (١٢) من كذا كذا : من كذا وكذا س || وهذا : ولهذا د ، ه (١٣) يقنع : لا يقنع م ، ن ، د ا (١٤) يرونه : دونه د || مما : وما ب ، ن ، د ا : ما منا

المحصنات يوجب حد ثمانين. فإن أحكام الشرائع آراء جليلة . وينبغى أن نورد أيضا الأمثال المقبولة السائرة على أنها أحكام كلية . وهى مع قبولها عند الجمهور ليس يجب أن تكون محمودة بالحقيقة ، كقولهم : الكلاب على البقر ؛ وقولهم : إذا عز أخوك فهن ؛ وقولهم : ول حارها من تولى قارها . فإنها محمودات فى بادى الرأى . كذلك ينبغى أن يفهم هذا الموضع .

وينبغى أن تستعمل الآراء التى فى غاية الفشو ، حتى يجتمع فيها أن تكون آراء وأمثالا ، مثل قولهم : اعرف ذاتك . وهذه من الآراء التى تصلح للأضداد . إذ هذا يصلح للمدح والذم . وكذلك : لو عرفت خلقك ، لما استعظمت هذا منك . فإن هذا أيضا يصلح للأضداد . إذ هذا يصلح للشكاية والإشكاء . وبعض هذه تكون فاعلة فى النفس انفعالات ، كما تقول للمشتعل غضبا عن شىء بلغه : إن أمثال هذه السعايات ، بقدر علمى ، لكاذبة . فإن هذا ربما أهدأ غيظه ؛ وكما تقول : طوبى لمن عرف قدر نفسه ، فلم ينتصب لقيادة الجيوش . فإن هذا يسخط من انتصب لها . فهذه من جملة مايؤثر انفعالات . وقد تكون أقوال رأيية أخرى خلقيةً ، كقولهم : ليس ينبغى أن يحب المرء بقدر ما يبغض ، بل أن تكون محبته للحبيب أكثر من بغضه للبغيض . وينبغى أن يجتهد فى كل موضع حتى يكون اللفظ المعبر به مطابقا لِكُنْه مافى الضمير . فإن قصر اللفظ عن مطابقة المعنى ، ولم يخرج خروجا مغنيا عن الشرح ، فعليه معاودة الشرح . كذا ينبغى أن يفهم هذا الموضع .

---

(١) ثمانين : ثمنين ب ، م || جليلة : كلية د ، هـ (٢) المقبولة : المقبول ب (٤) ول : ولى د ، هـ (٧) أمثالا : امثال د ، دا (٨) (إذ) هذا : هذه م || منك : سقطت من م (٩) فان هذا : + فان هذا م | أيضا : سقطت من سا (١٠) النفس : الأنفس د ، هـ || انفعالات : + للانفعالات فى الانفس م || للمشتعل : للمشتغل م || إن : سقطت من س (١١) لكاذبة : الكاذبة د ، هـ || أهدأ : هذا د : سقطت من هـ (١٢) يسخط : سخط سا || من : لمن د ، هـ (١٣) انفعالات : الانفعالات م (١٤) بقدر : بعد د (١٥) حتى : + حتى م (١٧) مغنيا : معنيا د || كذا : هكذى س

مثلا ، ليس ينبغى أن يقول: أحب ، لا كما تبغض، ويسكت ، فإن هذا غير شارح ، بل يقول : إنه ينبغى أن يحب الحبيب ، لا بقدر ما يبغض البغيض ، كما قال قوم ، ولكن يجب أن يكون آكد المحبة ، دائمها . ثم يعطى العلة ، فيقول : أما المساواة بين الحب والبغض فهو طريقة الغدار الذى لا يثبت على العهد ، والمكار الذى لا يصح عنده انعقاد الميثاق . أو يقول على وجه آخر : ينبغى أن تشتد محبة الحبيب ، كما ينبغى أن يشتد بغض الشرير . وهـذا أيضا إيراد للعلة فى المقابلة .

ولإيراد الكلام الرأيى منـافع عند السامعين : منها ما يتعلق بثقل فهمهم وبلادتهم؛ فإنهم إذا كانت عندهم جزئيات مجربة تحت حكم، وقصروا عن رفعه إلى حكم عام ، فأورد عليهم الحكم العامى، طالعوا دفعة جميع جزئياتهم، وفرحوا بذلك كأنهم أصابوا حاجتهم . وربما كان القول الكلى غير محمود ، لكنه إذا وقع مطابقا لجزئيات أهمتهم ، حمدوه وقبلوه فى الوقت ؛ كالمتأذى بعدة جيران فساق أو بأولاد عقاق إذا سمع قول القائل: الجيران شر الخليقة، وقول : لاخير فى اتخاذ الأولاد، فرح جدا بذلك، وتلقاه بالتصديق، وقنع به . فلذلك ينبغى أن يكون المتكلم بصيرا بحال السامع والحاكم، وإلى نحو حاجته بالقول الكلى. ومن منافع الرأى أن يجعل الكلام خلقيا، أى حكميا فى الأخلاق. وهذا مما يفخم به الكلام، ويصير قائله كالسّان والشارع ، ويلتذ بمثله من الخطباء والمخاطبين .

---

(١) ليس : سقطت من سا (٣) آكد : اكيد س ، سا (٤) أما : وأما س ، سا || بين : من سا || الغدار : الغرار س : الغدر هـ || على : عند ب ، ن ، د ا ، سا (٥) عنده : عند س (٦) محبة : سقطت من د || ينبغى أن : سقطت من سا (٧) للعلة : العلة م ، د ا ، ن (٨) الرأيى س : الراى ب، د، م، ن، هـ، سا (٩) رفعه : رفعها م ، ن ، د ا (١٠) طالعوا : طالوا د (١١) أصابوا : أصابهم م (١٢) كالمتأذى : كالمتعدى هـ : كالمبادى ن (١٣) وقوله : أو قوله د ، م ، هـ (١٤) قنع : فرح ب، م، ن ، د ا ، سا (١٦) خلقيا : خليقا م (١٧) ويلتذ : يلتذ د

فصل [الفصل السابع]

فى الفرق بين المقدمات الجدلية والخطابية وفى إعطاء أنواع نافعة فى التصديقات بأصنافها

الفرق بين المقدمات المستعملة فى الضمائر والمستعملة فى الجدل أن الجدلية قد تستعمل فيها المقدمات البعيدة عن المطلوب ، ليتدرج بها إلى المطلوب بأوساط متتالية ، وتستعمل فيها المقدمات التى هى متعالية الشهرة حقيقيتها ، وتستعمل فيها المقدمات التى لا ظن للجمهور فيها ، إذا كانت منتجة عن مقدمات مشهورة . وأما الخطابة فلا يجوز أن تستعمل فيها المقدمات البعيدة جدا ، كما علمت ، ولا الشرط فيها أن تستعمل المشهورات الحقيقية فقط ، فيوهم أن المتكلم يتعلق بالحقائق ، ويخرج عن طريق العامية والخطابية . ولا تستعمل فيها أيضا المقدمات البعيدة عن ظنون الجمهور ، بل إنما تستعمل فيها مقدمات ليست حاضرة الأذهان بالفعل حضور كون الشمس مشرقة ، ولا غائبة عنها ، حتى إذا ذكرت ، قعدت الأذهان عن الحكم فيها بوجه ، بل هى التى عندما تذكر ، ينقدح فيها ظن ، سواء انقدح منها ذلك ، إذا ذكرت مفردة ، أو ذكرت

---

(١) فصل : فصل ٧ ه : فصل رَب : الفصل السابع س : الفصل السادس م ، د ا (٢) الفرق : الفرقان ب ، س ، م ، سا (٤) الفرق... الجدل : سقطت من ه || المقدمات : + الجدلية والخطابية وفى إعطاء أنواع نافعة فى التصديقات بأصنافها د (٦) وتستعمل ... حقيقيتها : سقطت من ب ، م || المقدمات : مقدمات س || التى : سقطت من س || متعالية : متعاليه سا || حقيقيتها : حقيقها د ، ه (٩) فيوهم : موهم د. (١٠) والخطابية : والخطابة ب || ولا : لا ب ، س ، سا (١١) مقدمات : مقامات د (١٢) الأذهان : للأذهان ب || لا : سقطت من د (١٣) قعدت : قعدة ه : بعدت د (١٤) تذكر : يذكر م ، سا || ظن : سوء ظن م : سقطت من د || سواء : سرا د : + فعلت ذلك وإذا ما يدل يتقدم فيها ظن م || منها : فيها م

مع قرينة ، وعلى نحو ما علمت . وهذا مثل قولهم : بئس الشيء الطمع . فإن المعلومة جدا ذكرها كالفضل ، والمجهولة جملة ذكرها كالإغراب ، والخروج عن العادة . وأما المناسب لطباع العامة فما لا يجهل ، ولا يكون أيضا كالمعلوم والفضل . والشيء المجهول منفور عنه ، غير مجانس . ولذلك ما يكون الرجل القليل الأدب أفكه فى المجالس من الأديب . وذلك لأن الأديب كالغريب ، وكما لا يجانس ؛ وهـذا أقرب إلى المجانسة . وهو أيضا أسرع إلى التصديق والقبول والارتياح لمـا يسمع من الأديب الذى لا يفيده السماع إلا ما علمه سالفا . فيكون مثل هـذا الإنسان أسر فى المجالس لمـا يسمع ويُسمع . فمنهم من يتكلم بالظاهرات جدا عند الكل ؛ ومنهم من يتكلم بأمور هى عندهم معروفة . فإذا تكلم بالظاهرات أوردها على أنها فوائد وقوانين مضبوطة ، ففرح من جهة ما يفيد ، فأمعن فى النشاط . وإذا أورد ما هو عنده مشهور ، وليس من المعلوم جدا ، ولكن بيّن حمله ، وكان من القريبـة لا من البعيدة ، وعلى ما ذكرنا فى ابتداء الفصل ، فاستمر إلى فهمها السامعون ، ففرحوا بها . وأما الأديب ، فإنه يورد الغرائب ، وذلك مما تشمئز عنه الأنفس . والأحب إلىَّ أن يفهم هذا الفصل هكذا .

فيبين من هـذا أن الكلام الخطبي ينبغي أن لا يكون كله ما يرى ويظن من المشهورات جدا ، بل من أمور محمودة ، إذا قبلت ، تكون كأنها

(١) نحو : سقطت من د ، هـ (٢) المعلومة : المعلوم س || والمجهولة : المجهولة م : والمجهول س || كالاغراب : عن الأعراب سا (٣) وأما : فأما ب : وهـ : سقطت من د || لطباع : لطبايع م : اطباع هـ || فما : بما د ، هـ || كالمعلوم : كالعلوم د ، هـ (٤) والفضل : سقطت من سا || مجانس : مجالس سا || ولذلك : وكذلك م (٥) لأن : ان م (٦) وهذا : هذا م (٨) أسر : أسرع ن ، هـ : آنس س || ويُسمع : ويستمع د ، هـ (١١) المعلوم : العلوم د || جدا : سقطت من ن ، دا (١٢) بين حمله : بين من حمله ب ، ن ، دا ، سا : من جملة م : بين حمده د ، هـ (١٣) فاستمر : واستمر هـ : استمر د || فهمها : فهمهما م || ففرحوا : فرحوا م (١٤) الغرائب : الغراب م || وذلك : سقطت من ب (١٥) فيبين : فبين م : فتبين هـ || الخطبي : الخطابي م ، ن ، دا : الخطيبي د ، هـ || ما : كما ب ، د ، هـ || يرى ويظن : يظن ويرى س (١٦) قبلت : قيلت س ، سا

أصول ، وكأنها مذكرات يلتذ بهـا ، فتكون من الجنس الذى علم بالعلامات المعلومة أن الحكام يقبلونه . ويجب أن يقرن بها دعوى أنها ظاهرة بينة للكل والأكثر . فإن ذلك ، وإن لم يكن بالحقيقة كذلك ، فلا يبعـد أن يزيد القول توكيدا . فإنه ليس واجبا لا محالة أن يؤتى بالاضطراريات ، بل والأكثريات نافعة لهم . فليأخذوها مأخذ الاضطراريات . هكذا فافهم هذا الموضع .

والمتصدى للكلام فى جنس من الأجناس مع مخاطب من المخاطبين ، ينبغى أن يكون بصـيرا بذلك الجنس من الأمر وبالأحوال التى عرضت للجزئى الذى يتكلم فيه ، كما مثلنا فى المشورة فى الجزئيات وغيرها ، وخصوصا ذكر مشورة حروب فى بلاد مخصوصة . فإنه إن لم يعـلم مآثر إنسان ما وأفعاله الكريمة ، لم يمكنه أن يمدحه . وإن لم يعلم فضائحه ، لم يمكنه أن يذمه . ولهـذا أشار رسول الله صلى الله عليه على حسان بن ثابت أن يحضر أبا بكر الصديق فيسمع منه مساوئ أبى سفين وعشيرته ، ثم يقول الشعر فيه . وكذلك الحال فى المشاجرات ، وفى كل باب .

واعلم أن الحكم فى الخطابة كالحكم فى الجدل فى أن أصوب الصـواب له التقدم بإعداد مواضع نحو كل إثبات وإبطال على جهة محدودة قريب

---

(١) أصول : ضوال س ، سا || تلتذ : فيلتذ د ، هـ (٢) بها : به ب ، س (٣) والأكثر : والأكبر م ، هـ : وللاكبر د || بالحقيقة : بالحقيقية د (٤) توكيدا : ناكدا س || يؤتى : يأتوا س (٤ — ٥) بل والأكثريات ... الاضطراريات : سقطت من س (٤) والأكثريات : الاكثريات م (٦) من : سقطت من م (٨) ذكر : فى ذكر س ، م (٩) فانه : بانه م ، سا || ما : سقطت من د ، هـ (١٠) يمدحه : تمدح س ، سا || وإن : أو إن س (١١) عليه : + وعلى آله ب ، سا : + وسلم د ، س ، م ، هـ || على : سقطت من س || بن : ابن س || الصديق : + رضى الله عنه ب ، م ، ن || فيسمع : فيستمع د ، هـ (١٢) ابى : أبا م (١٤) أصوب : اصواب س (١٥) له التقدم : التقدم له د ، هـ : له التقديم س || وابطال : وكل ابطال د ، س ، هـ

من الأمر. فحال الخطابى فى هذا هو حال الجدلى. وكما قد بينا هناك أن الموضع الأقرب، والأشد مناسبة للأمر أحرى بالاستعمال، وكذلك فإن النوع الأقرب والأخص بالغرض أولى فى الخطابة بالاستعمال، فيجب لامحالة أن تهيأ فيها المواضع والأنواع، فإنها اسطقسات وأصول العمل .

وكل تفكير، فاما تثبيت تد يشبه القيـاس المستقيم، وإما توبيخ قد يشبه الخلف . والتثبيت قد يؤلف من مقدمات يقر بها، والتوبيخ من المجحودات المستشنعة، وذلك فى أى شأن كان التفكير : فى مشاورة، أو منافرة، أو مشاجرة، أو كان فى الانفعاليات والخلقيات .

فلنذكر هذه، ولننتقل عنها إلى ذكر المناقضات و المقاومات :

فنوع من ذلك نقل الحكم من الضد على ما علمت . وربما جحد، لأنه غير ضرورى . ونوع من النظائر والأشباه . ونوع من المتضايفات، مثل أنه : إن كان فعل هذا حسنا، فانفعال ذلك حسن. وربما يغالط فى هذا مغالط، فيزيل الشرط، كمن يقول : إن كان عدلا بالقاتل أن يقتل، فعدل فى أن أقتله . فإن القاتل، وإن كان عدلا به أن يقتل، فليس مطلقا، بل بشرط أن يقتل بذى قاتل محدود، لا بذى كل قاتل . فيجب أن يراعى الاستقامة والتعادل فى المضاف، فلا يوجد عند أحد المضافين إلا ما يعادله، دون أى شىء اتفق. وأن تكون الإضافة من جهة واحدة. فلا يبعد أن يكون للمضاف الثانى إلى الأول إضافة ما، غير الإضافة التى فيها الكلام. مثلا: أن يكون صديقا، وأن يكون شريكا. فإذا أخذ من حيث

(١) هو : هى م || قد : سقطت من س (١—٢) ان الموضع ... أحرى : سقطت من د، ه
(٣) بالاستعمال : + وكذلك س || محالة : + فى س، م (٤) اسطقسات : استقصات د، س، ه، سا (٦) قد : سقطت من د، س، سا || يقر : مقرسا || المجحودات : المحمودات الى م (٧) شأن : شىء د، س، ه || التفكير: سقطت من ب، م، ن : + كان د، ه، سا
(٨) الانفعاليات : الانفعالات د (١١) الاشباه : الاشتباه م (١٢) ذلك : كذلك د
(١٣) فى : بى سا (١٥) بذى : برى سا

الآخر صديق ، لا ينبغي أن يؤخذ هذا من حيث هو شريك . فربما كان لكل إضافةٍ حكم آخر . وربما كان الحكمان متضادين : مثل أن يكون هذا شريك ذلك ، وذلك ظالم هذا . فيكون ، مثلا ، حكم الشركة يقتضى ضد حكم الظلم . وهما إضافتان بينهما لاغير . ونوع من الأقل والأكثر ، على الوجوه التي علمتها . ونوع جزئي جدا مأخوذ من التقديم والتأخير الزماني ، مثل أن يقول : إن فعلت كذا وكذا ، فيلزمني أن أفعل كذا . فربما كان مايسئله خارجا عن وسعه ، فلا يلزمه أن يجيبه إلى ملتمسه . أو مثل أن يقول له : إن الفاضل والقدير من يفعل كذا وكذا . فهلم ، فافعل . فإن هذا فى قوة قياس موهم أن القائل يقدر على أمر يعجز عنه المخاطب . أو يقول لآخر : بئس الرجل أنت ، إذا فعلت كذا وكذا . يوهمه أنه برىء الساحة عن هذه المذمة . وربما أوهم القائل المخاطب بمثل هذا أنه برىء الساحة عما يريد المخاطب أن يشكوه عليه . ونِعْمَ ما قال القائل : إن التجنى بلا جناية من هذا النمط . ومن هذا الجنس أيضا التقصير فى الشروط عند العهود ، والتقصير فى تفصيل الألفاظ وتجريدها عن التأويلات . فإن المكار يتقدم فيجعل العهود ذوات تأويل . وهذه نوافع فى التوبيخ حيث يقول : لو فعلت كذا ، لفعلت كذا . أو يقول : إنك لم تفعل كذا الواجب عليك ، وهذا قبيح منك . ونوع من قبل اعتبار الحد ، وإن لم يكن الحد حقيقيا ،

---

(١) صديق : صديقه م || شريك : شريك ذلك د ، م (٣) ضد : سقطت من سا (٤) نوع : + اخر س || علمتها : علمتهما م (٥) مأخوذ : سقطت من س (٦) فعلت : فعل سا || فيلزمنى : فلزمنى م || فربما : وربما د ، ه || يسئله : يسأله س (٧) ، له : سقطت من د ، س ، ه (٨) يفعل : نفعله م || أن : بأن د ه (٩) لآخر : الاخر س ، م || إذا : إذ ب ، م (١٠) كذا وكذا : كذا كذا م (١١) يشكوه : يشكره م : يشكوا د : يشكو ه || نعم : يعم س (١٢) التجنى : لتجنى د || الجنس : + عما يريد المخاطب ان يشكره عليه ونعم ما قال القائل ... الجنس م || النمط ومن هذا : سقطت من س (١٤) المكار : المكان سا || وهذه : وهذا س || نوافع : نافعة د ، ه (١٥) أو يقول : ويقول س (١٦) نوع : سقطت من م

بل مظنونا ، كقول القائل : إن كان الملك حقيقته أنه إلهى ، وخلق قريب من الله ، فإن الله على كل حال موجود . ومثل قولهم : فلان لم يسم فاضلا إلى أن شجع ؛ فإذاً الفضيلة هى الشجاعة . فالأول هو استخـــراج حكم من حد ، والثانى استخراج حد من الحكم . ونوع مأخوذ من القسمة و إبطال وجه وجه منه بحجة ، أو بتسلم . ونوع من الاعتبار و إيراد أمثلة كثيرة من الجزئيات ، مثل من يثبت إصابة الشفيق فى المشورة بِعَدّ أمثلة ، أو يثبت حقه حال العدول عن الشبيه بأمثلة . وهذا هو استقراء يستعمل فى الأمور الاختيارية فى الخطابة . ونوع آخر أن يكون ذلك الحكم بعينه قد حكم به فاضل ، أو حكم بحكم كان شبيها بذلك الحكم ، أو حكم بضد ذلك الحكم فى ضد ذلك الأمر . ونوع آخر أن ينظر فى جزئيات المحمولات فلا يجدها للوضوع ، فيسلب الحكم ، كقول القائل : إن كان زيد شجاعا ، فمتى قاتل ، وفى أى حرب بارز؟ وموضع آخر من لواحق الحكم ولوازمه ، كقولهم : لا تتأدب ، فتحسد ، أو تقول : تأدب تبجل . ونوع آخر مقارب لهذا من حيث هو من اللوازم ، مخالف له من حيث هو من لوازم المتضادين ، إذا كان يلزمها أمر عام ، و يكون بحيث لا بد من حمل أحدهما على الموضوع ، فيكون كالوسط فى إنتاج ذلك الحكم . ولهذا الموضع خاصة أخرى : وهو أن الضدين نفسهما قد يستعملان فى إيجاب نقيض ذلك الحكم . مثاله قول القائل : ينبغى أن يسكت المرء فى المحافل . فإنه إذا صدق ، أبغضه الناس ؛ و إن كذب ،

---

(١) الملك : سقطت من ه || حقيقته : حقيقة ب ، م ، سا || وخلق : أو خلق د ، ه
(٢) من : سقطت من د (٥) ونوع : أو نوع ب ، م ، ن ، سا ، دا (٦) بعد : بعده د ، س ، ه
(٧) الشبيه : السنه س (٨) به : بانه م (٩) أو حكم بضد ... الامر : أو بحكم بضد ذلك الأمر ب
|| ضد : سقطت من م (١١) آخر سقطت من م ، سا (١٣) لهذا : من هذا س (١٤) و يكون : فيكون س
(١٥) فيكون : فيكونان د ، س ، ه ، سا || ولهذا : لهذا ب (١٧) المحافل : المحالف س || فإنه : فإن م

أبغضه الله . فالناطق فى المحافل مقيت . ثم يقول: ينبغى أن يتكلم المرء فى المحافل . فإن صدق ، أحبه الله ؛ و إن كذب ، أحبه الناس . فهو على كل حال محبب . وكما يقول : عليك باتخاذ العقار ، فإنها إن أغلت ، فزت بالغلة ؛ و إن لم تغل ، أمنت بوار الأصل . وهذا يفارق الأول ، لأن الطرفين تلحقهما خصلة واحدة ، وهو الخير فقط . ونحو آخر أن يقول القائل فى إثبات شىء أو مدح شىء ، فيأتى فى الظاهر بحجة عدلية ، تقبل فى الظاهر ، و يكون فى الباطن إنما يراعى جهة أخرى وغرضا آخر ، وهو الانتفاع والملاءمة ، مثل محب اللذات ، فإنه فى ضميره يحبها لأنها ملائمة ، ولأنها لذات ؛ وأما إذا احتج لدفع المذمة عن نفسه عليها ، قال : أحبها لأنها تقوى الطبيعة ، وتشرح الصدر ، وتجلو الذهن , كما أن أصحاب الماليخوليا ينتفعون بالجماع من حيث هو مفرح . وكذلك حال بعض الصوفية فى قولهم بالشاهد ، فكأنهم يحاولون جمع الأمرين كليهما ، أحدهما فى الباطن ، والآخر فى الظاهر . وهذا الموضوع لتعجيبه شديد الإقناع . ونحو آخر من الوزن والمعادلة . أما الوزن فوضع مقابل بإزاء المقابلة . وأما المعادلة فوضع حكم بإزاء حكم . كما قال قائل عذل فى استخدام أبيه ، وكان قد بلغ الكبر ، فقال : إنكم إن كنتم تعدون الطوال من الغلمان رجالا ، فعدوا القصار

---

(١) الله : سقطت من س || المحافل : المحالف س || مقيت م ، سا : ممقت ب : ممقوت س : مقت ن ، د ا : يمت د || يتكلم : سكون د : يكون ه || المحافل : المحالف س (٣) يقول : يقال د ، ه || فانها : سقطت من سا || فزت : فرن د (٥) وهو : فهو د : وهى ن ، د ا || يقول : تكون س ، سا || مدح شىء : مدح د (٧) الملاءمة : الملامة ب : فى الملامه س (٩) الصدر : الصدور م (١٠) وكذلك : كذلك م (١١) بالشاهد : بالمشاهد د || فكأنهم : فانهم د ، ه || جمع : جميع س ، م ، ن ، د ا ، سا || كليهما : كلهما م : كلاهما س (١٢) لتعجيبه : ليعجبه م : لتفخيمه ب || ونحو : ونوع م (١٣) والمعادلة : والمقابله س (١٤) استخدام : استخدامه ب ، د ، ن ، دا ، سا (١٥) إن : سقطت من د ، س ، ه || الغلمان : العلماء د ، ه || رجالا : حالا د

من الرجال صبيانا . وكما قال قائل : إن كنتم تستقبحون طرد الضيف الخبيث، فلا تستقبحوا قرى الضيف اللبيب . والأول على قياس عكس النقيض ؛ والثانى على قياس الاستقامة . ونحو آخر من هـذا القبيل ، وهو أن يكون الحكم ثابتا على أى الوجهين أوجبت ، مثل قولهم : إن كان الإله خالقا للخير والشر ، أو خالقا للخير وحده، فالإله موجود . وكذلك سواء قلت إن الإله مكون ، أو قلت إن الله فاسد ، فذلك يرفع وجود الإله . وكذلك ما يعمل على سبيل الموازنة والاستدراج، كمن يسئل منكر العلم والفلسفة، فيقول: هل يجب أن يتفلسف ؟ فإن قال : نعم ، فقد أعطى علما ؛ وإن قال : لا ، فقد أعطى علما . فكون هذا على سبيل الاستدراج ليس معناه أنه مغالطة ، بل معنى كونه مستدرجا أنه يفتقر فيه إلى سؤال، ويخالف ما الذى يأتى به المثبت من تلقاء نفسه. وكقولهم: سواء خرجت إلى فلان من ملك أرضك، أو من ملك ملكك، فكلاهما إذعان. وهـذا وقت ما يحتج بأنه لو جمع بينهما فى تمليكهما فلانا فقد انقاد لصغار ، وإنمـا يعطيه أحدهما . وكقوله : إنك إن تكبرت من خدمة الملك ، ورأيت مخالطته مذلة ، فكذلك انحيازك إلى العـامة ، ورضاك بجرى أحكامهم عليك ، ولبسك ثوب السلامة الذى أفيض عليهم . ونحو آخر من ضدين عنـد ضدين فى وقتين يمكن أن يعكس الأمر فيهما ، كقول القائل: إنمـا كنت أقاتل لأنى

---

(١) قال : + عدل س || قائل : + عدل فى م : سقطت من س || تستقبحون : سسحون س || الخبيث : الحبيب سا : الحمف د : الحنف ه (٢) تستقبحوا : سمتحوا د : سسحوا س (٣) ونحو : ونوع م (٤ — ٥) والشر أو خالقا للخير : سقطت من س (٥) وكذلك : ولذلك م، سا (٦) الله : الاله س (٧) يسئل : سال س || العلم : العالم م || يتفلسف : سفلست س (٨) اعطى : اعطا ب، م || اعطى : اعطا ب، د : أعطى م || وان قال لا فقد اعطى علما : سقطت من ه || فكون : وكون س : فيكون م، ه : ويكون ن (٩) معنى : معناه سا (١٠) ما : سقطت من م ، ن (١١) أو من : ومن م || ملكك ن : ما يك س، م : مانك مشارك ه : مشارك ملكك ب : مشارك ما يك د : مشارك مانك سا || فكلاهما : وكلاهما س ، م ، سا (١٢) بأنه : فإنه م || تمليكهما : تمليكها م (١٣) كقوله : كقولهم س : كقولك د، ه : + لك م || انك : سقطت من م || من : سقطت من د (١٤) مخالطته : مخاطبته د، ه || فكذلك : كذلك ب ، م ، ن (١٥) الذى : الى س (١٦) فى : وفى س ، م || كقول : كقولك سا

كنت متورطا . فإن أمنت ، فلا أقاتل . ولقائل أن يقول : إنما كنت لا أقاتل ، لأنى كنت فى الورطة . والآن ، فإذا أمنت ، فأنا مقاتل . ونحو آخر ينبغى أن يفهم هكذا : وهو أنه إذا كان الضد الذى قد كان سببا لضد ، فالضد الآخر لو كان، لقد كان يكون لا محالة سببا للضد الآخر ، مثل ما يقال: إن كنت لما أعطيته سررته ، فكلما ارتجعت حزنته . وإذا كان الأمر سببا لضدين ، فيجب أن لا يخص بأحدهما ، فيقال: ليس الجَد إنما يعطى السعادة الإحسان ، بل وللغبطة ، ولأن يحسده الاشرار ويقصدوه بالشر . وقد يمكن أن يفهم الضرب الذى قبل هذا على هذا المعنى بعينه ، حتى يقول: ما أعطاه ، ليسره ، بل ليرتجعه ، فيغمه . وهذه المواضع نافعة فى الذم ، وفى كفر المنة ، والشكاية ؛ وقد تنفع أيضا فى المدح والاعتذار. ونحو آخر خاص بالمشاجرة والمشاورة ، وهو أن يكون الخطيب عمد إلى حال الشىء فتأملها ، فإذا كانت على جهة ما شكا به أو منع ؛ وإن كانت على ضدها اعتذر أو أطلق ، كمن يقول : هذا ممكن وسهل ونافع لك ولإخوانك ، فافعله ، فى المشورة ؛ أو فعلت بك ، عند الاعتذار ؛ وفى ضده : لا تفعله ، فى المشورة ؛ أو فعلت بى ، عند الشكاية .

وإما نحوٌ يتبع هذا ، وهو فى الاشتغال بالمعروف ، والقريب من المعروف فهو كالمكرر . وموضع من التوبيخ أورد غير مناسب لما يحكيه : وهو أن يأتى بما هو معلوم من مساوئ الخصم ، وإن كانت خارجة عن المسئلة ؛ ومساوئه هى الأمور القبيحة المنسوبة إليه ، أو من الأمور القبيحة التى هو مؤثر لها ،

---

(١) فلا اقاتل : بلا اقابل س (٣) الذى : + كان س ، ن (٥) فكلما : وكلما س : فكما م (٦) ليس : له س || السعادة : للسعادة ه (٧) للاحسان : للانسان ه || بل : سقطت من س || يحسده : يقصده س ، م || يقصدوه : يقصدونه د ، ه (٩) ليرتجعه : ارتجعه م (١٠) وقد : قد س || ونحو : نحو س (١١) فتاملها : ساملها س (١٢) شكا به : شكاية د ، م ، ه، سا || اعتذر : اعتذار س ، ن || كمن : فمن ب ، س، سا (١٤) بى : فى س (١٥) واما نحو : ونحو د ، ه (١٦) التوبيخ : الوبيخ م (١٧) ومساوئه : مساوئه م ، ن ، دا ، سا (١٨) المنسوبة ... القبيحة : سقطت من سا

إما من الأحوال المنسوبة إلى الدهر والزمان وهى الجَدية ، أو من الأفعال الاختيارية أو الأقوال الاختيارية ؛ أو يأتى بما هو معلوم من فضائل نفسه ، و إن كانت خارجة عن المسئلة . ونحو بإزاء توبيخ الموبخ ، بأن يقول : إنّ كذا لو كان قبيحا ، لما فعله فلان ، أو لما فعل شبيهه فلان ، أو إنه إنما فعل فلان ، لا أنا ، أو إنما كان لكذا لا لكذا ، ليحسنه على الجملة . وربما كانت المصادرة على المطلوب الأول مقنعة ، ويكون التكرير الذى فيه موقعا لتصديق الأمر بعد تكذيبه ، كقول القائل : لم زعمت أن فلانا شق العصا ، فيقول : لأنه شق العصا . وكذلك ما يجرى مجرى المصادرة ، مما قيل فى الجدل ، وذلك مثل أن يقول : فلان لا يفعل كذا ، لأنه مأمون أن يفعل كذا ، فإنه فى قوة المصادرة ؛ وإنما فعل كذا مناكدة لفلان ، لأنه أراد مغالطته . ومن الإنحاء فى التوبيخ : إنك لم فعلت هذا ، وقد كان الأحسن والأولى بك ممكنا ؟ وهذا فى قوة قياس على إنتاج القبح . وأيضا أن يقول : لو كان ما يقوله صوابا ، لفعلته . وقد يصلح للتثبيت أنه لما قال شيئا ، وفعله بنفسه ، فقد كان عنده صوابا . أو يقول الموبخ : لو كان ما يقوله صوابا عنده ، لفعله بنفسه . ويعارض هذا بأنه يجوز أن يكون لمّا فعل ما فعله ، أو لم يفعل ما لم يفعله ، كان ذلك عنده أنه صواب . وأما حين يشير بما يشير به ، فلا يؤمن أن يكون قد بدا له فى استصابته . فهذا النوع يعارض بهذا . وأيضا قد يعارض قول من قال : قلت ولم تفعل — وهو موضع يصلح للاستغشاش — بأنه ليس كل من يشير بصواب

---

(٤) فعله فلان : فعله د (٥) أو : و م ، ن || لكذا لا لكذا : لكذى لا لكذى د ، س : كذا لا لكذا م : كذا لا كذا ن (٦) مقنعة : منفعة م (٨) لأنه : انه لما س || شق : سق س (٩) مأمون : مأمور م (١٠) فعل : يفعل م ، ن ، دا (١١) لم : ما س : سقطت من ه || فعلت : تغلب ب (١٢) القبح : القبيح د ، ن ، ه ، دا (١٣) لفعلته : لفعليه سا (١٤) عنده : سقطت من س (١٥) بانه : فانه م (١٦) يشير : ستر سا || بما يشير : سقطت من س || يشير : ستر سا (١٧) استصابته : اصابته س || فهذا : فلهذا م

يجب أن يعمله . فما كل صواب يعتقد ، يعمل به المعتقد . فهو موضع يصلح لإزالة التهمة عند الاستغشاش . و يعارض من قال : إنه لما قال وفعل ، فهو صواب ، بأنه ربما فعل على غير الوجه الذى قد أشار . و يصلح للتغشيش أيضا . ونحو آخر من التوبيخ مأخوذ من الضدين : إنه إن كان يفعل كذا ، لأجل كذا ، فلم يفعل الذى يخالفه ، والذى يضاده ؟ و إن كنت لا تفعل كذا ، فلم لا تفعل كذا ؟ و بالجملة : فإن فعلك يلزم منه ضد فعلك . كما قال قائل لقوم يذبحون عن ميت أنه لحق السعادة ، وصار إلى جوار الله ، وهم مع ذلك يبكون عليه : إنكم بئس ما تفعلون . إن كان المتوفى عندكم لاحقا بدرجة السعداء ، فلم تبكون عليه ؟ و إن كان لاحقا بدرجة الأشقياء ، فلم تذبحون عنه وتقربون ؟ ونحو آخر يجب أن يفهم أنه يتمكن به المتكلم من التوبيخ لما يعرض لخصمه من الخطأ فى الاحتجاج . وذلك يعرض كثيرا . فتكون الحجة التى يحتج بها الخصم توكد عليه الإلزام . مثل المرأة المتهمة بإسقاط ولدها ، وقتله . فإنها لما قيل لها : لم فعلت ؟ فحاولت أن تدرأ عن نفسها التهمة ، قالت : ما قتلت ولدى ، ولا فلانا زوجى . فصار قولها هذا حجة للخصم يوبخ بها و يقول : إن هذه قد جعلت حكم زوجها حكم ولدها ، فهى قاتلتهما جميعا . ونحو آخر يتعلق فيه باشتقاق الاسم ، و بالاستعارة ، و بما هو منقول إليه ، كمن يقول : إنك والله جواد ، كما سميت ، وفلان ظالم ، كما سمى . وكما قال واحد لثراسوماخس الجدلى : إنك

(٤) ايضا ونحو : وأيضا نحو س || من : فى س ، م || ان : سقطت من م || كان يفعل : كنت تفعل د ، س ، ه : كان فعلك ب ، ن ، سا (٥) والذى يضاده : سقطت من د ، س ، ه ، سا (٦) كذا : سقطت من س || فإن : ان س ، م || لقوم : لقومه س (٧) ميت : + يدعون س (٨) لاحقا : لاخفاء د (١٠) أنه : + نحو س (١١) بها : به سا (١٢) عليه : عليها س : به سا || المتهمة : المتهم س (١٤) فلانا : فلان د ، ه || قولها : سقطت من سا || بها : به س (١٦) و بالاستعارة : بالاستعارة م (١٧) كما (سمى) : كمن د ، ه || لثراسوماخس : لبراسوماخس ب : لثراسواماخس س

والله لثراسوماخس ، كما سميت ، أى صخاب مشغب . وكما يقال : إن شريعة موسى كموسى ، أى حلاقة صعبة . وكما يقال : إن ملة محمد لمحمدة . والتوبيخ أنجع من التثبيت ، لأنه يضع الضدين نصب العين . والعبارة عن التوبيخ فإنها تجرى على إيجاز ، كما يقال : لو فعلت كذا ، أو كان كذا ؛ فيكون مبدؤه ينبه لآخره عن قرب . والموبخ يؤلم ، ويؤثر أثرا يستشعر فاعله معه فضل تشف ، وخصوصا إذا كان هيئة ابتدائه تنبه على آخرته . فإن سرعة التفهيم مفرح ، كما أن سرعة التفهم مفرح .

فصل [الفصل الثامن]

فى الضمائر المحرفة المقبولة فى الخطابة والمرذولة المغالطية منها وفى أصناف المقاومات

قد علمت أن استعمال الضمائر المحرفة التى ليست حقيقية قد يكون خطابيا ؛ فمنها ما تحريفه بسبب اللفظ ، كالذى يكون فيه لفظ مشترك ، وما يجرى مجراه ؛ ومنها ما تحريفه بسبب الشكل ، وهو أن لا يكون القول يلزم منه الأمر بحال ،

---

(١) لثراسوماخس : لثراسواماخس س || مشغب : ومشغب س || وكما : كما س (٢) موسى : سقطت من هـ : + عليه السلم ب || كموسى : سقطت من د || حلاقة : خلاقة د : خلافة هـ || محمد : + صلى الله عليه س || لمحمدة : كمحمد ب ، ن ، د ا (٣) التثبيت : التوبيب ب || الضدين : التصديق ب ، د ، هـ (٤) أو كان كذا د : وكان كذا هـ : لكان كذا ب ، ن : لو كان كذا م ، سا : سقطت من س (٥) ينبه : منبه ب مبينا د ، هـ || لآخره : لاخرته ب ، م ، ن ، سا || يستشعر : يستشف م (٦) ابتدائه : ابتدايته د ، م (٧) التفهم : التفهيم م ، ن ، د ا (٨) فصل : فصل ٨ هـ : فصل ح ب : الفصل الثامن س : الفصل السابع م ، د ا (١٠) منها : فيها س (١٢ — ١٣) اللفظ ، كالذى ... بسبب : سقطت من د

ولا لزوما مظنونا. لكن القائل يتجلد، وينتقل عن القول إلى النتيجة كأنه أنتجها، فيروجها . وهذا الترويج يكون بسبب فى هيئة القول ولفظـه ، متعلق باللفظ وحده أو متعلق بالمعنى مع اللفظ ، تتروج له المقدمة على أنه بدلهـا . فمن ذلك ما يكون باشتراك الاسم الصرف ، كمن يثنى على الكاب ويمدحه ، فيقول : ألا ترى الكاب الذى فى السماء يبذ سائر الكواكب نورا ؟ ومن ذلك ما يكون بسبب التركيب والتفصيل ، على ما علمت فى الفن الذى قبل هذا ، كمن يقول : فلان يعرف الحروف والهجاء ، فيعرف إذاً الشعر. وكقولهم : كيف يكون فلان قد صح ، وقد نكس إلى مرضه ؟ وكيف يكون عن شرير خير ؟ وقد يقال هذا على جهة التوبيخ ، ويقال على جهة التثبيت . ومن ذلك أن يترك الأمر ، وينتقل إلى غيره ، مثل المنكر أنه فعل شيئا اتهم به ، إذا لم تكن عنده حجة يبين بهـا أنه لم يفعـله ، فإنه يأخذ فى تقبيح من يفعل ذلك ، وتعظيم صنيعه ؛ أو الشاكى ، إذا تهيأ بهيئة محرج مغضب ، أوهم أن ذلك قد فعل به . وهذا نوع من الاحتجاج المظنون . لأن الحـاكم إذا كان كون الأمر ولا كونه مشكلا لديه ، لا يتضح له ، فعومل ما ذكرناه، اشتغل عن استثبات الحال فيه ، وانتقل إلى اعتبار ما يخاطب به ، أو يتراءى به لديه ، فلم يلبث أن يصدق . فهكذا يجب أن يفهم هـذا الموضع .

---

(١) يتجلد : يخلد د || النتيجة : + كاس س || انتجها : سحها س : سجها سا (٢) فيروجها : ويروجها د : وروجها ه : فيروجهما ب، سا || بسبب : نسبت م (٤) فيقول : سقطت من سا (٥) ترى : + أن س ، ن (٦) فى : من م (٧) (يكون) فلان : فلانا م ، ن ، د ا (٨) عن : سقطت من سا || هذا : سقطت من سا (٩) التوبيخ : السلب د ، ه (ثم كتب فوقها التوبيخ فى ه) || التثبيت : التثبت س (١٠) المنكر س : المفكر ب، د ، م ، ن ، ه، سا || يبين : بين م (١١) وتعظيم : ويعظم د || صنيعه : صيغة م (١٢) محرج : وحرج م (١٣) لأن : نان م ، ن ، د ا. (١٤) له : سقطت من د || ما : بما د، ن ، د ا ، ه (ثم كتب فوقها ما فى ه) || ذكرناه : ذكرنا ب ، سا || اشتغل : واشتغل م (١٥) يتراءى : يتراءاى د : يترااى ن (١٦) فهكذا : وهكذا ب : وهكذى س

ونحو آخر أن يأتى باللاحق . فإن هذا بالحقيقة قياس مظنون ، لأنه من الموجبتين فى الشكل الثانى .

ومن هٰهنا نعلم أن المعلم الأول لما ذكر فى كلامه المسائل المنحرف، وأنه تفكير حقيق ، لم يعن به أن المسائل من جهة وضع حدوده، والمنحرف عن الشكل المنتج فى نفسه، تفكير حقيق . فإنه ليس يراه تفكيرا حقيقيا ، بل تفكيرا مظنونا . وأنه إنما عنى بالمسائل ما حرف عن الجهة القياسية . وذلك لأن كثيرا من المقدمات يستعمل فى الخطابة ، لا على أنها مقدمات ، بل على أنها مسائل ، أو تعجبات ، أو أوامر .

ومن ذلك أن يُسلك طريق ما بالعرض ، كمن يقول : إن من الاستظهار أن يكون مع الإنسان حيث يكون درهمان ، فإن يزدجرد ، إنما هلك ، لفقده الدرهمين . ومن ذلك قوله : ينبغى أن يفهم على ما أعبر عنه . وهو موضع مبنى على اعتبار المعادلة ، أو اعتبار المباينة ، وأن يجعل للشيء حكم شيء ، لأنه نظيره ، كمن يجعل التخلى دليلا على العز ، إذ كان تخلى الاسكندر إنما هو لعزه ؛ ويجعل السرى بالليل دليلا على الزنا ، لأن الزناة كذلك يفعلون . وكذلك أيضا ، لما كان المساكين الذين لا مأوى لهم ، وإنما يسكنون الرباطات، قوما يأكلون بلا حشمة ويرقصون ؛ والهراب الشاردون أيضا ينزلون حيث شاءوا ، ويفعلون ذلك ؛ ثم الأكل والرقص والنزول حيث شاء الإنسان قد يكون كثيرا للمثرين المتنعمين ؛

(١) باللاحق : باللواحق س (٣) الأول : + انه م : سقطت من س || وأنه : فإنه د ، هـ (٤—٥) لم يعن ... تفكير حقيق : سقطت من س || (٤) من جهة : سقطت من د || والمنحرف : والمحرف د ، سا (٥) تفكيرا (مظنونا) : تفكرا م (٦) عن : على م || الجهة : بجهة ب ، ن ، دا ، سا ؛ وجه م (٧) الخطابة : الخطابيه س ، سا (١٠) درهمان : درهما د || لفقده : لفقد ب ، م ، ن ، دا ، سا (١١) قوله : قول سا || اعبر : عبر د ، س || عنه : سقطت من س (١٢) للشيء : لشيء س (١٣) التخلى م ، سا : التجلى د ، هـ || تخلى م : محكى د : تجلى هـ || إنما : وانما م (١٤) وكذلك : فكذلك د ، هـ : ولذلك ن ، دا || أيضا : سقطت من سا (١٥) وإنما : فإنما د || قوما : قوم د ، س (١٦) الشاردون : الشادردون ب (١٧) والنزول : سقطت من م || حيث : وحيث م || قد : فقد ب ، د ، هـ (١٧) للمثرين : للموسرين د ، هـ : سقطت من م || المتنعمين : المنعمين د ، سا

فيقال من هذا : إن المساكين والهراب مثرون متنعمون . وهذا أيضا من جملة اللواحق . وأما الأمثلة لهذا من المباينة ، كما يقال : لست بقارون ، فما لك والاسراف ؟ وهذه أيضا ضمائر مظنونة . وعندى أنها قريبة من باب اللواحق، أو جزئية اللاحق، وأنه تأخر عنه لغلط من النساخ . ومن ذلك أخذ ما ليس بعلة علة، كمن يقول : لولا ورود فلان المشئوم، لما مات فلان . ومن ذلك اطراح الشرائط من الأين والكيف وغير ذلك ، وأخذ ما ليس بمرسل مرسلا . فإن الجدلى يأخذ الشرط ويورده ويوجده، والسوفسطيقى يلغيه ويعدمه . هكذا فافهم هذا الموضع .

وإذا كانت السوفسطية مظنونة مقبولة فهى خطابية ؛ فلا بأس فى الريطورية أن يستعمل من الضمير المظنون ما أشرنا إليه ، فيؤخذ ما ليس محمولا بالإيجاب على الإطلاق محمولا بالإيجاب على الإطلاق . فما كان من أصناف هذه التفكيرات ما يتروج ويظن فى مذهب الخطباء حجة ، فهو غير بعيد من الخطابة .

وأما ما كان لا يقع به الظن ، ولا يقبله الجمهور ، ويفطنون لتحريفه ، فإن استعمالها مغالطة فى الخطابة، كمن يقول : إن زيداً الجانى ، عندما هو مريض، قد كان صادقا عليه أنه غير واجب أن يعاقب ، فيجب أن لا يعاقب أبداً ؛ أو يقول : إن هذا السكران إن لم يجلد فى سكره وجنايته ، فكيف يجلد وهو

(١) الهراب : إلهرب د || مثرون : موسرون د، ه (٢) كما يقال : سقطت من م || لست : ليست م || بقارون : يفارون م (٣) الإسراف : الاشراف س || هذه : هذا س || اللواحق : اللاحق د (٤) اللاحق : اللواحق ن، د ا : للاحق س، سا || وأنه : وانها بخ، ه (كتبت فوق وانه) : وا د || من النساخ : والنساخ د (٥) ورود : ورد د، س || لما : كما س (٧) هكذا فافهم هذا الموضع : سقطت من د، ه (٨) السوفسطية : السوفسطيقية د، ن، ه، دا || فهى : وهى م، ن، د ا (٩) ان : بان سا || من : فى م || المظنون : والمظنون م || فيؤخذ : فيوجد سا (١٠) محمولا... على الإطلاق : سقطت من د، سا (١١) من : عن س (١٣) استعمالها : استعماله م || الجانى : بجانى ب (١٤) واجب : + عليه م (١٥) أو : و س || يجلد : يحد س || جنايته : خيانته م

صاح، وقد فارقته الجناية ؟ فإن أمثال هذه يظهر عند الجمهور ما فيها من التحريف .

وأما المناقضة ، فمنه ما يكون بأن يورد الخصم حجة بإزاء حجة الخصم تنتج نقيض نتيجة حجة الخصم . ويكون ما أعطيناه من الأنواع المظنونة الصالحة لإيقاع الظنين المتقابلين معا كافيا فى معرفة مأخذ ذلك . ومنها ما يكون بأن يقاوم ولا يأتى بحجة على نقيض مطلوب الخصم ، بل يقصد المقدمات . والمقاومة الخطابية تشارك الجدلية فى العدة ، وفى أنها أربع ؛ وقد ذكرت فى الجدل أنها إما مقاومة نحو المقدمة ، أو نحو القول ، أو نحو السائل ، أو نحو الزمان ؛ وإن كانت تخالف الجدلية فى التعيين . على أن الجدلية أيضا تنفع فى الخطابة . وأما هذه الأربعة المذكورة خاصة فى الخطابة فهى أن المقاوم إما أن يحو بها نحو المقدمة نفسها ، أو نحو ما هو مقامها ككليها فوقها أو جزئيها تحتها ، وإما أن يتركها ويقصد شبهها فيثبت فى شبهها ما يبطل حكم المقدمة ، وإما أن يقصد ضدها فيجعل حكم المقدمة ضد حكم الشبيه، أو يرفع حكم المقدمة على اقتضاء ذلك التضاد ، وإما أن يأتى بنص من أقاويل الشرائع والحكام ، كمن يقول : إن السنة ليست توجب على السكارى العذاب ، إذا قذفوا ، وهم سكارى . فيقول المقاوم : بل السنة توجب ذلك ؛ ولذلك عذب فلان النبى والإمام ولده ، حين أساء أدبه فى حالة الانتشاء .

ثم إن التفكيرات : إما أن تكون من الواجبات وهى الآراء المحمودة ، أو تكون من البرهانات ، لا من حيث يصحح بها المطلوب نفسه ، فذلك خارج

|| وقد : سقطت من س ، سا (١) الجناية : الخيانة م (٢) بازاء : ازاء م ، سا || بازاء حجة : بان يراد د || الخصم : سقطت من م (٣) تنتج : + نسحه س ، ن || نتيجة : سقطت من م || حجة : سقطت من ب ، س ، ن ، سا (٦) والمقاومة الخطابية : فى المقاومة الخطابية س : والمقاومة والخطابية ب || تشارك : مشارك م (٧) القول : المطلوب س (٨) وان : فان س (١١) شبهها : شبيها م : شبيهها ه || شبهها : سبيها م : شبيهها ه ، سا (١٢) يرفع : رفع د (١٣) اقتضاء : اقتصار ب (١٥) ولذلك : فلذلك د (١٦) والامام : أو الامام د (١٨) حيث : سقطت من د || نفسه : فى نفسه د || فذلك : فلذلك س

عن هذا ، بل بأن ينتقل منها إلى حكم كلى ، ثم يُصنع منه ضمير ؛ و إما من الدليل ، وهو الذى على سبيل الشكل الأول ، وهو اضطرارى جدا ؛ و إما من الرسوم. والعلامة : إما من الكلية على سبيل الشكل الثانى ؛ و إما من الجزئية على سبيل الشكل الثالث ، وعلى ماعلمت . وذلك إما فى إثبات ؛ و إما فى نفى . هكذا يجب أن يفهم هذا الموضع .

وليس يجب أن يظن أن الواجب هو الحق دائما ، بل و إن كان فى الأكثر ، فهو واجب بحسب هذا المبلغ . والكلام المؤلف من الآراء ، فإنما يناقض بالمقاومة للمقدمة فقط ، ولا يناقض من جهة ترذيل الشكل . وتناقض المقدمة بأنها ليست دائمة الصدق ، ويؤتى بجزئى يكذب فيه الحكم ، وأنه ليس باضطرار . و إن كان يسلم أنه واجب ، فلا يسلم أنه واجب دائما كل وقت . بل تارة يقول : إنه ليس بواجب ، وتارة يقول : إنه ليس باضطرار وجوبه كل وقت . وأن يقول : نعم ، هذا يكون فى الأكثر ، ولكن ليس واجبا ، بل قد يخلف . و إنه و إن كان الشرع أوجبه ، فقد أوجبه من غير تفصيل ، والمصلحة توجب فيه التفصيل بحكم العقل . فيخصص الحكم بزمان يناقض به ، أو بشخصى يناقض به . و إما أن يكون ظاهرا حكمه فى أنه ينقض ، أو يدعم الجزئى بحجة من مصلحة أوغيرها . كما أن الاعتماد على مقتضى الكثير بالعدد المترادف فى الزمان قوى . كذلك نقضه بأيهما كان ، أو باجتماعهما ، نقض قوى .

وأما الرواسم فإنها تنقض من وجهين : أحدهما من أن القول غير منتج ؛ والآخر من أن المقدمة غير صحيحة . على أن نقض المقدمة فيهما ربما عسر ، لأنها تكون فى الأكثر من مقدمات مسلمة .

(١) ثم : سقطت من س || ضمير : ضميرا د (٢) الرسوم د ، م ، ه ، سا : الرسم س ، ن ، دا ، ه : الرواسم ب (٧) هذا المبلغ : الموضع د || فانما : فانه ب (٨) وتناقض : مناقض م (٩) فيه الحكم : فيها الحكمة د || وانه : واما انه م (١٠) دائما : + فى سا (١١) وجوبه : + فى س (١٣) يخلف : يخلف سا (١٥) واما : اما س (١٦) غيرها : غيرهما ب (١٧) قوى : سقطت من م (١٨) واما : فاما د (١٩) عسر د : غيّر ه : غير ن : غ ب ، م : عرسا : غيّر س || لأنها : لانهما م

وأما الأمثلة فمناقضتها بالأمثلة واجبة . فإن لم تنتقض بمثال ، فالوجه أن يقال فيها : إنها ليست باضطرارية ، وإن كانت أكثرية ، ويعترف بأكثريتها ، ثم يقال : لكنها تخلف في مثل ما فيه الكلام . اللهم إلا أن تفرط جدا في الكثرة. فحينئذ لابد من المقاومة بمثال آخر . فإن الذي هو قريب من العموم ، وليس المعول فيه على شبيه واحد فقط ، إما أن يبين أنه ليس بمشابه أصلا ولا مشاكل ، أو يبين أن الحكم لعلة أخرى غير المشابهة المظنونة ؛ وإما أن يعترف بفضيلته ويذعن له .

وأما الدلائل فلا تؤتى من جهة رداءة التأليف . فإن صدقت المقدمات ، فلا سبيل إلى مناقضتها .

وأما التكبير والتصغير فليس اسطقسا للضمير الذي يراد به الوصول في المشاجرات والمشاورات والمنافرات ، بل هما من توابع ذلك ، فمقاومتها ليست مقاومة أصلية ، ولا اسطقسات مقاومة . وكل مخاصم بالحجاج ، كما علمت ، إما بمعارض ، أو بمقاوم . وكلاهما مشتركان في استعمال أنواع جنس واحد ، ومحتاجان إليه ، ومعترفان منه . وإن كانت المقاومة من نوعي المناقضة ليست تفكيرا ، كما علمت ؛ لأنه ليس إذا أبطل صحة احتجاج خصمه ، فقد صحح قول نفسه ، وإنما أكثر ما يبينه أن كلام خصمه ليس بصحيح ، وأن فيه كذبا ما .

(١) فناقضتها بالأمثلة : سقطت من م (٢) اكثرية : اكثريه ب : كثيرة د ، س ، سا || ويعترف : وتعرف م ، ن ، د ا (٥) المعول : المقول د || يبين : سن س (٦) مشاكل : يشاكل م || يبين : سقطت من ب ، د ، سا || لعلة : بعلة س (١٠) التكبير : التكثير ه || التصغير : الصغير د || اسطقسا : اسد بطسا سا || يراد : لا يراد م || الوصول : الاصول س || في : و س (١١) هما : هي م (١٢) اسطقسات : استقسات ب ، سا : استقصار بخ || بمعارض : معارض د (١٣) بمقاوم : مقاوم د || أنواع : سقطت من سا (١٤) معترفان : مفترقان م (١٥) إذا : إذ د || احتجاج : قول د (١٦) ما يبينه : ماينبه م : ما يبنه ب : مباينته بخ || وأن : + كان م || كذبا ما : + تمت المقالة الثالثة من الفن الثامن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين م : + تمت المقالة الثالثة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وسلم د ا : + تمت المقالة الثالثة من الفن الثامن من الجملة الأولى من المنطق في الخطابة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين اجمعين ه

المقالة الرابعة

خمسة فصول

فصل [الفصل الأول]

فى التحسينات واختيار الألفاظ للتعبيرات

قد قيل فى التصديقات، وفى الأنواع كلها، وبقى أن نتكلم فى التوابع والترتيبات والتحسينات. وهذه، بعضها متعلق باللفظ، وبعضها متعلق بالترتيب، وبعضها متعلق بهيئات المتكلمين وهى أمور خارجة عن اللفظ وعن المعنى. فمنها ما يتعلق بهيئة اللفظ ونغمته. ومنها ما يتعلق بهيئة القائل، فيخيل معانى، أو يخيل أخلاقا واستعدادات نحو أفعال أو نحو انفعال. وهذا هو الشىء الذى يسمى الأخذ بالوجوه، ويسمى نفاقا. وهذا كما أنه يصلح للشعر من جهة ما فيه من التخييل، فقد يصلح أيضا للخطابة. فإن التخييل قد يعين على الإقناع والتصديق. ومنها الصنف المستعمل فى النغم، مثل تثقيلها وتحديدها وتوسيطها وإجهارها والمخافتة بها أو توسيطها. فإن للنغم مناسبة ما مع الانفعالات والأخلاق. فإن الغضب تنبعث منه نغمة بحال، والخوف تنبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تنبعث منه نغمة بحال ثالثة. فيشبه أن يكون الثقل والجهر يتبع

(١) فصل : فصل ا َب : الفصل الاول س ، م ، ه (٢) للتعبيرات ه : للتغيرات د ا : والتغيرات م : للتغييرات ب ، سا : والعبراب س : للعبرات د ، ن (٣) نتكلم : يتكلم د (٤) والترتيبات : وفى الترتيبات م ، ن : والتزيينات ه || متعلق (بالترتيب) : سقطت من س (٦) نغمته : نغمتيه د (٧) واستعدادات : أو استعدادات د || أو نحو : أو ن : و ب || الشىء : سقطت من س ، ه ، سا (٩) (من) التخييل : التخيل س (١٠) ومنها : فاما د : وأما ن ، د ا || النغم : التنغيم م || وتحديدها : أو تحديدها س ، ه || وتوسيطها : أو توسيطها س ، ه (١١) وإجهارها : وتجهيزها ب || والمخافتة : أو المخافتة د || بها : فيها ن || أو توسيطها : وتوسيطها ب ، م ، سا (١٢ – ١٣) والخوف ... بحال : سقطت من سا (١٢) بحال (اخرى) : سقطت من د (١٣) وانفعال : وانفعالات م || ثالث : آخر د || نغمة : سقطت من س : + أخرى م || بحال : + اخرى د || الثقل : للثقيل د : النقل س || الجهر : الجوهر م

الفخامة ، والحاد المخافت فئة تتبع ضعف النفس . وجميع هذا يستعمل عند المخاطب ، إما لأن يتصور الإنسان بخلق تلك النغمة أو بانفعالها عندما يتكلم ، وإما لأن يتشبه نفس السامع بما يناسب تلك النغمة قساوة وغضبا ، أو رقة وحلما .

ومن أحوال النغم : النبرات ، وهى هيئات فى النغم مدّية ، غير حرفية ، يبتدئ بها تارة ، وتخلل الكلام تارة ، وتعقب النهاية تارة ، وربما تكثر فى الكلام ، وربما تقلل . ويكون فيها إشارات نحو الأغراض . وربما كانت مطلقة للإشباع ، ولتعريف القطع ، ولإمهال السامع ليتصور ، ولتفخيم الكلام . وربما أُعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان ، أو تصير به مستدرجة للقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك . وربما صارت المعانى مختلفة باختلافها ، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاما ، والاستفهام تعجبا ، وغير ذلك . وقد تُورد للدلالة على الأوزان والمعادلة ؛ وعلى أن هذا شرط ، وهذا جزاء ؛ وهذا محمول ، وهذا موضوع .

---

(١) والحاد : واسماء م : واتخاذ ب : واحارن || المخافت : المخافة س ، م : المحاقب ن || هذا : هذه د || يستعمل : مستعمل ب ، سا (٢) يتصور : سصرن ، دا (٢—٣) أو بانفعالها ... النغمة : سقطت من س (٣) قساوة : قسارة د (٥) هيئات : هيئة م || النغم : التنغم ب || يبتدئ : يبتدا ه (٦) بها : منها د || وتخلل الكلام تارة : سقطت من ب ، ن ، سا (٧) الأغراض : الاعتراض سا (٨) ليتصور : لتصور د : لتصويره ن ، دا : التصور س ، ه (٩) هذه النبرات : سقطت من ب ، م ، ن ، سا ، د ا (١٠) أحوال : حال د ، س ، م ، سا || به : بها م ، س ، ه || مستدرجة : مندرجه د (١١) باختلافها : باختلافهما س (١٢) والاستفهام : سقطت من سا || الاستفهام : سقطت من ب || وغير ذلك : أو غير ذلك د ، ه (١٣) للدلالة : الدلالة د || على الاوزان : على أن الاوزان ب || جزاء : جزء ن ، ه : خبر ب || وهذا (محمول) : أو هذا ب

واعلم أن اختلاف النغم عند محاكاة المحاكى إنما يكون من وجوه ثلثة : الحدة ، والثقل ، والنبرات . والمنازعون من الخطباء يكتسبون هذه الملكة من مراعاة المنازعين من الشعراء ، فما كان أعمل فى أغراضهم ، نقلوه إلى صناعتهم ، وكذلك قد يأخذونها من هيئات السواس حين يسوسون المدن . لكن هذه الأشياء لم تكن دونت إلى زمان المعلم الأول ؛ بل الأوجب منها ، وهو القول فى اللفظ ، لم يكن قد دوّن البتة . وهذه الأشياء كلها توزينات للقول ليستقر فى الأنفس استقراراً أكثر ، وهى لأجل قذف الظن فى النفس . وأما بالحقيقة فهى خارجة عن صرف العدل ومره ؛ لأن صرف العدل هو الاقتصار على الكلام ؛ وأما هذه فهى حيل ، ولكنها حيل نافعة .

واعلم أن الاشتغال بتحسين الألفاظ فى صناعة الخطابة والشعر أمر عظيم الجدوى . وأما التعاليم فإن اعتبار الألفاظ فيها أمر يسير ، ويكفى فيها أن تكون مفهومة ، غير مشتركة ، ولا مستعارة ، وأن تطابق بها المعانى . ولا يختلف التصديق فى التعليم بأى عبارة كانت إذا عبرت عن المعنى . وأما الإقناع فى الخطابة والتخييل فى الشعر فيختلف فى المعنى الواحد بعينه بحسب الألفاظ التى تكسوه . فينبغى أن يجتهد حتى يعبر عنها بلفظ يجعله مظنونا فى الخطابة ، ومتخيلا فى الشعر . فإن اللفظ الجزل يوهم أن المعنى جزل ؛ واللفظ السفساف يجعل المعنى كالسفساف ؛

---

(١) إنما : أن ب ، سا (٢) الثقل : النقل س (٣) أعمل : يعمل س (٤) وكذلك : ولذلك ن ، دا . (٥) وهو : هو س (٦) توزينات م : ترهزينات س : تزيينات بخ ، ه : برساب ن : ترزينات ب ، د ، سا : ترتيبات دا || للقول : القول ب ، سا || ليستقر : ليسقر د (٧) أكثر : أكبر د ، دا || بالحقيقة : فى الحقيقة د ، س (٨) فهى : وهى م || ومره : ومرة د ، س ، ه || لأن صرف العدل : لأن العدل م (٩) وأما : فاما د || فهى : وهى م || (ولكنها) حيل : حيلة م : حد س : جد سا (١٠) الخطابة والشعر : الخطباء أو الشعراء م : الخطباء والشعراء ن ، دا || أمر : من د (١١) اعتبار : الاعتبار م (١٣) عبرت : غيرت سا (١٤) التخييل : التخيل م ، د ، ن ، دا || تكسوه : تكساه فى جميع المخطوطات (١٥) بلفظ : بلفظه س (١٦) واللفظ : فاللفظ ب || كالسفساف : كالسفسان د

والعبارة بوقار تجعل المعنى كأنه أمر ثابت ؛ والعبارة المستعجلة تجعل المعنى كشيء سيال . ولذلك فإن المشتغلين بالحقائق، المتمكنين من المعرفة ، المتحلين بالصدق لا يتعاطون طريقة تزيين الألفاظ ؛ فلا المهندس ولا معلم آخر يعنيه الاشتغال بالألفاظ وتحسينها ، إلا أن يكون ناقصا ، أو مزورا ، أو مضطرا إلى أن يروج المعنى باللفظ ، كبعض الخراسانية النسفية الذين كانوا قريبا من زماننا . بل هذه التكلفات تجرى مجرى النفاق والأخذ بالوجوه فيحسن حيث تحسن هى .

وقال المعلم الأول : وقد تكلف النظر فيها ثراسوماخس الخطيب الجدلى .

أما النفاق والأخذ بالوجوه ، فإنما ينصرفان على أشياء تصدر عن الطبائع . وأما الحيلة اللفظية فإنما تنصرف على أشياء تصدر عن الصناعة . ولهذا صار المقتدر على إجادة العبارة أشوق إلى المنازعة من العاجز عنها ، وإن كان المعنى واحدا . كما أن المقتدر على الأخذ بالوجوه يجسر على مالا يجسر عليه الساذج ، وإن اتفقا فى المعنى . وأما الرسائل الخطبية المكتوبة فإنما تكون قوة تأثيرها لأحوال فى نفس اللفظ فقط ، لا لمعنى النفاق . لأن النفاق لا يكتب . وكثيرا ما يضعف المعنى جدا ، فيتداركه اللفظ الجزل ، وإن لم يرفده النفاق . ذلك وأول من اهتدى إلى استعمال ما هو خارج عن الأصل هم الشعراء ، إذ كان

(١) كأنه : كانت د || المستعجلة : المستعملة د (٢) ولذلك : وكذلك م || المتمكنين : المتملين سا || المتمكنين من المعرفة : المتملين بالمعرفة م : المحلين من المعرفه س || المتحلين بالصدق : أو العالمين بالصدق م : بالصدق س (٣) يتعاطون : + فيه م ، ب ، ن || يعنيه : يغنيه م • يعينه ب ، س (٤) أو مزورا : ومزورا ب ، س ، سا || أو مضطرا : ومضطرا ب ، س ، سا (٥) النسفية : السفية س ، هـ (كتب تحتها النسفية ن ف هـ) (٦) التكلفات : التلطيفات د || تحسن : محسن م || هى : سقطت من ن ، د ا (٧) الأول : سقطت من د ، هـ || ثراسوماخس : براسوماخوس هـ (ثم صححت براسوماخس) : براسوماخس سا : راسوماخس د (٨) ينصرفان : متصرفان سا (١٠) المقتدر : المصدر ن ، د ا (١٢) الخطبية : الخطبة د (١٣) لأن : اذ د (١٤) يرفده : يرده د || النفاق : نفاق م

بناؤهم لاعلى صحة وأصل ، بل على تخييل فقط . فلذلك أخذوا فى تفخيم الألفاظ وجعلوا أيضا نغم الإنشاد مضاهية لجزء جزء من الغرض . ومن هناك اهتدوا إلى استنباط الصنائع الخطابية المدنية والقصصية . ولذا إذا قدر الشاعر على أن يخيل باللفظ وحده من غير حاجة إلى الغناء والتلحين وأخذ الوجوه والنفاق اعتد لصنيعه ، وأعجب به ، واستوجب عليه الإحماد . ولهذا السبب ما يسبق التخييل التصديق فى الزمان . فإن المأثور من العبارات والمناظرات القديمة إنما يجرى على مذهب الشعراء فى التخييل . والناس أول ما يسمعون إنما يسمعون الأمثال الشرعية التى فيها مشاكة للأقاويل التخييلية . ثم بعد زمان يتدرجون إلى خطابة ، ثم إلى جدل وسفسطة ، ثم إلى برهان ويكون المتكلفون والمتفصحون فى كل عصر محاولين للتفيهق فى بِذْلة الكلام . وليس يحسن هذا فى كل موضع ، ولا أيضا فى كل شعر . فكثيرا مايجب أن يستعمل مثل هذا فى غير الشعر ، وكثيرا ما يجب أن يستعمل فى الشعر . فإن الأشعار القصار والخفاف التى ينحى بها نحو المعانى الهزلية والضعيفة يجب أن لاتفخم فيها الألفاظ بل يؤتى بالبِذْلة . ولذلك فإن الأعاريض التى كانت لليونانيين مفروضة لمعنى ما ، لما حرفت وألحقت بأعاريض أخرى ، حرف أيضا ما يليق بها من التفخيم . ولما طولوا الرباعيات حاولوا تغيير عادة اللفظ فيها . ولم يحسن ذلك ؛ لأنهم

(١) بناؤهم : بناءهم س : ثناؤهم د || لا : سقطت من سا || تخييل : تخيل م || فلذلك : فكذلك د ، م (٢) مضاهية : مضاهيا د || الغرض ب ، ه ، سا : العرض س ، م ، ن : المرض د (٤) غير : سقطت من سا || والنفاق : النفاق م (٥) لصنيعه : لصنعه س : بصنيعه ب ، ه ، سا : بصنعه ن ، دا || يسبق : سبق د ، س ، ه (٦) التخييل : التخيل م ، ه (٨) الشرعية : الشعرية م : سقطت من ن || فيها : منها د || التخييلية : التخييله م (١٠) المتفصحون : المتفضحون م : المتفحصون س : المتصحفون ن ، دا || للتفيهق : للتفهيق ب ، د ، س ، سا : للتفيهق ن ، م : للتفهق د • تفهق فى كلامه تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه • ولم أعثر فى كتب اللغة على تفهيق || بذلة : تذلة ه || هذا : هنا م (١١ — ١٢) فكثيرا ... الشعر : سقطت من سا (١١) فكثيرا : وكثيرا ب (١٢) يستعمل : لا يستعمل م ، ه (١٣) المعانى : + القريبة ب ، د ، ه (اضيفت تحت المعانى) (١٥) لما : لا ن ، دا (١٦) تغيير : تغير د

لم يطولوها وهم يعدونها نحو استعمال آخر ، بل استعملوها فى الغرض التى كانت تستعمل فيه وهى رباعية . ويجب أن يفهم أن الرباعيات هى القصار من الأبيات ، دون الطوال . وبالجملة : لا ينبغى أن تستعمل نخامة اللفظ فى كل موضع . ولا ينبغى أن يقتدى الخطيب بالشاعر فى ذلك . وكيف والشعراء أنفسهم لا يستعملون ذلك فى كل موضع ! وينبغى أن لا يتحرى الخطيب التفيهق فى كل موضع بكلام مستقصى فى الجزالة ، ولكن ليطابق بمتانة اللفظ وسلاسته متانة ما يتكلم فيه وسلاسته .

واعلم أن القول يرشق بالتغيير . والتغيير هو أن لا يستعمل كما يوجبه المعنى فقط ، بل أن يستعير ، ويبدل ، ويشبه . وذلك لأن اللفظ والكلام علامة ما على المعنى . فإنه إن لم يدل على شىء ، لم يكن مغنيا غناء اللفظ . فينبغى أن يكون له فى نفسه حال يكون بها ذا رونق ، حتى يجمع إلى الدلالة حسن التخييل ، وذلك أن لا تكون الألفاظ حقيرة سفسافية ، ولا مجاوزة فى المتانة مبلغ الأمر الذى تدل عليه . وكذلك الشعراء المفلقون الذين كلامهم أحسن كلام عامى ، وهو الشعر ، فإنهم يستعملون الألفاظ من الأسماء والكلم ما كان مشهورا كريما ، بين الحقيرة وبين المتكلفة المجاوز حد الواجب فى تهذيبها . وهذه الألفاظ المتوسطة التى ترتفع عن درجة العامية ، ولا تخرج إلى الكلفة المشنوءة ، تسمى ألفاظا مستولية. وأما أقسام الألفاظ من حيث أنفسها فتذكر فى الشعر .

---

(٤) بالشاعر : الشاعر م (٦) التفيهق م ، ن : التفهيق ب ، د ، س ، ه . انظر ص ٢٠١ س ٥ || مستقصى : مستقصا ن ، دا || ولكن : وليكن ب || بمتانة : بمثانه س (٧) متانة : مثانته م (٨) القول : اللفظ سا || بالتغيير : بالتعبير ه || والتغيير : والتعبير ه : سقطت من د (٩) اللفظ : النقط س (١٢) سفسافية : سفسافه س (١٣) المفلقون : المقلقون م : الملقون ب ، د ، ن ، دا ، سا (١٤) من : فى د || الكلم : الكلام د ، ه ، دا || ما : عما د || الحقيرة : الحقير م ، دا (١٦) ولا : لا م || تخرج : تحوج ب ، م ، ن ، دا ، هامش ه ، سا

واعلم أن الرونق المستفاد بالاستعارة والتبديل سببه الاستغراب والتعجب وما يتبع ذلك من الهيبة والاستعظام والروعة، كما يستشعره الإنسان من مشاهدة الناس الغرباء، فإنه يحتشمهم احتشاما لا يحتشم مثله المعارف. فيجب على الخطيب أن يتعاطى ذلك حيث يحتاج إلى الروعة وإلى التعجب. وللأوزان تأثير عظيم فى ذلك. واستعمال الاستعارات والمجاز فى الأقوال الموزونة أليق من استعمالها فى الأقوال المنثورة، ومناسبتها للكلام النثر المرسل أقل من مناسبتها للشعر، وهو مع ذلك متفاوت. فإنه ليس قولك لرجل لا تعرف اسمه: يا رجل، كما تقول له: يا غُلَيم. فإن هذا أشد بعدا من الواجب. على أن له موضعا يلائمه، ويليق به. ولا ينبغى أن يقتدى فى ذلك بالشعر. فإن الخطابة معدة إلى الإقناع، والشعر ليس للإقناع والتصديق، ولكن للتخييل. وليعلم أن الاستعارة فى الخطابة ليست على أنها أصل، بل على أنها غش ينتفع به فى ترويج الشىء على من ينخدع وينغش ويؤكد عليه الإقناع الضعيف بالتخييل، كما تغش الأطعمة والأشربة بأن يخلط معها شىء غيرها لتطيب به أولتعمل عملها، فيروج أنها طيبة فى أنفسها. وقد يقع من ذلك ما يسمج جدا، كما كان يفعل رجل يقال له إدروس فإنه كان يحرف لغته وصوته ويتكلم بغير لغة بلده، ويتشبه فيه بالغرباء، فكان يستبشع ذلك منه عند المحنكين، لأنه كان يخرج عن العادة، وإنما كان يتعجب منه المغبونون والأغرار.

(١) سببه: شبيه ب، ه، ن || الاستغراب: للاستغراب ب، ه || التعجب: التعجيب م (٢) مشاهدة: شهاده س (٣) يحتشمهم: يحشمهم د، دا: + مثله ب || مثله: سقطت من ب || المعارف: المعارف س (٤) التعجب: التعجيب م (٧) تقول: يقال م، ن (١٠) ليس: وليس سا || للتخييل: للتخيل د، دا (١١) أنها: بأنها سا || فى: سقطت من س (١٢) الإقناع: الاساع س || بالتخييل: بالتخيل م، سا || الأطعمة والأشربة: الاشربه والاطعمه د، س، سا (١٣) عملها: عليها م (١٤) من: فى س، ن، دا: سقطت من م || يسمج: يسمع سا || ادروس: اذروس س || يحرف: يحذف د (١٥) صوته: صورته س || يستبشع: يستشنع س، ن: يستشبع م (١٦) المحنكين: المحلين م: المحتنكين د، ه: المحركين ن

وقد يعرض لمستعمل الخطابة شعرية ، كما يعرض لمستعمل الشعر خطابية . وإنما يعرض للشاعر أن يأتى بخطابية وهو لا يشعر ، إذا أخذ المعانى المعتادة ، والأقوال الصحيحة التى لا تخييل فيها ، ولا محاكاة ، ثم يركّبها تركيبا موزونا . وإنما يغتر بذلك البله ، وأما أهل البصيرة فلا يعدون ذلك شعرا . فإنه ليس يكفى للشعر أن يكون موزونا فقط . وهذا الإنسان فى حكم اللص ، لأنه يسرق ظننا بغير وجوب ، ولا أشباه وجوب . وأول من كان يفعل هذا أوريفيدس . بل الأصل الأول فى الخطابة أن تكون الألفاظ التى منها تتركّب الخطابة ألفاظا أصلية مناسبة ، وأن تكون الاستعارات وغيرها تدخل فيها ، كالأبازير ، وكذلك اللغات الغريبة ، وكذلك الألفاظ المختلقة على سبيل التركيب ، وهى ألفاظ لم تستعمل فى العادة على تركيبها ، وإنما الشعراء ومن يجرى مجراهم هم الذين يختلقون فى تركيبها ، مثل قولهم : فلان يتكشحم . فإن هذه مما ينفر عنها فى الخطابة ، لأنها أحرى أن تستعمل فى التخييل منها فى التصديق . وستعلم أن بين الجميل والحسن وبين القوى والعظيم فرقا ، كما فى الخلق والأشكال . وإنما يحسن فى الخطابة من الأسماء ما كان مستوليا ، وقد عرفته ، وما كان مناسبا أيضا أهليا . وهذا هو اللفظ النص على المعنى . وأما التغييرات فإنما تصلح إلى حد . والفُوهَة من الخطباء يستعملون هذه الأصناف . وههنا أقسام من الألفاظ ذِكْرها بكتاب الشعر أولى ، ومن حقها أن تهجر فى الخطابة ، وكلها يغلّط السامع ، والتغليط بالشعر أولى منه بالخطابة ، وخصوصا المتفقات من الأسماء فإن من حقها أن

---

(١) قد : سقطت من ب ، د ، سا || الخطابة : الخطابية ن ، د ا (٣) الصحيحة : المصححه سا || يركبها : ركبها ب ، ن ، د ا ، سا (٤) وإنما : فإنما د || يعدون : يعتدون ب || شعرا : شعر س || فإنه : + وإنما يغتر سا (٦) أوريفيدس : اوريفيس د (٧) منها : سقطت من سا || تتركب : تركب م (٨) كالأبازير : كالاباريز ب ، م : كالارر د || وكذلك : فكذلك د : ولذلك ن (٩) الغريبة : العربية م : سقطت من ب || وكذلك : ولذلك ن ، د ا (١١) فى : سقطت من د || فلان : فلا د || (١١) يتكشحم : سكشحم د ، س : مكسحم ب : سكسحم ن ، د ا : يتكنجم ه : متكحشم م : متكشجم سا (١٢) فى التخييل : سقطت من ب ، سا || الجميل : الجهل م || والحسن : والحس م : الحسن س (١٣) والعظيم : العظيم س ، سا || كما : + قال م || يحسن : سقطت من س || يحسن فى : + التخييل منها فى التصديق وستعلم ان بين الجهل م (١٤) كان : + منها ب ، م ، سا (١٦) بكتاب : فى كتاب د

لا يستند إليها . على أنها بالمغالطية أولى . وأما المترادفة فهى بالشعر أولى، فإن ترادفها يخيل توكيداً للمعنى . وأما التصديق فلا يستعان فيه بالتكرير البتة . اللهم إلا أن يكون التصديق غير واقع أو يرفد بتخييل . وكما أن الوزن من جملة ما لا ينتفع به فى الخطابة ، أو ينتفع به نفعا يسيرا ، و إنما يحتاج فيها إلى شىء من الوزن غير تام ، كذلك الألفاظ الشعرية .

واعلم أن الاستعارة والتغيير إما أن تقع بلفظ مشهور ، أى بحسب معنى آخر ، أو بلفظ غريب ، أو بلفظ لا مشهور جدا ، ولا غريب ، ولكن لذيذ . واللذيذ هو المستولى المذكور ، وخصوصا إذا كانت حروفه حروفا غير مستشنعة فى انفرادها ، أو فى تركيبها . وكيف كان فينبغى أن يستعمل من الألفاظ الموضوعة أى المطابقة ، والمتغيرة أى المستعارة ، وما يجرى مجراها من المجاز ما يليق بالشىء ، لا كيف اتفق ، وذلك على حسب الشىء ومضاده ، وأن يقايس بينه و بين ضده فيعلم اختصاصه بما يليق به . فإن الشيخ يجمل به شىء من الزينة بعينه ، ولا يجمل به ضده ؛ و بالصبى شىء آخر . و يبين ذلك إذا قوبل الشيخ بالصبى ، فروعى ما يجمل بالصبى ، فيعلم أن ذلك لا يجمل بالشيخ . وينبغى للخطيب ، إذا أراد أن يستعير و يغير حيث يريد التحسين ، أن يأخذ الاستعارة والتغيير من جنس مناسب لذلك الجنس ، محاك له غير بعيد منه ، ولا خارج عنه . فإنه إذا أراد أن يحقر إنسانا و يقبحه ، فيجب لا محالة أن لا يحاكيه بشىء بعيد

---

(١) بالمغالطية : بالمغالطة س (٢) بالتكرير : بالتكريرات م || البتة : سقطت من ن (٤) و إنما : أو إنما س (٦) أن سقطت من س || التغيير : التغير م ، سا (٧) أو بلفظ (لا مشهور) : سقطت من م (٨) مستشنعة : مستبشعة ب ، م ، هـ ، سا (١١) ما يليق : وما يليق د || يقايس : يقاس د (١٢) و بين : او بين س || الزينة : + وحده م ، ن ، دا (١٣) به : سقطت من د || يبين : يتبين سا (١٤) فروعى ما يجمل بالصبي : سقطت من س || فروعى : وروعى هـ ، سا || فيعلم : فعلم سا || يجمل : + به س ، هـ || بالشيخ : بالشىء م : الشيخ س : سقطت من هـ (١٥) يستعير : يستعين سا || يغير : نعبر س (١٦) بعيد : نعتد د

من جنس ما يفعله ، بل يقول ، إن أراد أن يقبح ملتمسا ويحقره : إن فلانا ليتكدى . وإذا أراد أن يفخم أمر حريز ، لم يبعد بالمحاكاة ، بل حاكاه بأنه حاذق بما يتعاطاه ، وكما يقال للص المحتال : إنه لص بالتدبير والحيلة . وربما كان ما يحاكيه به ليس يخرجه إلى ضد المعنى ، بل يجعله أصغر أو أكبر فيه . كمن يهون حال الظالم ، فيقول : مخطىء ، مسىء ؛ أو يعظم الظانية فى أمر من أساء وأخطأ ، فيقول : ظالم ، متعمد . وكذلك يقول لمن سرق : إنه أخذ وتناول تارة ، يريد بذلك تخفيف الأمر ، أو أغار وانتهب أخرى ، يريد بذلك تعظيم الأمر . وقد يقع أيضا الغلط فى الدلالة من جهة إعراب المقاطع ، وفى حروف الوصل والفصل . فربما يقع ذلك خطأً ، وربما يقع قصداً ، لتحريف الدلالة والتغيير . وإذا لم يجد الخطيب للشىء اسما ، فأراد أن يستعير له ، فينبغى أن يستعير اسمه من أمور مناسبة ومشاكلة ، ولا يمعن فى الإغراب ، بل يأخذ الاسم المحقق لشبيهه ومناسبه . فتغييره إياه ليس مستعار المستعار ، ومغير المغير . ثم يجب أن تكون المعانى التى يستعار منها معانى لطيفة معروفة محمودة ، وقد استعملت فى المتعارف من الكلام ، مثل قول القائل : فوا بردا على كبدى .

---

(١) أن يقبح : يقبح م (٢) ليتكدى : ليتكدا ن ، دا : ليتكدرم || واذا : إذا م || أمر حريز : أمرا جريزا ه : أمر جريز س : أمرا حريزا ن : أمر حرر د || لم : سقطت من سا || يبعد : سعل سا (٣) للص : اللص س ، ن ، وا (٤) به : بل م : سقطت من ن ، دا || أو أكبر : وأكبر م (٥) كمن : فهو د || الظالم : الظلم ن ، دا || مسىء : ومسىء س : + فيه م (٥ — ٦) أمر من : أمرين م (٦) وأخطأ : أو أخطأ ب ، د || فيقول : فيقال س || وكذلك : ولذلك ن ، دا || سرق : يسرق م ، ن (٧) تارة : + لمن د || أو أغار : وأغار ن ، دا (٨) أيضا : سقطت من م (٩) الوصل والفصل : الفصل الأصل ب (١٠) والتغيير : والتغيير س ، ن ، ه ، سا || وإذا : فاذا ن ، ه (١٢) لشبيهه : لشبهه د || فتغييره : فيعبره س : فتغيره م || ليس : وليس د || مستعار : يستعار ن ، دا || مغير : يغير ن ، دا : معى س (١٣) المغير : المتغير ن : العير دا : للغير ه || ثم : لم س || معانى : معان ب ، م || معروفة محمودة : محمودة معروفة سا

فإن أمثال هذه الاستعارات قد صارت لفرط الشهرة كأنها غير استعارات. وأما الاستعارات التي لم تذع ولم تتعارف ، فأكثرها منافية للخطابة . وإنما يجوز أن تختلف الاستعارات الغريبة في الكلام الشعري . ومن حسن الأدب في الألفاظ أن يكون الخطيب ، إذا حاول العبارة عن معنى فاحش، لم يصرح بلفظه البسيط الذي يدل عليه بلا تركيب ، أي بلا توسط معنى مستعار ، بل ينبغي أن يعرّض عنه ، ويستعير له ، ويقيم شيئا بدله . وذلك وإن كان كذبا ، فهو كذب حسن . وربما دل على المعنى القبيح بالإشارة، دون العبارة. ولكنه مذهب غير شريف في الخطبة . لأن الخطيب يجب أن يدل على المعنى بحيث يسمع . فإذا سكت عنه لفظا ، وأومأ إليه إشارة ، فكأنه ترك المخاطبة . وقد يحسن أن يعرّض لا من الشبيه والمناسب ، بل بتسمية ما يخالف المعنى محكوما فيه بالأولى والأحرى والأفضل، ومقابلها من الأقل. أما بالأولى والأحرى والأفضل فكما يقول وهو يريد ذم إنسان : إن السيرة الحسنة أولى من الغَشْم ، وإن العفاف أفضل من الفجور. وأما بالأقل فأن يقول : ليس العفاف أقل في إرغاد العيش من الطمع . وربما ذكر مقابل ما هو الأحرى والأولى ، مثل ما ذكر في المثالين . وربما لم يذكر ذلك المخالف ، بل ذكر الأولى والأحرى وحده ، وكفاه في ذلك الباب بعينه ، فيقول : الازدياد من العفة أولى ، والاستكثار من الأصدقاء أحرى .

---

(١) وأما : فاما م، ه (١ — ٣) وأما الاستعارات ... الاستعارات : سقطت من ن
(٣) تختلف : يختلق س، ه || ومن : من م (٨) فاذا : وإذا د (٩) أومأ : أومى د، س، ه || ان : + حروف س (١٠) المناسب : المناسبة د، س (١١) ومقابلها ... والأفضل : سقطت من سا || ومقابلها : ومباينها د : فقابلها ب || من الأقل : سقطت من ب || بالأولى : الأولى د، ه || فكما : وكما م : كما د : فكمن ن، ه: وكن د ا (١٢) إن : الى س
(١٣) أقل : بأقل د (١٤) وربما : واما س (١٥) المخالف : لمخالف سا || الأولى والأحرى : الأحرى والأولى س || وكفاه : وكفايه سا : وكفى به د، س || ذلك : هذا س
(١٦) بعينه : سقطت من س

وقد ينفع هـذا أيضا إذا ذم به من فيه عفة أو له أصـدقاء ، إلا أنه مقتصر على الاقتصاد .

وجميع الاستعارات تؤخذ من أمور إما مشاركة فى الاسم ، أو مشاكلة فى القوة ، أى مغنية غناء الشىء فى فعل ، أو انفعال ، أو مشاكلة فى الكيفية المحسوسة ، مبصرة كانت أو غيرها . وللقول الانتقالى الاستعارى فى تأثيره مراتب . فإنه إذا قال الغزِل فى صفة بنان الحبيب : إنها وردية ، كانت أوقع من أن يقول : حمر ، وخصوصا أن يقول : قرمزية . فإن قوله فى الاستعارة للحمر "وردية" ، قد يخيل معها من لطافة الورد وعَرْفه مالا يخيله قوله "حمر" مطلقا . فإن قوله "حمر" مطلقا لا يطوّر بجنبه المدح والاستحسان . وذكر القرمز يتعدى إلى تخييل الدودة المستقذرة . وكذلك أيضا الحال فى الأسماء الموضوعة التى ليست مستعارة ، فإن بعضها أفضل من بعض . فإن اللفظ الذى يقع على الشىء من حيث له معنى أكرم هو أحسن من اللفظ الذى يقع عليـه من حيث له معنى أخس ، وإن كان كل واحد منهما يقصد به فى الحقيقة معنى واحد ، مثل ما يقال للبغل : إنه نسل فرس من غير فرس ، فإنه أوقع من أن يقال له :

---

(١) أيضا : سقطت من سا (٢) الاقتصاد : الاقتصار م ، ن (٣) من : فى ن ، دا (٤) أو انفعال : وانفعال ن ، دا (٥) مبصرة : ممصرة د || وللقول : والقول ب ، سا || الانتقالى : بعد الانتقال د (٦ — ٧) كانت ... وردية : سقطت من سا (٧) قوله : قولك د || فى الاستعارة لحمر وردية : الوردية فى استعارة الحمرة د || للحمر : للحمرة س : الحمرة د : للخمر م (٨) قد : فقد ب : سقطت من د || يخيل : يحمل س : مخيلة د || يخيله : + فى د || حمر : أحمر د || مطلقا : + فان قوله د (٩) يطور : يصور د || بجنبه : بحسنه د ، دا : تحته ب : بجنبه هـ : تيه م (١٠) المستقذرة : المعذورة د || الموضوعة : الموضوعات م ، ن ، دا (١٢) أكرم ... معنى : سقطت من سا || هو : وهو م || الذى : سقطت من س (١٢ — ١٣) معنى أخس : سقطت من م (١٣) أخس : أحسن ب ، سا || وإن : إذ هـ : وإذا ب ، د ، سا || به : سقطت من سا (١٤) له : أنه م ، هـ : + انه ن

نسل حمار من غير حمار . وكلاهما ، و إن قُصد بهما معنى واحد من جهة وفى ظاهر الأمر ، فإن الاعتبارين المتحققين فيهما مختلفان ، وأحدهما أحسن .

وهذا قريب مما قال أبو الطيب :

أيابن كَرَوَّس ، يا نصف أعمى و إن تفخر ، فيا نصف البصير

وعلى هذا المجرى حال استعمال اللفظ المعظم والمصغر. فإذا قيل مثلا : ذهيب ، وثويب ، حقر به المعنى الواحد بعينه الذى يعظمه لو قيل : العِقْيان ، أو قيل : الخلعة . بل إذا قيل : ثُعلُبان ، وقيل : ثعيلب ، وقيل : معطى ، وقيل : معيطى ، وعنى تصغير معطى ، اختلف المعنى بذلك شديداً . ويجب فى أكثر المواضع أن يتوقى الإفراطات جميعا .

والألفاظ الباردة على وجوه أربعة : منها الأقوال المأخوذة بالتركيب بدل الأسماء ، إذا جمعت من أعراض بعيدة ، غير خاصة ، مثل قولهم بدل السماء : الكثيرة الوجوه ، وقولهم بدل الأرض : جماء الهامة ، وقولهم بدل المتملق : صديق الحاجة ، وكقولهم بدل النفس العادية : أسد ، وكقولهم بدل قعر البحر : قانى اللون . فإن هذه الألفاظ المركبة ، إذا ذكرت ، لم تقم مقام حد ، ولا رسم ، ولا خاصة ، ولا يفهم منها غرض القائل . وأما فى الشعر ، فقد يجوز أمثال ذلك ، ويكون استعمالها لا على أنها تدل على الشىء ، بل على أنها ألفاظ تحاكى الشىء .

---

(٢) المتحققين : المحققين م (٣نا) أبو الطيب : أبو الطيب شعر م : + المتنبي ب (٤) أيا بن م ، سا : فيابن هـ : فيا ابن ب : أيا ابن س ، ن : أنا ابن د || و إن : فان ن ، هـ || تفخر : يفخر م ، ن : مجرس (٦) العقيان : القصبان ب (٧) ثعيلب وقيل معطى : سقطت من م || وقيل (معطى) : وقد قيل ب || وقيل (ثعيلب) : أو قيل س || وقيل معيطى : وقد قيل معيطى ب : سقطت من د (٨) بذلك : سقطت من د (٩) يتوقى : يتوقها ب ، م ، ن الإفراطات : الافراطان ب ، د ، م ، سا (١٢) الكثيرة الوجوه : الكرة المدحوة هـ || جماء : جما د ، هـ (ثم كتب تحتها جماء فى هـ) (١٣) وكقولهم : وقولهم س : وكقوله سا || وكقولهم : وقولهم س ، هـ (١٤) قعر : عقر س || قانى اللون : قانى الكون س : قانى اللوى ب || إذا : و إذا م (١٧) بل : سقطت من ب ، سا || الشىء : للشىء م

والنوع الثانى: أن يستعمل لغة غريبة ، إما من ذلك اللسان بعينه ، أو من لسان آخر ينقله إلى لسانه ، أو على سبيل الاختراع ، كما اخترع بعض أهل لسان العرب ، فقال :

ترافع العز بنا فارفنععا .

والنوع الثالث : أن يكون من الألفاظ الموضوعة الموافقة ما يستثقل جدا ، لا لنفس الغرابة ، بل لأنها محرفة فى هيئاتها عن القبول : لطوله جدا ، كاستعمالهم بدل الطويل: العَشَنَّق؛ أو لإبهامه : كما يتفق أن تكون الكلمة مبهمة لا تدل على زمانها ، فلا يعرف أن الأمر ماض مثلا أو مستقبل ، أو تكون محرفة الزمان كقولهم: كان ذلك ، أى سيكون ؛ أو لأنها متصلة ، أى متصلة بغير ذلك المعنى ، كتسميتهم الخمر صهباء ، حيث لا يكون مشهورا . فإن الصهوبة تشير إلى صفة تواصل الخمر بها غيره . أو قولهم للماء واللبن : الأبيضان ، حيث لا يكون مشهورا . وأمثال هذه لا تحسن فى الكلام الخطابى. ولا ما كان مشهورا جدا ، متعارفا على ألسنة الناس والغاغة ، وشيئا كالمملول . ولا يحسن أيضا ما يكون مع ذلك مأخوذا من الشعر مخيلا فيه طبيعة الشعر ، كما يسمع تقريبا من هذا

(١) لغة : لعله د || بعينه : سقطت من س || أو : ان د (٢) بعض أهل لسان العرب : بعض لسان أهل العرب ب : بعضهم د ، م ، ه || فقال : قال د : فيقال ن : سقطت من س (٤) ترافع : برافع م || فارفنععا : فارفنععا م : فارفيقعا سا : فان فيمعا ب : فان ضعفا د ا (٥) النوع : سقطت من د || الموافقة : سقطت من س || ما يستثقل : فيستعمل د (٦) لطوله : طويلة د (٧) بدل : يدل سا || الطويل : التطويل س : سقطت من سا || العشنق : العشق م : العمق ن || أو : سقطت من م || أو لإبهامه كما يتفق أن تكون الكلمة : أو تكون كلمة د || الكلمة : كلمه س (٨) أن : من د || تكون : سقطت من د (١١) قولهم : كقولهم م ، ن ، ه (١٢) ولا : إلا ن ، د ا || مشهورا : + إذ أمثال هذه لا تحسن فى الكلام س (١٣) وشيئا : وشىء م ، ن || كالمملول : كالمملوك د ، سا (١٤) فيه : فيه د || تقريبا : قريبا د : تقريرا س || من : + نحو س

الذي يسمى فى زماننا ذوب الشعر، وهو و إن استحسن فى زماننا، فإنما استحسن فى البلاغة من حيث هى بلاغة يراد بها التعجيب ، لا من حيث هى خطابة يراد بها إيقاع التصديق للجمهور، إذ ليس هو على عادة الجمهور ومذهب اللفظ المشهور ، بل هو كاللفظ الغريب، الغير اللذيذ عند الجمهور ، وعلى أن الإجماع إنما وقع على ذلك من المتعجرفين . وأما البصراء فإنما يحبون من ذوب الشعر ما هو حائل اللفظ ، لطيف المعنى ، وليس بالمفرط فى الاستعارة ، و يحبونه كالأبازير. ومن اللفظ البارد ما يسمج لإفراط جعله الشيء عظيما ، مثل ما كان لا يستعمل بعضهم فى كلامه لفظة "اللذيذ" ، بل يأخذ بدله "المغرى" . وقد ذكر لذلك أمثلة أخرى جمع فيها إن كان اللفظ متصلا ، ومع الاتصال فيه البرد التركيبى . و إنما يضطر إلى استعمال هذه الأشياء فى كثير منه حيث لا يوجد للشيء لفظ موضوع مفرد، فيحتاج أن يؤلف له لفظ دال عليه. ثم على طول الزمان ربما قبل واعتيد. و يكون قبل ذلك باردا. و بعض هذه الوجوه المستبردة قد يقع فى الشعر أحسن موقع . أما المضعفات فتلائم الوزن المسمى "افن" ، وهو وزن يستعمل فى المطربات المفرحة والمضحكة ، و يكون مع ذلك طو يلا. فيكون المضاعف لطوله، ولتعريضه للضحك منه ببرده، يلائمه. وأما الغريب فيصلح للوزن المسمى

(١) ذوب : دون د، ن، دا (٢) التعجيب : التعجب ب، د، م || هى : سقطت من س ، م ، ن ، سا (٣) المشهور : + بل هو كاللفظ المشهور م (٤) الغير : سقطت من ن ، دا (٥) ذوب : دون ن ، دا || ما : سقطت من سا || حائل : حارم : حاد د، س، ه (ثم كتب فوقها حائل فى ه) : حايك سا (٦) كالأبازير : كالابازيز م (٦ — ٧) ومن اللفظ البارد : سقطت من ب (٧) لإفراط : الإفراط ب || لا : سقطت من ن ، دا (٨) كلامه : كلامهم س || المغرى : المغذى ب ، د ، م ، ن ، سا (١١) ربما : وربما م || قبل : قيل م ، سا (١٢) و بعض : أو بعض د (١٣) موقع : مواقع م، ن، دا ، سا || فتلائم : فلائم م || افن : اقن ب ، م (١٤) المفرحة : والمفرحة د (١٥) للضحك : لضحكه ه || منه : سقطت من د || منه ببرده يلائمه : ببرده بلاغه ن ، دا || الغريب : الغرائب ن ، دا

"افى"، فإنه وزن يراد به تهويل الأمر فى السياسات والشرائع، ليخشع أو يحذر. والغريب من جملة ما يكون له ، كما أنبأنا به من قبل ، روعة وحشمة ، مع انقباض النفس عنه . كما أن الاستعارة تناسب "ايامبوا" .

وأما النوع الرابع من الألفاظ الباردة : فهى الاستعارات التى لا تشاكل الخطابة أصلا ، إما لشدة بعدها والغلو فيها ، و إما لحقارتها وذهابها إلى جهة الاستهزاء ، فإنها قبيحة . و إن كانت الاستهزائية منها تصلح فى ضروب من مؤذيات الشعر ، وهى التى تذكر فيها الأهاجى والفحش والرفث . والمبعدات العظيمة جدا منها تستعمل فى "الاطراغودية" .

والتشبيه يجرى مجرى الاستعارة ، إلا أن الاستعارة تجعل الشىء غيره ، والتشبيه يحكم عليه بأنه كغيره ، لا غيره نفسه ، كما قال القائل : إن أخيلوس وثب كالأسد . والتشبيه نافع فى الكلام الخطابى منفعة الاستعارة ، وذلك إذا وقع معتدلا . فأما أصله فهو للشعر . ويجب فى التشبيه والاستعارة ، إذا استعملا فى شيئين معا ، أن يكونا متجانسين . مثلا : إذا دل على الزهرة والمريخ معا بالاستعارة ، أو بالتمثيل ، أو بالمحاكاة ، فقيل فى هذه : ما سكة الكأس ، فينبغى أن يقال للمريخ : ماسك الحربة . حتى إذا كانا نظيرين ومتخالفين معا ، يمثلان بشيئين متناظرين من جهة ، مختلفين من جهة خاصة كل واحد منهما .

---

(١) به : + فيه ن ، د ا || ليخشع : ليشجع س ، ه (٢) له : سقطت من م || أنبأنا به : انبأناه م || روعة : ورعه م (٣) ايامبوا : أيا ميوا م : اامبوا س : ايامبو ن ، سا : ايامنو ه (٥) أصلا : سقطت من ب ، د ، سا || إما : واماس || والغلو : فالعلو د (٦) من : سقطت من سا (٨) الاطراغودية : الاصطراغورية م : الاطراعوريه ب ، سا : الاطراء عودية د : الاطراغوذية ه (٩) والتشبيه يجرى... الشىء غيره : سقطت من د || التشبيه : الشبيه سا || إلا أن الاستعارة : سقطت من سا (١٠) التشبيه : الشبيه سا || كغيره : لغيره ب || غيره : غير ب ، ن ، د ا (١١) التشبيه : الشبيه د ، سا (١١ — ١٢) وذلك اذا وقع ... والاستعارة : سقطت من م (١٢) فاما : وأما د || التشبيه : الشبيه ب ، سا (١٥) الحربه : للحربة س ، ه || كانا : كان د ، م ، ن || نظيرين : نظارين م || ومتخالفين : ومتقاربين د (١٦) متناظرين : مناظرين سا || بجهة : وجه ه : وجهين د || مختلفين : متخالفين س || جهة خاصة : جهة أخرى خاصة ن ، د ا || واحد : سقطت من ن || منهما : منها د

فصل [الفصل الثانى]

فى إشباع الكلام فى اجتناب ما يهجن اللفظ واختيار ما يحسنه وما يحسن فى الشعر ولا يحسن فى الخطابة وما يحسن فيهما جميعا

فلنتكلم الآن فى كيفية اختيار اللفظ ، فنقول :

يجب أول كل شيء أن تكون فصيحة صحيحة ، لا لحن فيها بحسب اللغة ؛ فإن اللحن يركك الكلام ويرذله . ثم ينبغى أن تراعى الرباطات بتمامها . والرباطات هى الحروف التى يقتضى النطق بها عودها مرة أخرى ، وارتباط كلام بها ؛ فينبغى أن لا ينسى إعادتها ، أو أن لا ينسى الكلام المرتبط بها ، مثل أنه إذا قال : أما أنا فقد قلت كذا ، فينبغى أن يتم الكلام ، فيقول : وأما أنت ، أو إنسان آخر فلم يفعل كذا . فإن الوقوف على "أما" هو نقصان من واجب الكلام ؛ وأن لا يباعد بين الرباطين بحشو دخيل ينسى ما بينهما من الوصلة ؛ وأن يراعى حقه من التقديم والتأخير ، فإنه يجب أن يقول : لمّا كان كذا ، كان كذا ، فإن حق "لما" أن يقدم . ويقول : كان كذا ،

(١) فصل : نصل ٢ ه : فصل تَ ب : الفصل الثانى س ، م (٥') فلنتكلم : فيتكلم د || اللفظ : الالفاظ س ، ه (٦) كل : سقطت من س || فصيحة : فضيحة د : فصيحا ب ، ن ، ه ، د ا || صحيحة : صحيحا ب ، ه ، ن ، د ا : سقطت من م || فيها : فيه ب ، ه (٧) تراعى : يراعى د || الرباطات : الرابطات م ، ن ، د ا (٨) والرباطات : والرابطات ن ، د ا || يقتضى : مقتضى ه || النطق : الناطق د (٩) اعادتها : اجادتها س || أو ان لا : ولا ن ، د ا : أو لا د (١٠) يتم : يتم م ، ن ، د ا (١١) فلم : لم س || اما : ما ن ، د ا (١٢) دخيل : دخل س (١٣) فانه : وانه ب (١٤) يقدم : يتقدم د

لأن كذا كذا ، فإن تقديم "لأن" قبل الدعوى سَمْجٌ . أقول : ولم يأتمر بهذا فرفوريوس، صاحب ايساغوجى. وأن لايدخل رباط بين رباط وبين جوابه ، إلا فى بعض المواضع ، كقولهم : أما أنا ، فلأجل الرغبة فى حمدك ، فارقت قومى ، وقصدتك ؛ وأما فلان فيلزمهم . فلأن لفظ "فلأجل" قد دخل بين "أما" الأول ، وبين "أما" الثانى ، وتوسط ، فلم يقبح . وربما لم يوسط بل جعل فى الطرف، كقولهم : أما أنا فأتيتك ، وأما فلان فلم يأتك . ثم يورد العلة فى الطرف ، فيقال : لأجل كذا . وهذا إنما يحسن حيث يكون الرباط الأول شديد التنبيه على الثانى . ثم للغات فى هذا أحكام ، فليس يمكن أن يقال فيها قول كلى محقق . بل ينبغى أن تكون الألفاظ التى لا يراد فيها التشبيه والاستعارة ألفاظا خاصة، غير مشتركة ، ثم لا تكون مغلطة وتوهم بمعناها الواحدِ الشيءَ وضده. فأمثال هذه الألفاظ تستعمل تغليطا ، مثل ما يستعمل انبادقليس الكرة التى يقول إن العالم سيصير وقتا إليها ، كما ابتدأ وقتا منها . وكما يتلفظ به المتكهنون ، مثل الحكم النجومى الذى حكم به بعض المنجمين ، فقال : فلان الملك اليونانى ، إذا عبر النهر تأدى الأمر به إلى بطلان مُلك عظيم. فلما عبره، تلقاه كورش الملك وهزمه وأفسد ملكه . ولم يجد إلى الإنكار على المنجم سبيلا،

---

(١) لأن كذا كذا : لان كذى كذا د : لا كذى كذا س || (تقديم) لان : الان م || سمج : يسمج د || اقول : واقول م ، ن || بهذا : بذلك س (٢) فرفوريوس : سقطت من ب ، س ، سا || ايساغوجى : الساعوجى س || صاحب ايساغوجى : سقطت من د || رباط بين : رباطين ب || وبين : ومن م (٣) الا : لا ب || كقولهم : كقولك س (٤) فيلزمهم : يلزمهم ن ، دا || فلأن : فان س ، ن (٥) وبين : سقطت من س || وتوسط : فتوسط ب || فلم : لم د : ولم ب (٨) للغات : اللغات م ، ن ، دا (٩) قول : بقول ب ، س ، سا || بل : ثم د (١٠) ثم : + ان د ، ه || وتوهم : توهم د (١٠ — ١١) الواحد الشيء : الشيء والواحد س (١١) وضده : ويضده م || فأمثال : وأمثال د || الالفاظ : + اناس || انبادقليس : انباذقليس ه (١٢) الكرة : للكرة ب || (سيصير) وقتا : وقت م || يتلفظ : يلفظ د (١٣) به : بها س || فقال : + ان د (١٤) الأمر به : أمره د (١٥) تلقاه : تلقا ب

لأنه لم يكن بيّن أى المُلكين يبطل بعبوره . وإنما كان الملك نفسه ، ومن ذات نفسه ، وبحسب وهمه ، ما تخيل أن مُلك كورش يبطل . ولفظ الكاهن كان محتملا للعنيين . ولمثل ذلك ما يكون المنجم والكاهن جسورا على القضايا بأمور كلية جدا ، إذ الغلط فى الجزئية أكثر . ولذلك فإنهم يحكمون حكما مبهما جدا ، غير مؤقت ولا مكيف . والوجه الرابع : أن يراعى أمر التأنيث والتذكير، ما كان بعلامة ، ومالم يكن بعلامة ، حتى لا يقع فيه غلط . والوجه الخامس : أن يراعى أمر الجمع والتثنية والوحدان والتصاريف التى تختص بها . وينبغى أن يسقط الرباطات والإدخالات والتعويضات بالشروط المتداخلة بالتقديم والتأخير ، ويجعل الكلام عفوا ، حسن الدلالة . وأن تكون هيئات الدلالة على الوقف بالتقصير ، وعلى الاتصال بالتثقيل مراعاة على حقوقها . وهذا شيء يكثر فى اللغة السريانية واليونانية . ويحذر إيقاع اللفظ موقعا يمكن أن تقرن دلالته بموضعين مختلفين ، كقول بعضهم : إن هذا القول كان دائما للرجال الحكماء ؛ لأن الدائم لا يدرى أهو فى شرط الموضوع ، أو فى شرط المحمول ، أى على أن هذا القول إذا كان دائما فهو للرجال الحكماء ، أو على أن هذا القول للرجال الحكماء كان دائما . فيحتاج ضرورة إلى علامة تتصل به : أما فى الكتابة فإلى الشكل والإعجام ؛ وأما فى العبارة فإلى مثل ذلك من الدلالة .

---

(١) بين : + ان س (٢) بحسب : سقطت من د (٣) محتملا : محلا م || للعنيين : بلعنيين د || ولمثل : ومثل د || القضايا : القضاء د ، م (٤ — ٥) إذ ... جدا : سقطت من سا (٤) ولذلك : وكذلك ب ، م (٧) الجمع والتثنية : التثنية والجمع م (٨) الرباطات : الرباط د || والتعويضات : والتعريضات م ، ن ، دا || بالشروط : بالشرط س || المتداخلة : والمتداخلة س ، م (١٠) الوقف : الموقف ن ، د ا || بالتثقيل : بالسمل ن : بالتنقل د ا (١١) اللغة : لغة د ، س || ويحذر : ويحرزم (١٣) فى شرط المحمول : شرط المحمول د (١٤) أى : التى م : أو ب ن || للرجال الحكماء : الرجل الحكيم م ، ن ، د ا (١٥) الحكماء : + وان ن : + إن د ا : + إذا سا

وهذا مما ليس فى كلام العرب . وهذا كما يجب عليك، إذا ذكرت الشىء وحده، أن تدل عليه بالاسم الذى يخصه، كما تقول فى حكاية حال العين : إنها أبصرت . فإن قال : أحست ، لم تدر إلى أى الحواس يرد ، إذ كان محتملا للرد إلى كل حاسة رد العين إلى الإبصار واللمس . فكذلك حال الدائم هناك، لكنه إذا ذكر حالا عامة لا نبين ،مثل حال عامة لفعلى السمع والبصر معا ،احتاج ضرورة إلى أن يقول: تحس، وأغناه ذلك عن أن يقول : الأذن والعين أبصرت وسمعت، بل يقول: أحستا . وكذلك إذا جمع المذكر والمؤنث معا ،أو ثناهما، فغلب المذكر .

ومن الأشياء المفسدة لرونق النظم إدخال كلام فى كلام ، مثلا كما يقول : كنت أريد أن آتيك وقت المساء ، وفى ذلك الوقت يرجع الناس إلى بيوتهم ويتهيئون لصلوٰة المغرب ، ولتناول العشاء ، لأن الشمس تغرب ، والليل يقرب ، لكنه منعنى من ذلك بعض الموانع .

واعلم أن الكلام ربما نفع إيجازه حين يراد الإفهام الوحىّ ، ويوثق بتعقب الإقناع إياه لمعرفة حال السامع، أو حال الأداء . فيجب أن ترد الحدود والرسوم هناك إلى الألفاظ المفردة . وربما نفعت بسطة للإسهاب به حين يراد توكيد

(١) كلام العرب : الكلام العرب م : الكلام العربى ب ، ن ، دا (٣) أحست : أحسنت ب،م،ن || لم : فلم ب ، م ، ن || يرد إذ : يزداد م : يرد اذا س ، دا || كل : سقطت من م (٤) رد: وفى د || فكذلك : وكذلك ه || حال : حالا سا || لكنه : لاكنه م (٥) حالا : حال س،م،ه || عامة : علامة م || لاتبين مثل حال عامة : سقطت من سا || لا : لم ن،دا || مثل : من ب: سقطت من س||الفعلى : لفعل ه: بفعلى ب : لفظى م || السمع والبصر : السميع والبصير س || احتاج : احتياج م || الى : سقطت من د (٦) يقول : يقال د || تحس : وتحسن ب ،د، ن، دا || سمعت : رأت س (٧) احستا : احسنتا م (٨) (إدخال) كلام : الكلام س || مثلا : سقطت من س ، سا (٩) وفى ذلك : فى ذلك د (١٠) يتهيؤن : يتأهبون هامش ه : باهبون س (١١) يقرب : تقترب سا || منعنى : معنى م (١٢) نفع : يقع فى م || إيجازه : اتخاذه م (١٣) لمعرفة : بمعرفة ب ، د ، ن، دا ، سا || الأداء : الاراء ب || ترد : تراد د (١٤) نفعت : نفع ب، ه: يعقب دا || بسطة : بسطه ب،م : بسيطه س ، د ، ه || للاسهاب : وللاسهابه م : الأسباب د : والأسهاب س ، ه || به : + وأمام

الإقناع والتهويل . فيجب أن تبـدل الألفاظ المفردة بالأقاويل . وقد يبدل الاسم بالقول ، إذا كان الصريح يستبشع ، مثل الاسم الصريح لفرج النساء ، فالأحسن أن يبدل فيقال : عورة النساء ، وكما يبدل اسم الحيض بدم النساء ، ويبدل الاسم الصريح للجماع بلمس النساء . وربمـا بدل الاسم بالصفة المفردة ، فيقال بدل الاسم الصريح للجماع : الوطء ، وبدل اسم ذلك الذى لهن : العورة . وربمـا تركت الصفة ، وفزع إلى التشبيه والاستعارة .

والشعراء يجتنبون استعمال اللفظ الموضوع ، ويحرصون على الاستعارة حرصا شديدا ، حتى إذا وجدوا اسمين للشيء ، أحدهما موضوع ، والآخر فيه تغيير ما ، مالوا إلى المغيَّر . مثلا : إذا كان شيء واحد يحسن أن يقال له : مستراح ، ويقال له : مسكن ومبيت ، وكان تسميته بالمسكن أولى ، لأنه مكان المرء ووطنه ، سموه بالمستراح ، لأنه يدل على تغيير ما ، ويخيل راحة ما . كما ينتقلون إلى الوصف عن الاسم ، فيقولون لبعض الدور والمساكن : تلك الكثيرة الأبواب ، ولبعضها : تلك التى لها وجهان ومصراعان متباينان ؛ ولا يقولون بالتصريح : إنه دار فلان ، أو مسجد فلان ، بل يتركون الاسم الموضوع ، ويميلون إلى النعت . كذلك يتركون الاسم الموضوع ، وينتقلون إلى اسم مشتق عن وصف ، أو إلى مستعار . وبالجملة : إلى مغيَّر هذا .

(٢) إذا : إذ م || الصريح : سقطت من ن ، دا || يستبشع : يستشنع س ، دا || مثل : مثلا د || الاسم : اسم سا (٣) فيقال : ويقول س || وكما : كما س || الحيض : الجنس د (٤) ويبدل : فيبدل س (٦) التشبيه : الشبيه سا (٧) حرصا : وحرصا م (٨) اسمين للشى : اسمين لشيء م ، ه : للشى اسمين س || تغيير : تغير د ، س ، سا (٩) مالوا : قالوا د (١٠) وكان : كان ن ، دا : وب (١١) ووطنه : وطنه م : ووطنوه ب || بالمستراح : المستراح د ، س ، ه || تغيير : تعين م : تغير د ، ب : نعن س || يخيل : تخييل ه || كما : وكما س ، م ، ه (١٢) الكثيرة : الكثير ب (١٤) مسجد فلان : المسجد الفلانى د ، ه || الموضوع : سقطت من د ، س (١٥) كذلك : لذلك ن ، دا || الاسم الموضوع : الاسم لموضوع م (١٦) مغير : متغير سا : معنى غير ب : معا د

ومما يعين على الإيجاز : ترك الروابط ، وحذف حروف الإضافة ، والصلات ، إذا وقع عنها استغناء . وليس يحسن استعمال المعدول حيث يوجد اللفظ المعتدل ، الموجز ، المحصل . فإن المعدول لا يدل النفس على معنى يقع عنده ، بل إنما يدل على المراد بالعرض ، كما علمت . فيجب أن لا تعتقد أن فى استعماله كل تلك الفصاحة والشرف ، بل يجب أن تستعملها فى التعريضات حيث يكره التصريح ، وفى التهويلات وحيث يراد التعجيب والتغريب . وهذه الأشياء تجوز فى الإفراطات المديحية والهجائية ، حيث تذكر خيرات وشرور ، لا لأجل أن ينتفع بها . وكذلك تحسن جدا فى الشعر . وأما فى المشورات فلا تحسن إلا حيث يراد تهويل ما بالتحذير . وأما الشكاية فقلما يحتاج فيها إلا إلى ما يدل على المعنى بالمطابقة . وأما الاعتذار فربما احتاجت الشعراء فيه إلى مثل ذلك ، فكثيرا ما يستعملون ذلك ، فيقولون مثلا : إن الأشعار ألحان غير مزهرية ، و إن النفخ فى المزمار القرنى عزف غير عودى . وأحسن هذه ما يحفظ المعادلة . و إنما تكون المعادلة إذا كان للشىء ضد ، أو نظير وشريك ، فدل عليه بسلب ذلك الشىء عنه ، فيقال : الجاهل غير عالم ، والزمر عزف غير وترى . إذ كان الجاهل غير العالم ، وكان الوتر نظير الزمر . وأما أن يقال : غير إنسان ، أو غير اثنين ، أو ما أشبه ذلك ، فهو مستكره ، غير مقبول .

(٢) استغناء : الاستغناء د || المعتدل الموجز : القليل د (٣) معنى : معمى سا || يقع : نفع س : يقوم سا || (٤) أن فى : فى د ، س || استعماله : استعمال م ، ن || الشرف : السر نف س (٥) وحيث : حيث س (٦) التعجيب : التعجب د ، س ، هـ ، سا || الافراطات : الافراطان د || المديحية : المدحه س || والهجائية : الهجائية د (٧) ينتفع : ينفع د (٨) المشورات : المشوريات د : المتثورات سا || وأما : + فى د (٩) إلا : سقطت من د || المعنى : المعانى م ، ن ، دا (١٠) احتاجت الشعراء فيه الى مثل ذلك : يحتاج فيه الى مثل ذلك الشعراء د || فيه : فيها م ، ن ، د ا (١١) مثلا : سقطت من سا || مزهرية : مزموره س || و إن : و س (١٣) للشىء : لشىء د : + له م || فدل : ودل د (١٤) الجاهل : للجاهل س ، سا || غير عالم : سقطت من س || الزمر : للزمر سا وترى : وترد || غير العالم : غير مقابل للعالم د : مقابل العالم هـ (١٤ — ١٥) إذ كان الجاهل ... الزمر : سقطت من س (١٥) أو (ما أشبه) : و س (١٦) مستكره : مستنكر س ، هـ : ممتكرم م

والألفاظ الفصيحة الموافقة هى المطابقة، والمخيلة مع ذلك على سبيل التضليل، وهى التى تجمع إلى تفهيم المعنى التخييل المطابق للغرض أيضا، إذا فهمت؛ وذلك إما للعبارة ، وإما لنفس اللفظ ، كما يقال بدل الخبيث من النـاس : القذر ، فإنه تقزز عنه مع إفهام المنقصة المقصودة . وأن يكون معتدله . والمعتدل هو الذى لا يفرط فى الصفة حتى يدخل فى حيز الكذب الظاهر ، ولا يقصر أيضا تقصيرا يسلب الصفة رونقها . ويجب أن يقال فى كل شىء بما يناسبه ، ولا يقصر فى الامور العـالية ، ولا يفرط فى الأمور المتواضعة ، وأن يهجر اللفظ العامى السفسافى الذى لا يستعمله إلا الغاغة . فإن الشعراء الهجائين أيضا ، إذا قصدوا قصد الفحش والسقط السفسافى من المعنى ، اجتنبوا اللفظ الساقط ، وهو بذلك أليق . فإن السفساف أليق بالسفساف. وقد ينتفع بالألفاظ الانفعالية والخلقية انتفاعا شديدا ، وذلك حين يراد أن يثـار انفعال . فتكون الألفاظ المثيرة للأنفة، الفاضحة، صالحة لإثارة الغضب. وأما الألفاظ المستقبحة للفواحش والآثام ، فإنما ينتفع بها حين يزهد فى القبائح . وينتفع بالمدحيات للاستدراج ، وبالذميات والمؤذيات عند الغم. فإن الألفاظ، إذا قرنت بهذه الأحوال، ضللت النفوس ، وجذبتها إلى جانب التصديق ، وقهرتها إلى القناعة ، وحصلت هيئة

---

(٢) تفهيم ﻫ : تفهم ب ، د ، ن ، م ، سا : أن نفهم س : الفهم د || المعنى : للمعنى د || التخييل : التخيل د : المخيلى س (٣) اللفظ : الأمر د || بدل : هذا د (٤) تقزز : تقرر ب ، م ، د ، ن : يقذر س : يقرب ﻫ || المنقصة : النقيصة ن ، دا || وأن : فأن د (٧) يقصر : يقتصر د || العالية : الغالبة ب ، ن ، ﻫ ، دا ، سا || وان : ان د || يهجر : يهجن د (٨) السفسافى : السفساف س || الهجائين : المجانين د (٨ — ٩) إذا قصدوا : يقصدون ده (٩) اجتنبوا : يجتنبون د : أخذوا م ، ن ، دا (١٠) بذلك : سقطت من د (١٢) للأنفة : اللايقة ب ، د : للايقة م || الفاضحة : أو الفاضحة س ، سا : أو الفضيحة ﻫ : والفاضحة د : + أو القبيحة م (١٢) المستقبحة : المقبحة د ، بس : المستقيمه ب (١٤) وبالذميات : بالذميات سا || الغم : الغموم : العمر ن ، دا || الأحوال : الألفاظ س || ضللت : اوضللت م (١٥) وجذبتها : فجذبتها س ، م

نفس السامع على هيئة نفس القائل. وللفظ سلطان عظيم، وهو أنه قد يبلغ به، إذا أحكمت صنعته، مالا يبلغ بالمعنى، لما يتبعه أو يقارنه من التخيل. فإذعان النفس لما تهيؤها له قوة اللفظ يقرب البعيد من التصديق، كما أن التهيئات الخلقية اللاحقة للإنسان وغيرها مما يقرب من التهيئات تقرب البعيد من الانفعال، والطاعة، وتصديق ما يبنى على ذلك الانفعال. والألفاظ الخلقية تقوم مقام هذه الهيئات. والكلام الخلق هو المحرك نحو اعتقاد خلق، واستشعاره، والركون الى إيثاره. والكلام الانفعالى هو المحرك فى الوقت لانفعال، وإن كان مخالفا للخلق، مثل ما يخجل الحكيم ويجنبه ذكر ما يطابق باللفظ الصريح بين الخلق والانفعال. ومن هذه الألفاظ الانفعالية قول القائل: كل عاقل يعلم أن كذا كذا، فيستحيي السامع إنكاره؛ وقول القائل لخصمه: أتظن أن الناس يذعنون لزرقك، ويصغون إلى تلبيسك؟ أو يقول: أنت هو ذا تستحقر الحاكم والحضور ولا تعبأ بهم، ولا تنقد أولا ما تعرض عليهم من كلامك. وهذا وما أشبه يغيظ المتوسطين، ويخرجهم إلى توبيخ الخصم.

وأما وجوب اختيار الوقت لكل عمل من هذه بحسبه، فهو أمر يعم كل شيء.

---

(١) نفس: النفس م، سا || السامع: للسامع م، سا || وللفظ: واللفظ ن، دا (٢) أحكمت: حكمت ن، دا || صنعته: صيغته م: صيغته هـ: صعته ب: صسعته س: صنيعته ن: صعه د || لما: بما س || أو: أن د || يقارنه: يقاربه سا: يفارقه م || من التخيل: سقطت من سا (٣) تهيؤها: يهيئها د، س || التهيئات: التهيئات ب، س، م: الهيئات د، هـ، ن، دا || الخلقية: الحلقيه د (٤) مما: سقطت من سا || مما يقرب: سقطت من س || مما يقرب من التهيئات: سقطت من د (٤) التهيئات: الهيئات هـ: سقطت من د (٥) الطاعة: التصديق س || وتصديق: وبتصديق م (٦) المحرك: المجرى س || نحو اعتقاد خلق واستشعاره والركون: استشعاره الى كون نحو اعتقاد خلق ب، سا: واستشعاره الى كون نحو اعتقاد خق م || واستشعاره: سقطت من د، ن، هـ || والركون: والسكون هـ، دا: سقطت من د (٧) إلى إيثاره: إلى إيثار د: إلى ايثار خلق هـ: اثاره ن (٨) للخلق: للحق د (٩) الألفاظ: سقطت من سا (١٠) فيستحيي: فيستحق ب || يذعنون: يدعون سا (١١) لزرقك: لزرعك س: لزقك م || ذا: ذى س (١٢) اشبه: اشبهه سا

وأما دعوى الصحة فهو أيضا من ذلك القبيل . ودعوى الصحة أن يقرن بكل لفظ يقوله : إنه لاشك فيه ، وإنه من البين . وكذلك وجوب تقدمة الأعداد.

وليس يجب أن يستعمل الخطيب المعتدلات فقط ، فربما وجب أن يستعمل تلك الأخرى ، ويستدرج السامعين بترك استعمال المعتدلات ، مائلا بالألفاظ بها إلى الإفراط المذكور، أو التقصير المذكور. وكذلك يلزمه أن يستدرج بأحد الوجوه ؛ فإنه إن لم يفعل هذا ، لم يكن القول إلا ساذجا على فطرته الأولى ، غير معان بحيلة . وحينئذ ربما لا يفاد منه إقناع . فإذا غلظ اللين ، ولين الغليظ ، كان فى ذلك تدارك للشيء بلطف الصنعة ، ورد إياه إلى الإقناع . وأما الأسماء الموضوعة والمضاعفة والغريبة فتصلح فى الأحوال الانفعالية ، وخصوصا إذا قرن بها معان انفعالية وعرض لمدح ، أو ذم ، أو احتشام ، أو تقرب بتودد ، مثل ما كان يقول سقراط : إنه سيتم مرادى ، فلقد تم صبرى وجهادى . والمجاهد فى الحق يبلغ منه أربه . وهذا أشد موافقة للشعر . قال : وعليه كان الشعراء القدماء . ولمثل هذا ما كان الشاعر فى القديم ينزل منزلة النبي ، فيعتقد قوله ، ويصدق حكمه ، ويؤمن بكهانته ، إذا كان يزعم مايحكم به بمثل هذه الأشياء.

لكن الخطابة ، وإن رخص فيها بمثل هذه الأحوال ، فلا ينبغى أن يقرن بها وزن وعدد إيقاعى ، فإن الناس يلحظونها حينئذ بعين الصناعة والتكلف ، وأنه إنما يفعل

(١) فهو أيضا من ذلك القبيل ودعوى الصحة : سقطت من م (٢) لفظ : لفظة م (٥) الافراط : الافراد م || يلزمه : يحب س || بأحد : بأخذ ب ، س ، م (٨) الغليظ : الغلط ب : العلط سا || تدارك : سقطت من ن ، دا || للشيء : الشى م ، ن ، دا || الصنعة : الصنيعة س ، ن || رد : رده د : ردا س ، م || إياه : سقطت من د (٩) الغريبة : القرينة م : القرىة ب || الاحوال : الافعال ن ، دا (١٠) معان : معانى د (١١) مرادى : من اذى بخ || فلقد : ولمد د (١٢) قال : وقال س : سقطت من د || وعليه : عليه هـ (١٣) منزلة : سقطت من م || فيعتقد : سقطت من س || يزعم : يدىم س || بمثل : لمثل ن ، دا (١٦) يلحظونها : يلحظونه بها م || الصناعة : الصنعة د ، س : الصنيعه سا

فعْله لمـا صنع عليه من تلك الصنعة ، وأفرغ فيه من ذلك القالب ، وأنه من جملة ماصنع ليتعجب منه و يتخيل عنه ، لا لإيقاع التصديق . وتدعوهم حشمته الى شدة صرف الهمة كانها الى تفهمه ، فيسبقون اللفظ ، و يفهمون الغرض قبل الوصول اليه ، فيعرض من ذلك أن لا يلتذ به ، حين ما يسمعونه ، بل يكون كالمفروغ منه ، و يعرضونه بذلك للتعقب ، خصوصا والزمان يسع له . فربما سمع وهو معاند ، ويكون ذلك كما يبدر الصبيان المتعادون أمام المنادى فى السوق ، فيخبرون بما يقوله . فإذا طلع على القوم ، رمق بعين الاستغناء عنه .

وأما اللفظ المتخلخل ، وهو المقطع مفردا مفردا ، فهو شىء غير لذيذ ؛ لأنه لا يتبين فيه الاتصال والانفصال فى الحـدود التى تتناهى إليهـا القضايا وغير القضايا أيضا التى هى مثل النداء والتعجب والسؤال ، إذا تمت . فإن لكل شىء منها حداً وطرفا يجب أن يفصل عن غيره بوقفة ، أو نبرة ، فيعلم . و إذا كان الكلام مقطعا ليس فيه اتصالات وانفصالات ، لم يلتذ به . وهذا الوصل والفصل وزن ما للكلام ، و إن لم يكن وزنا عدديا . فإن ذلك للشعر . وهذا الوزن هو الذى يتحدد بمصاريع الأسجاع . فإن قَرُبَ من الوزن العددى تقريبا ما ، لايبلغ

---

(١) لمـا صنع عليه : سقطت من د || من : على د || الصنعة : الصنيعه سا : الصناغة د || فيه : فى د || من (ذلك) : سقطت ب ، د ، سا (٢) ليتعجب : لا يتعجب ن ، دا : ولا متعجب سا : لان يتعجب ه || يتخيل : لا يتخيل ن ، دا || لا : سقطت من ن ، د ا || حشمته : حسميه سا || شدة : سقطت من سا (٣) تفهمه : فهمه د || فيسبقون : فيشقون د (٥) للتعقب : المتعقب سا || فربما : وربمـا م (٦) يبدر : يتدرب : ندر د ، ن (٧) فيخبرون : فسحرون س || فاذا : واذا سا || طلع : اطلع ب ، م (٨) المتخلخل : المتخيل د || مفردا مفردا : سقطت من س (٩) يتبين : يبين د ، م ، سا || والانفصال : أو الانفصال س || فى : من س || تتناهى : مناها س (١٠) القضايا : + وغير القضايا م || أيضا : سقطت من س (١١) يجب : ويجب س || نبرة : بنبرة د (١٢) الوصل والفصل : الفصل والوصل م ، ن ، دا ، سا (١٣) للشعر : الشعر م ، سا (١٤) لا : لم د

الكمال فيه ، فهو حسن . وهذا التقريب أن تكون المصاريع متقاربة الطول والقصر ، و إن لم تكن قسمتها قسمة متساوية إيقاعية . وللنبرات حكم فى القول يجعله قريبا من الموزون . وكذلك فإن القول المنثور أيضا قد يجعل بالمدات موزونا ، كالخسروانيات فإنها تجعل موزونة بمدات تلحقها . وأنت ستعلم معنى الوزن فى موضع آخر ، وذلك حين نتكلم فى الإيقاع الشعرى ، إذا بلغنا إلى الموسيقى . فمن الأقاويل ما ينبغى أن تورد النبرات فيه عند تمام قول قول ، وذلك عندما يكون الكلام قصيرا ، ويحتاج أن يكون مع قصره فخما ، فتُخلل أجزاؤه القولية الصغرى بنبرات ؛ وكأن هذه الأقاويل هى التى تسمى باليونانية «أيامبيق» و«ماريقا» . وأحوج الأقوال إلى النبرات هى القصيرة المتعادلة الأجزاء ؛ وأما الطوال فتقل حاجتها إليها ، فإنها تزداد بذلك طولا . وأعنى بالطويل من الأقاويل مثل ما تكون القضايا فيه كثيرة أجزاء الموضوع والمحمول . ومثل ذلك أيضا فى سائر أقسام اللفظ المركب . فيجب أن لا تخلل هذه الأقاويل الطويلة إلا النبرات التى لا ينغم فيها ، و إنما يراد بها الإمهال فقط . وربما احتيج أن تُخلل الألفاظ المفردة ، إذا كانت فى حكم القضايا ، خصوصا حيث تكون على سبيل الشرط والجزاء ، كقولهم : لما التمس ، أعطيت ، فيقول بين "التمس" و بين

(١) الكمال : الكلام ن ، ه ، دا || فهو : وهو م || الطول : الطوال م (٢) و إن : فان س || قسمتها : قسمها ب || وللنبرات : والنبرات د (٣) الموزون : الوزن ن ، دا || فان : يكون د || المنثور : المبتور ب (٤) موزونا : موزونه س || فانها : فلما د (٥) موضع : مواضع ب ، م ، ن ، د ا ، سا || آخر : اخرى م ، ن ، دا || الإيقاع : الأنواع د (٦) قول قول : + قول م : قول ه (٧) يكون : سقطت من ن ، دا || يكون : + الكلام م ، ن ، دا ، سا || فخما : نفا د || فتخلل : فيتخلل ب ، م ، ن ، ه (٩) ايامبيق : اامبى ب : الاناسى د : الاناسعى ه (ثم كتب تحتها ايامبيق) || وماريقا : وهو مار ىما د || المتعادلة : المتعاله س (١٠) فانها : فلها د (١١) القضايا : الأقاويل د (١٢) أقسام : سقطت من م (١٣) النبرات : نبرات د || بها : سقطت من سا || تخلل : يخلل م (١٥) التمس و بين : سقطت من د

"أعطيت" نبرة إلى الحدة ، وهو عند الشرط ، و بعقب "أعطيت" نبرة أخرى إلى الثقل ، وهى للجزاء . و يشبه — والله أعلم — أن يكون هذا الجنس من الكلام باليونانية يسمى «ايامبيق» . ومن الكلام والعبارة ما تكثر فيها النبرات ، فيصير كالجمز ، وكأن ذلك قريب من الشعر ، وكأنه أحسن للغالطة والتغيير ، وهو يشبه بالأشعار الرباعية . وذكر أن ثراسوماخوس أول من تكلم فيها ، أو بها . ونوع من النبرات يأتى عند خواتم الفصول ، و يشتمل على هـذه ، ويشبه أن يكون يسمى هذا «فودون» . و يجب أن يميز بينه و بين النبرات الأخرى المتخللة والمبتدئة — «وفادون» كأنه أمر لابد منها فيه — وعن سائر تلك الأخر . وقد يجب أن يكون «مرون» بالمقطع الممدود ، ليس المكتوب ، مثل الألف التى تكتب فى : لنسفعا ، و يسمع بدله حرف آخر ، أو فى : اعلموا ، ولا يسمع البتة ، بل المسموع المطابق .

وأقول : إن العادات توجب فى النبرات ودلائلها أموراً لا تضبط ، وكذلك فى تلفيق الكلام ، وتصريفه ، وتسجيعه وغير ذلك . ثم لليونانيين فى هذا الباب أحوال لم نحصلها ، ولم نقف عليها ، وما نراها نحن ينتفع بها اليوم .

---

(١) الحدة : الحد سا || بعقب : تعقبت م || أعطيت : أعطيته م (٣) أيامبيق : أناميق م : أيامبق س ، ه : اما ميق د ، سا (٤) كالجمز : كالجرسا : كالجر الحسم م : كالجرب ، دا : كالجر س ، ن ، ه (ثم كتب فوق الجر فى ه : نحر) : كالجز د || للغالطة : المغالطة د || التغيير : التغير د ، م ، سا || هو : سقطت من د ، ه (٥) ان : سقطت من م ، ن ، دا || ثراسوماخس : ترامامخس م : براسوماخس ه ، سا : ترسوماخوس د || أو بها : سقطت من د ، م || ونوع : نوع ن ، دا (٦) خواتم : خاتم ن ، دا || يكون : سقطت من ن ، دا (٧) فودون : قورون م : فورا د : فوزن ب : فورن ه : ورون سا : فورون ن || الاخرى : الاخر د || المتخلله : المتخلكة د || فادون : قارون ب ، م : فارون سا : مارون د (٨) لابد : لابذ م || لابد : + له س ، م || الاخر : الاخرة ب ، ن ، ه ، دا ، سا : الاخر به د || قد : سقطت من د || مرون : قرون س : مرادن د : مرون فاوى ه : واقرون م : ومرون ب : وفرون سا : مرون بما وى ن : مرون ماوى دا (٩) ليس : وليس ه ، د ا ، سا || المكتوب : بالمكتوب م ، ن ، ه ، دا || فى : سقطت من م || لنسفعا : اسفعا د || ويسمع ، فيسمع د (١٠) أو : و د (١١) العادات : العلم بذاته م || أمورا : أمور س || تضبط : يضبطها ب ، م ، ن ، دا ، سا || وكذلك : كذلك ب : ولذلك ن ، دا (١٢) تلفيق : تدقيق د || اليونانيين : اليونانيون ب (١٣) عليها : + فيجب م || وما : ما د : أو ما ن ، دا || نراها : أراها د : يراها م : تراها دا || نحن : سقطت من د ، س

والعرب أحكام أخرى فى جعل النثر قريبا من النظم ، وهو خمسة أحوال . أحدها : معادلة ما بين مصاريع الفصول بالطول والقصر ؛ والثانى : معادلة ما بينها فى عدد الألفاظ المفردة ؛ والثالث : معادلة ما بين الألفاظ والحروف ، حتى يكون ، مثلا ، إذا قال : بلاء جسيم ، قال بعده : وعطاء عميم ، لا عرف عميم ؛ والرابع : أن يناسب بين المقاطع الممدودة والمقصورة ، حتى إذا قال : بلاء جسيم ، قال بعده مثلا : نوال عظيم ، ولم يقل : موهب عظيم ، وإن كانت الحروف متساوية العدد ؛ والخامس : أن يجعل المقاطع متشابهة ، فيقال : بلاء جسيم ، ثم لا يقال : منيخ عظيم ، بل يقال : مناخ عظيم ، حتى يكون المقطعان الممدودان يمتدان نحو هيئة واحدة ، وهو إشباع الفتحة .

وأما السجع وتشابه حروف الأجزاء فهو شيء لا يتعلق بالموازنة ، وهو خاصة للعرب ، وله غناء كثير فى اللفظ . وكل هذا لا يخرج النثر إلى النظم . فهذا ما نقوله فى الأوزان للخطابة . وقد ذكرت هذه أيضا فى التعليم الأول .

(١) النثر : النبرة م || قريبا : ما سا د || وهو : أو من د : وهى ه (١–٢) وهو خمسة ... القصر : سقطت من س (٢) مصاريع : تصاريع ه (٣) ما : سقطت من س (٤) (عرف) عميم : سقطت من م (٦) نوال عظيم : نوال عميم م (٧) فيقال : تقال م (٨) ثم : سقطت من م || منيخ : مسح ب ، د ، س : منيح ه : منتج م || بل : ثم م || (بل) يقال : + مثلا س || مناخ : مماح د : مناح ب ، ه : مباح س : مناخ م || حتى : صحرد || المقطعان : المقطعات م ، ن ، د ! || الممدودان : الممدودة ان ن (١١) الاجزاء : الآخر د (١٢) وكل : + ذلك م || يخرج : محوج م ، سا || النثر : إليه م || النظم : التعليم م (١٣) فهذا : وهذا م || للخطابة : الخطابية د

فصل

[الفصل الثالث]

في وزن الكلام الخطابي واستعمال الأدوات فيها والنبرات وما يجب من ذلك بحسب مخاطبة مخاطبة خطابية وما يحسن مسموعا على الأشهاد وما يحسن في مجالس الخواص ومايحسن مخاطبة وما يحسن كتابة

قيل في التعليم الأول: إنه يجب أن يكون الكلام الخطابي مفصلا، أي ذا مصاريع، وتكون التفاصيل ليس كل واحد منها يتم بنفسه، بل يجب أن يكون كل واحد منها مشوقا إلى المصراع الذي يليه الذي إنما يتم به المعنى . وهذا مثل ما قال الفصيح من العرب : إياك وما يسبق إلى النفس إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ؛ فليس كل من يسمعه نكرا ، يقدر أن يوسعه عذرا . فإن كل مصراع من مصراعى هذا الكلام يحتاج إلى الفقه حتى يتم . وهذه التفاصيل تحسن عند المخاطبة بالنبرات التي تقطع وتصل . ويجب أن يكون للكلام الخطابي عطوف، وهو أن يكون إما الابتداء من لفظ أو حرف ينتهي إليه ، سواء كان على سبيل التكرير ، أو على سبيل التجنيس، وهو أن يكون المكرر ، وإن كان لفظا مكررا في المسموع، فهو مختلف في المفهوم . فإن هذا يجعل الكلام لذيذا ، محصورا

(١) فصل : فصل ح ب : الفصل الثالث س ، م (٣) من ذلك بحسب : سقطت من م || خطابية : سقطت من ب (٤) في : سقطت من م (٥) وما يحسن كتابة : أو كتابة د (٦) ذا : ذو د ، س : ذوا م (٧) منها : منهما سا (٨) مشوقا : متشوقا ه || الذى انما : انما سا || به : + هذا سا (١٠) كل من : كلمن م (١١) مصراعى : مصاريع م ، س ، ه || الفقه : المفقه م : فقه س : لفقه ب ، سا || يتم : يميز سا || تحسن : تستحسن د : تحن ه : تسحر س : تسخن سا (١٢) بالنبرات : بالنيرات || للكلام : الكلام م (١٣) لفظ أو حرف : حرف أو لفظ س

بحدود حادة يقف عندها الذهن ، ويجعله سهل الحفظ ، لكونه ذا عدد ، إنما يسهل لمثله حفظ الموزون . وبالجملة : فإن المسجع والمعطف والموزون أقرب إلى أن يثبت فى الذكر من غيره من الكلام . ويجب أن يكون طول الأسجاع بقدر لا يبعد له ما بين الأطراف بعداً ينمحى معه تخيل السجع الأول . وأيضا فلا ينبغى أن يكون سريع الانقطاع قصيرا جدا . وينبغى أن يكون التوصيل بين المصاريع غير متباين ، ولا مفترقا فلا يتناسب . والموصل هو الكلام الذى له مصاريع يتنفس فيما بينها ، كما عند أسجاع المعاطف ، فهو كلام فيه تفاصيل بالفعل . وأما الذى لا تفصيل فيه ، فهو المصراع الواحد ، مثل المصراع الأخير . ويجب أن تكون مصاريع الأسجاع والاتصالات معتدلة فى القصر والطول . فإن القصير يسهى الإنسان لما يعرض من قصر مدة مطابقة الذهن إياه . فإن النهر والمعبر ، إذا قصر جدا ، لم يحتفل به ، ولم يستعد للطفر عليه ، ولم يكن به اعتداد البتة . وأما الطويل فإنه يمل وينسى أوله آخره ويعدل فيه عن الواجب ، مثل المعبر إلى الساحل إذا كان طويلا جدا لم يحسن أن يطفر عليه طفرا ؛ فإن فعل ، لم يبعد أن يغرق فى وسطه . ومثل الطريق إذا طال ، فإن المترافقين يتركون سالكهم فى ذلك الطريق ، ويحيدون عن مرافقته . فالطويل مملول ، والقصير مستحقر ، ولا تكون له استدارة ، أى اعتدال بأجزاء يعود

(١) انما : و د (٢) لمثله : لمثل د || وبالجملة : سقطت من ن ، د ا (٣) ويجب : وينبغى س || طول : سقطت من د || الاسجاع بقدر ... قول الناس (ص ٢٣٢ سطر ٣) : فقدت من س (٤) ينمحى : يمحى د (٥) قصيرا : سريعا د || التوصيل : التوصل م (٦) متباين : متباينه د || مفترقا : مفترقه د : متفارق هـ : متفرقا سا (٧) بينها : بينهما م ، ن || اسجاع : السجاع م (٩) الأخير : الاخر هـ (١٠) يسهى : يسمى ب : يشهى سا (١١) يحتفل : يحفل م || به : له د ، هـ (١٢) اعتداد : اعتدادا د || يمل : يميل م || ينسى : ينسا د (١٣) لم يحسن : سقطت من سا (١٥) المترافقين : المرافقين د ، د ا || سالكهم : سالكتهم م ، سا : مسالكتهم ب || مرافقته : موافقته د (١٦) مملول : مملوك به سا || بأجزاء : تأخرا د : بأجزائه د ا || يعود : ويعود ن ، د ا .

بعضها على بعض . والكلام الموصول فربما كان اتصاله أقساما ، ويسمى المقسم ، كقولهم : إنى تعجبت من فلان الذى قال كذا وكذا ، ومن فلان الذى عمل كذا . فهؤلاء أقسام المتعجب منهم . وربما كانت الأقسام إلى التقابل ، كقولهم : منهم من اشتاق إلى الثروة ، ومنهم من اشتاق إلى اللهو ؛ وكقولهم : أما العقلاء فأخفقوا ، وأما الحمق فأنجحوا . والمتقابلات إذا توافقت ، أحدثت رونقا ، لظهور بعضها ببعض . فالموصلات : بعضها مقسمات ؛ وبعضها متقابلات ؛ وبعضها مدافعات وهو أن تختلف أقسامها فى الطول والقصر بعد أن يكون بينها نظام ما ؛ وبعضها مصارعات وهى التى لها أطراف متشابهة أو مبادئ متشابهة وهى المسجعات بسجع واحد بأن يكون المقطع الآخر فيها واحداً أو تكون فيها كلمة واحدة مكررة فى آخر كل مصراع أو أوله . واعلم أن العبارة المفهمة لذيذة بما يفهم ، والإغراب مستكره لما لا يفهم .

ومن التغييرات الاستعارية اللذيذة أن ينسب الأمر إلى صفة الفاعل ، دون الفاعل ، وخصوصا إذا كانت تلك الصفة توجب الأمر ، مثل أن لا يقال : المشايخ يفعلون الخيرات ، بل يقول : إن الشيخوخة تفعل الخيرات . وهذه الصفة عامة كالجنس .

---

(٢) المقسم : المنقسم د || (ومن) فلان : قال م (٢—٣) ومن فلان...عمل كذا : سقطت من د
(٣) كذا : + وكذا ه || فهؤلاء : وهولاء ه (٥) وكقولهم : كقولهم م ، ن ، دا || الحمق : الحمقا م ، ن ، دا || والمتقابلات : والمقابلات ب : + التى ب ، م ، ن ، ه (كتبت فوق السطر) ، دا || إذا : سقطت من ن ، دا (٦) فالموصلات : فالموصولات ب || بعضها : بعضه سا || مقسمات : منقسمات ب ، د (٧) بعضها : بعضه سا || متقابلات : مقابلات م ، ه
(٨) يكون : + يكون د || ما : سقطت من ن ، دا (٩) متشابهة : متشابهات د || أو مبادئ : او مباد ن ، ه ، سا ، دا : ومبادى ب ، م : ومباد د || بسجع واحد : تسجيعا واحداً ه : بسجع واحدا ب || الآخر : الاخير ب ، د || فيها : منها د (١٠) أو أوله : وأوله ب ، د ، سا (١١) مستكره : مستنكر م ، ه ، سا : مستنكره ن ، دا || لا : سقطت من م
(١٤) يقول : يقال د : يقولون م || إن : سقطت من د

ويجب أن تستعمل الاستعارات غير كثيرة التداخل ، وهو أن تدخل استعارة فى استعارة . وكذلك الإغرابات فإنه ينبغى أن لا يمعن فيها . فإن الإمعان فى الصنعة نقيصة ، كما أن الإمعان فى السخيف من العبارة والسفساف منها يكون مسترذلا ، وذلك هو الذى يفهمه كل إنسان من ساعته . وكذلك الذى يصعب فهمه أيضا مسترذل . بل يجب أن تكون العبارة بحيث يفهمها الأماثل ، دون سقاط الجمهور ، ويفهمونه متى أصاخوا إليه إصاخة متأمل ، ولم يحوجوا إلى نظر وفحص. فإن هذا أيضا يكون غير قليل. وإن المثل، وخصوصا إذا شحن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات، لذيذ جدا .وكذلك إذا وقعت فيها استعارات لطيفة ، ليست شديدة البعد . وكل ذلك ينبغى أن يكون بتأمل ونظر واختيار للأوفق . وأن يكون التغيير كأنه يجعل الشيء قائما نصب العين . ومدار جميع ذلك على ثلثة أشياء : التغييرات ، ومطابقات المتقابلات ، والأفعال .

أما التغييرات فأنجح ضروبها ما كان المستعار منه يعادل المستعار له ويحاكيه محاكاة تامة ، ولا يكون فيه شيء يظهر مخالفته للمقصود ، ومحاكاته من الجهة المقصودة. والتغييرات أربعة : تشبيه ؛ واستعارة من الضد ، كقولهم "جونة" للشمس ، و " أبو البيضاء " للأسود ؛ واستعارة من الشبيه ، كقولهم للملك "ربان البلد" ؛ واستعارة من الاسم وحده، كقولهم للشعرى "هذا النباح فى السماء"، وكقولهم للحمل " ذلك الناطح فى السماء " .

(١) غير : عن م || استعارة : الاستعارة م (٢) فانه ينبغى : فينبغى د (٣) نقيصة : بغيضه ب، م ، ه ، سا || السخيف : السخيفه سا || السفساف : الشقاق سا || منها : + ما م (٤) وكذلك : ولذلك ن ، د ا : وكما أن د ، ه (٥) يفهمها : نفهمه سا (٦) اصاخة : اخاصيه د : صاخة م || يحوجوا : يخرجوا ب (٧) شحن : سخن سا || فحص : بحص د : محص ن (٨) جدا : سقطت من م (٩) وكل ذلك : وكل ذ د || واختيار : واختيارا م التغيير : التغير د (١١) المتقابلات : المقابلات د (١٢) التغييرات : + التغيرات م (١٤) والتغييرات : والتغيرات د || تشبيه : شبيه سا (١٦) النباح : اللاح م كقولهم : (١٧) سقطت من ه || ذلك : ذاك ه

وأما المتقابلات : فبعضها أضداد ، وبعضها كأضداد . والمتضايفات فى تلك الجملة . والصيغة المتقابلة تجعل الشىء كالمحسوس المشاهد .

وأما الأفعال فهو أن يشرح الشىء المنصوب بحذاء العين ببسط أفعاله ، وتقام أفعاله مقامه . وقد تتركب الاستعارة مع شرح الفعل وتحسن ، كما يقال للرجل الصالح : إنه مربع الجوانب ، أى معتدل . فهذا استعارة ، وبسط لفعله .

ومن أنواع الإستعارة اللفظية : أن تجعل أفعال الأشياء الغير المتنفسة كأفعال ذوات الأنفس ، كمن يقول : إن الغضب لجوج ، وإن الشهوة ملحفة ، والغم غريم سوء . وأحسنه ما لايبعد ، ويكون قريبا مشاكلا، ولا يكون أيضا شديد الظهور . فإن المشابهة القريبة ليس ينتفع بها فى التغيير فقط ، بل وفى العلوم على ما قد علمت . وكثير من الألفاظ الاستعارية النادرة المستطرفة خطابا يقبح أن يستعمل فى الكتابة . ومن ذلك الإفراطات فى الأقاويل، كقولهم : أجمع أهل الدنيا ، وكقولهم : أنت وذاك . ومن التغييرات الحسنة أن يتحدث عن أمر ، بحيث ظاهره لايكون حجة على القائل ، ويعتقد فى الضمير أنه إنما يعنى به معنى ما بلا شك فيه من غير أن يكون أقرّ به . ومن ذلك عكسه : وهو أن يقول القائل بقوله على ظاهره ، وكأنه يقر بأن غرضه ذلك المعنى ، لكن الأحوال تدل على ما أريد به ظاهره . وربما كان السبب فيه اتفاق الاسم ،

(١) واما : فأما د || كأضداد : كالاضداد ه : + المتضايفات سا || والمتضايفات : والمضايفات د (٢) الصيغة ب ، ه ، سا : الصنعة م ، ن : الصعه د (٣) الأفعال : الانفعال ن ، د || افعاله : افعال د || تقام : تقاوم د (٤) مقامه : مقاومه د (٤–٦) مع شرح ... الاستعارة : سقطت من م (٥) فهذا : فهذه ن ، ه ، دا (٧) بلجوج : محوج ه ، دا || ملحفة : ملحقة م : ملحة د : ملحمه (كتبت فوق ملحفة فى ه) (٩) القريبة : لقربه م || التغيير : التغير د (١٠) قد : سقطت من د ، ه (١٢) ذاك : ذلك د ، م ، ه || ومن : من ه (١٣) بحيث : بحسب م : بحديث د || لا يكون : ولا يكون ن ، دا ، ه (ثم كتب فوق الواو ز فى ه) || يعنى : ثنى د : عنى ه (١٥) يقول : يقال م || بقوله : لقوله ه (١٦) على : + ان خ || ما : سقطت من سا

بل أكثر ذلك باتفاق الاسم. ومن الملح فى ذلك أن ينقض الشىء نفسه ويروج، كقول القائل : الأحسن بنا أن نموت قبل أن نفعل ما نستحق به الموت . فإن قوله "الأحسن بنا أن نموت" هو نفس الدلالة على استحقاق الموت، فكأنه قال: نحن نستحق الموت، قبل أن نستحق الموت. وأمثال هذه الأشياء تروج إذا كانت موجزة مبينة ؛ فإن بسطت ، سمجت . ويجب أن تكون المقابلة فيها لطيفة ، غير مصرح بها تصريحا. ويجب أن يكون لمثل هذا القول وجه يصدق به دون وجه المجاز الذى ليس هو صدق به، أى وجه مجازيته. فإن هذا القول ـ الذى يمثل به ـ له وجه يصدق معه ؛ ولكن إذا صرح بذلك الوجه وبذلك الشرط ، لم تكن له روعة ، كما لو قيل : ينبغى أن نموت قبل أن نستحق الموت القبيح بالخطيئة .

وليس الاستعارات كلها فى الأفعال والأوصاف، بل قد تكون فى المسميات ، وتقع، إذا أحسن فيها، الموقع اللطيف ، كمن قال بدل الترس «صفحة المريخ» . وهذا على سبيل التركيب . وأما على الإطلاق ، فإذا سمى الترس صفحة ، أو سمى القوس صَنْجا ، لم يكن له موقع من القول . وربما لطف موقع ما يجتمع فيه الأمران من الاستعارة للاسم والاستعارة للصفة والفعل ، كما قيل: إن فلانا يشبه قرداً يزمر . وقد يخطىء الشعراء فى التشبيه، إذا أبعدوا وقبحوا ، كقول القائل: إن ساقيه ملتفتان كالكرفس . فإن التشبيه من جملة التغيير ؛ كأن التغيير منه استعارة بسيطة ، ومنه تشبيه بسيط ، ومنه مثل يضرب .

---

(١) فى ذلك : ومن ذلك د (٥) مبينة د ا : مبنه ب : مثلثة م ، سا : مله د : متينة ه : مسه ن || المقابلة : المتقابلة د (٦) القول : + الذى يمثل به م، ه (٧) ليس : سقطت من م || صدق به : ضدا فانه د || وجه : بوجه م || مجازيته : لمحاربته د : مجازيه ن ، د ا || هذا : لهذا ه || يمثل : يميل سا (٨) له : سقطت من ه || لكن : + لذلك ب (٩) القبيح : قبيح م (١٠) وليس : وليست د ، ه (١٢) سبيل : سقطت من م ، ن ، د ا ، سا (١٣) صنجا : صحا ب : صفحا د : قبحا ه || القول : القبول م ، سا || فيه : + من م (١٤) فلانا : فلان م (١٥) كقول : لقول م (١٦) ساقيه : ساقه م || فان التشبيه : سقطت من ن || كان التغير : سقطت من د || كأن التغيير ... الخطباء (ص ٢٣٣ س ٧) : تعذر تصويرها فى سا (١٧) تشبيه : يشبه م

والإغرابات الواقعة بكثرة التركيب هى تغييرات بحسب القول ، لا بحسب اللفظة المفردة . ومن إفراطات الأشياء التى تقال للتعظيم مع العلم بكذب دعوى من يدعيها ، أو وصف من يصفها ، قول الناس : لو أعطيت مثل هذا الزمل ذهبا ما رغبت فى نكاحها ، وكما قال بعضهم : إن الزهرة لا تُشَبَّه بهذه ، أى أنها أحسن من الزهرة . فهذه ليست أمثالا ، ولا تشبيهات ، ولا استعارات . فإنه ليس يعنى بهذا معنى ، ويعبر عنه بغير لفظه . بل هى أكاذيب ظاهرة .

وهـذا الصنف قريب من الموافق فى الخطابة . وأقبح من ذلك ما كان فى المكتوبات . فإن هذه إفراطات قد تقال قولا يتصرم تصرما . وأما فى الرسائل المكتوبة فأمثالها تقبح ، لأنهـا تخلد . والمخلد يقبح فيه ما يدل على النزق وعلى المجازفة بالقول . وليس أيضا حال الخطبة المشورية والمدحية التى يخطب بها على رأس الملأ ، ويراد فيها التفخيم والتنويه لمـا يقال ، وحال المشورة التى يحكم بها واحد عند واحد ، بمنزلة واحدة . فإن الخطبة تحتمل من الإفراطات ما يقبح أن يخاطب به الواحد على سبيل المشاورة . وعلى كل حال ، فإنه يلزمنا أن نعرف الوجه الأجود فى المخاطبة ، والوجه الأجود فى الكتابة ، وما يليق بكل واحد منهما ، حتى إذا ثبتنا وناظرنا ، استعملنا الأول ؛ وإذا احتجنا أن نجيب الرسائل ، استعملنا الوجه الثانى ، ولم نضطر إلى السكوت اضطرار من لا يكتب .

---

(١) والإغرابات : فى الاغرابات ب (٢) اللفظة : اللفظ م ، ه || دعوى : من دعوى د : سقطت من ب ، ن ، د ا (٣) الزمل : الرسل ن ، د ا (٤) كما : سقطت من ب || انها : حسنها ب (٧) هذا : هذه م || قريب من الموافق : قبيحا د || من ذلك : منه د (٨) هذه : هذا م (٩) فامثالها : وأمثالهـا د || والمخلد : فى المخلد م || النزق : السرف د (١١) ويراد : وبرباد س (١٣) يلزمنا : + الى م (١٤) واحد : سقطت من ن || منهما : منها م ، ن ، د ا (١٥) ثبتنا : نشا د || واذا : فاذا م ، ن ، د ا || نجيب : نحسب د || الرسائل : السائل ب ، د ، ن ، د ا : كتب أولا الرسائل ثم كتب تحتها السائل فى ه (١٦) السكوت : السكون س ، م

واعلم أن اللفظ المكتوب ينبغى أن يكون أشد تحقيقا واستقصاء فى الدلالة، واللفظ المخاطب به يكون أشد اختلاطا بأخذ الوجه والنفاق المذكورين ، سواء كان خلقيا أو انفعاليا. والمنافقون، الآخذون بالوجوه، شديدو الحرص على قراءة الكتب النافعة فى أخذ الوجوه، والكتاب على قراءة الكتب النافعة فى تجويد اللفظ. والشعراء أيضا كذلك. وما يسمع، ولا يقرأ، ينسى ، فلا يتصدى لنقد الفكر، ولا يلزم من تصحيحه ما يلزم من تصحيح المكتوب. ولهذا ما كان كثير من الكتاب المهرة لا يجيدون الإقناع بالمخاطبة، وكثير من الخطباء المقنعين المفلقين لا يحسنون أن يعملوا بأيديهم إقناعا. والسبب فى ذلك أن المنافقة شديدة الموافقة فى المنازعات والمفاوضات . وتشبهها أحوال أخرى مثل إهمال الرباطات باختصار أو تكرير القول الواحد استظهارا . وليس شىء من هذا بملائم للكتابة . واختلاط أخذ الوجوه بالتغييرات شديد المعونة فى الإقناع ، لأنهما يتفقان جميعا على تضليل الذهن . ويكون ترك النفاق كالأخذ بفضل القوة . واستعمال النفاق كالأخذ بالتلطف والالتماس . وكذلك إذا استعملت الألفاظ مجردة عن الرباطات ، فقال مثلا: وافيت (بالوقف)، طلبت (بالوقف)، ولم يدل باللفظ على المقصود،

---

(٣) خلقيا : خلقنا م : حقيقيا ن ، دا || أو انفعاليا : وانفعاليا ن ، دا (٤) فى أخذ الوجوه ... النافعة : سقطت من د (٥) والشعراء : والشعر م ، ن : دا : أو الشعراء س || كذلك : لذلك ن ، دا || وما : ولا س || ينسى : ينسا م ، ن ، دا || فلا : ولا ب، م ، ن ، دا || لنقد : لبعد هـ : ليفسد د (٦) ولا : فلا د، س ، هـ (٧) المفلقين : المقلقين م : سقطت من د (٨) أن : سقطت من ب، ن ، دا || يعملوا : يعلموا ب، د : يعملون ن ، دا || يعملوا بأيديهم : يعملوا فائدتهم ب، د، هامش هـ، سا || شديدة : شديد س || المنازعات : المنازعة س (٩) أخرى : سقطت من سا (١٠) بملائم : ملائم ب : يلائم هـ || للكتابة : الكتابة د || أخذ : أحد سا (١٣) بالتلطف : بالتلطيف م || الالتماس : الاستعمال سا || الرباطات : الرباط س (١٤) فقال : فيقال س || وافيت : واتيت س ، م || بالوقف : سقطت من ب ، د ، سا || طلبت بالوقف : سقطت من ن : طلبت بالوقت د || باللفظ : على اللفظ سا

بل بالإشارة ، والهيئة ، والنغمة . والتثقيل المرتل والتعجيل الحدر من هذه الأبواب . واعلم أن الاختصار فى ترك الرباطات هو اختصار لفظى ، وليس اختصارا معنويا . فإن الرباط يجعل الكلام الكثير كالواحد، وتركه يجعل الكلام مفرقا ، مكثرا ، فيوهم معانى كثيرة ، كمن لايقول : وافيت ولقيت وطلبت ، بل يقول : وافيت ، لقيت ، طلبت ، فإن هذا يوهم كأنه عمل أمرا كثيرا .

وقد يحسن فى الخطبة تصدير يفهم الغرض الذى يصار إليه ، وخصوصا فى المشورية . فإن الخطب على رءوس الملأ تكون فى الأكثر مشورية ، وقد تكون منافرية . وقد علم ذلك خطباء العرب، مثل خطبهم فى الفتوح التى يبتدئون بها ، فيقول : الحمد لله معز أوليائه ، قاهر أعدائه ، فيقدم شيئا كالرسم قبل التصوير يوقف منه على الغرض . فإن الجمع كلما كان أكثر ، احتاج إلى تفهيم أكثر ، وإقناع أقل؛ وذلك لأن تصديق الأكثر والجمهور والغاغة بالشىء سهل، وإنما يتعسر تصديق الخواص البحث ، إذا انفردوا بالمباحثة . وتفهيم الأكثر صعب ، إنما يسهل تفهيم الخواص البحت . والقول الخصومى يحتاج أن يجعل قولا شديد التقريب من الغرض ، وأن يكون اللفظ فيه شديد المطابقة للمعنى ، لا سيما حيث لا يكون كالخطبة ، بل يكون بين يدى حاكم واحد ومجلس خاص، وذلك لأن تكلف الخصومة فى مثل هذا الموضع يكون أيسر منه على رأس الملأ المزدحم . فإن مثل هذا الموضع يحتاج إلى عمل واحد من الخطابة ، وهو حسن

(٢) ان : + ترك س (٤) مفرقا : مفترقا س ، م ، ه (٥) وافيت : سقطت من م (٦) تصدير يفهم : تصديقهم ب (٩) فيقدم : + هذا د (١٠) التصوير : التصور د || يوقف : ويوقف سا || الجمع : الجميع ب ، م || احتاج : احساح س (١١) لأن : ان ب || والغاغة : الغاثة ب ، د ، م : العامه سا (١٢) البحث : البحث س : النخب م : النجب سا || انفردوا : نفردوا سا (١٣) البحت : البحث س : النخب م : النحب سا || الخصومى : الخصوصى د (١٤) شديد (التقريب) : شديدا م ، سا (١٥) مجلس : بمجلس س || خاص : الخاص ب ، م (١٧) المزدحم : ازدحم م || مثل : امثال م ، ن ، دا || هذا الموضع : هذه المواضع ب ، م ، ن ، دا ، سا

العبارة ، ولا يحتاج إلى كثرة الاستعارات والتشبيهات والتهويلات كما تحتاج إليها الخطبة التى على المنابر ، وعند المحافل ، بل الاشتغال فى المشاجرة التى تكون فى مجلس خاص يجب أن يكون مقصورا على إظهار الغرض الخاص بالأمر ، وأن يظهر بالقريب منه ، وحتى لا يكون الشاكى منهما أيضا قد بعد عن المراد . وذلك لأن القضاء فى المجلس الخاص مصرح مهذب مخلص ، لا يحتاج فيه إلى التكلف الذى يحتاج إليه فى المحافل . فلذلك لا نجد المعتادين للخطبة على رءوس الملأ ينجحون فى مجالس الخاصة إنجاحهم على المنابر ، لأن النفاق والأخذ بالوجوه هناك أحسن وأروج . لأن ما يراد به مخاطبة الجمهور فقد يكون شيئا غير ذلك الحقيقى جدا ، لأن ما يراد أن يفهمه جماعة يكون بحسب الأقرب إلى فهم أرذلهم . وأما ما يخاطب به الخواص ، فهو شىء آخر . فإذ كان المراد بالخطاب العامى هو التكثير ، ليس التحقيق ، فالنفاق أنفع فيه من الاستقصاء . وأما اللفظ المرئى ، أى المكتوب الذى ليس بمسموع ، فمنه الرسائل ولا يحتاج فيها إلا إلى القراءة ، ومنها السجلات التى يخلدها القضاة والخطباء ، ولا يطلب فيها غاية التعظيم والتفخيم للكلام ، فإنه مبغوض ، بل أن يكون جزءا من الكلام مهذبا . وإذا اشتمل على التحميد والعظة ، فينبغى أن تكون العبارة عنه على ما بينا فيما

(١) الاستعارات : العبارات س || التهويلات : التمهيلات س (٢) اليها : + فى د || بل : و د || فى سقطت من ن ، دا || المشاجرة : المشاجر د (٣) خاص : خاصى د || الخاص : الخاصى س || بالأمر : + احرى م ، ه (٤) بالقريب : بالتقريب س || منه : + اولى م ، ه || الشاكى : الساكن د || منهما : منها ب ، ن ، ه || قد بعد : فقد نفد سا (٥) الخاص : الخاصى سا || مخلص : ملحص س : سقطت من ب ، م || التكلف : التكلفات ه : الكلف س (٦) إليه : اليها س ، ه (٧) مجالس الخاصة : المجالس الخاصة ه : مجلس الخاص د (٨) فقد : وقد سا || شيئا : سقطت من سا (٩) يكون : ويكون سا (١٠) فاذ : فاذا م ، ن ، ه (١١) فالنفاق : والنفاق د || فيه : سقطت من ب (١٢) الا : سقطت من ن ، ه || الى : سقطت من م (١٣) ومنها : ومنه د ، ه || يخلدها : يجلوها م (١٤) التعظيم والتفخيم : التفخيم والتعظيم س || مبغوض : سعرص س : منقوص د ا (١٥) وإذا : فاذا ه || التحميد : العظيم سا : التهذيب ه (ثم كتب فوقها التحميد) || العظة : العظمة س ، ن ، ه

سلف . ويجب أن يكون أشد الكلام تقويما . لأن السجل أشرف من الرسالة وأبقى، وأشد احتياجا إلى الغرض . فينبغى أن تكون ألفاظه ألفاظا مشهورة، غير غريبة ؛ ليس من المشهورات السفسافية . ولا ينبغى أن تكون فيها إضمارات كثيرة، فإنها تردها إلى الغربة عن الشهرة، والاختصار يفقدها الغرض فى أمثالها . ولا بد من أن تُخلط بها أيضا أشياء لطيفة من التغييرات المعتادة ، وقليل من الغريبة ، وشىء من الوزن الخطابى على الجهات المقننة المذكورة .

فصل [الفصل الرابع]

فى أجزاء القول الخطابى وترتيبها وخاصيتها فى كل باب من الأبواب الثلثة وما يفعله المجيب فيها

ويجب أن نعرف الآن حال النظم والترتيب ، فنقول :

إن الخطابة تتعلق بأمرين : الشىء الذى فيه الكلام ، والحجة التى تبين ذلك الشىء . وبالجملة : فيه دعوى، وحجة . وللأقاويل الخطابية صدر، واقتصاص، وخاتمة . والصدر هو كالرسم للغرض الذى ينحى نحوه من الأمر . والاقتصاص كالرسم للتصديق ، كأنه ذكر ما كان ، وما يقتضيه كونه بالإجمال . والتصديق

---

(١) أشد : أسهل م : ابتداء د ، ن (٣) السفسافية : الفسافه س (٤) الغريبة : الغربة د (٥) بد من : يكون م || من : سقطت من د ، ن || التغييرات : التغيرات د ، م
(٦) المذكورة : + والله أعلم ه (٧) فصل : فصل ى ب : الفصل الرابع س ، م
(٨) أجزاء : احوال د ا || خاصيتها : حاجتها د ا (٩) الثلثة : الثلاثه س || وما : واما د ا
(١٠) الترتيب : التعرف سا (١١) تبين : يبين ب ، سا (١٢) فيه : سقطت من ب ، س ، سا || وللأقاويل : والأقاويل د ، سا || واقتصاص : + كالرسم د
(١٣) ينحى : يحا د ، س (١٤) كأنه : وكأنه م

هو الإحكام . والخاتمة هو جمع ما ثبت وتذكيره دفعة واحدة على سبيل التوديع للقول . والاقتصاص لا يحتاج إليه فى المشورة ، لأن الاقتصاص اقتصاص لأمر واقع ، فينسب إلى أنه حسن ، أو قبيح ، كما فى المنافرة ؛ و إما عدل وجور ، كما فى المشاجرة . وأما المشورة فليس فيها ما يحكى فيشكى ، أو يحمد ويذم ، وليس فيها منازعة ومواثبة ، بل دلالة على مصلحة قابلة . و إذا تغيرت عن هذه الصورة ، عادت شكاية . لكن الصدر يحسن جدا فى المشوريات ، ليكون الإنسان قد وعى الغرض فيه جملة ما ، ثم لا يزال يستبرئ حاله بالمقايسة بين الحجج الموردة من المشاجرين فى أمره . وكذلك الخاتمة كقوله : قد قلت ما عندى من المصلحة ، والآن فالرأى رأيكم . وبعض الشكايات لا يطول بالاقتصاص ، وذلك إذا أريد أن يوجز الكلام . ثم الصدر والاقتصاص والخاتمة هى أقاويل يتلق بها السامعون ، دون الخصم . و إنما يتلقى الخصوم بالتصديقات . والتصديقات تكرر وتطول للتذكير والتفهيم ، لا لأن التكرير جزء من الخطبة . ونسبة الصدر إلى الكلام كله نسبة التنحنح إلى الأذان ، والترنم الزمرى قبل افتتاح الزمر إلى الزمر . وكذلك من أراد من المتعلمين للكتابة أن يجيد صورة ما يكتبه ، فإنه يرسم بالنقط أولا ، ثم يوسع الحروف . ويحسن الصدر فى المدح والذم ،

(١) والخاتمة : الخاتمة سا || جمع : جميع د ، ن ، د ا || ما ثبت : فتانيث ب : نانيث سا : ما يثبت م || تذكيره : تذكره ن ، ه : تذكير ب ، م (٢) لا : ولا ن ، د ا (٤) فيشكى : فيشكا د (٥) وليس : ليس س || ومواثبة : مواثبة س || قابلة : قليلة ن ، د ا : قايلة م (٧) قد : وقد م || وعى : وعا د || يستبرئ : يستبرا د : سىرى سا || بالمقايسة : بالمقاييس د (٨) بين الحجج : من الحجج د : بالحجج س || وكذلك الخاتمة ... فيحتاج (ص ٢٤٠ سطر ٣) : نقدت من س || كقوله : كقولك د : فى قوله سا || قد : وقد م (١٠) وذلك : ولك د || إذا : وإذا د || يوجز : يوجب د : يوجزم ، ه ، سا || الكلام : بالكلام م (١١) يتلق بها : يكتفى بها د : يتلقاها ن ، د ا || يتلقى : يكتفى د (١٣) نسبة التنحنح : كنسبة التنحنح ن ، د ا || إلى الأذان : عند الأذان م || قبل افتتاح : فى ناتحة د (١٤) (إلى) الزمر : الزمرى م || يجيد : يوجد ن : يوجده م (١٥) يحسن : يوسع م : توسع ه || والذم : سقطت من ن ، د ا

مثل قول القائل : بالحرى أن يتعجب الناس من فضيلة اليونانيين ، ثم يفيض بعد ذلك فى عد فضائلهم وتصحيحها. وكذلك فى المشورة أن يقول : بالواجب أن يكرم أهل الفضائل ، ثم يتخلص منه إلى الإنسان الذى يريد أن يذكره ويشير بإكرامه . وفى الشكاية أيضا ، كما يقول : الآن قد بلغ السيل الزبى ؛ وكما يقول: وبعد فقد طال ما قيل سمن كلبك يأكلك. وتصدير الخصومة أولى بالطول . وليس الصدر مما يقدمه الخطباء فقط، بل والشعراء المجيدون . اللهم إلا أن يكون الأمر قليل الخطر فى كل باب منها ، فيكون ترك التصدير فيه أولى ، لأن التصدير للعظائم من الأمور .

وأما الحيل الخارجة عن الأمر ، فوجه فائدتها هو على ما علمت . فمن ذلك ما يتعلق بالمتكلم بأن يثنى على نفسه ؛ ومنها ما يراد به الاستدراج ؛ ومنها ما يراد به تخييل الأمر نفسه على الوجه المراد ، وذلك مثل ما يراد به إظهار نقيصة الخصم والضد. فأما الشاكى فيحسن أن يستعملها بديا ، فيقرر فضيلته وخسيسة خصمه . وأما مجيب الشاكى ، فإنما يجب عليه أن ينحو نحو صريح الجواب عن الشكاية فى أول الأمر، فإنه متوقع، ثم بعد ذلك يأتى بالحيل. والذى يهجو — ويقابل المادح — فينبغى أن يقدم التصديق بسرعة لتعظيم القبح ، فإن الترتيب بالجميل أجمل ، والمغافصة بالقبيح أوقع ؛ ثم يأتى بالحيلة . وأما الشاكى فلا بد من أن يصدر أو يطول . وأما استدراج السامع فهو بتقريب وبسط تارة ،

(١) يفيض : نقبض م (٢) بالواجب : نالواجب سا (٤) وفى : فى ن ، د ا || الآن قد بلغ : قد بلغ الآن د : قد بلغ ن ، د ا (٥) طال ما : طالما ه || سمن : سم م (٦) والشعراء : الشعراء ب || المجيدون : والمجيدون ب (٧) الخطر : + بل ب || ترك : سقطت من د || فيه : به د (٨) للعظائم : للعظيم د (١٠) ومنها : ومنه د || ومنها ما يراد به الاستدراج : سقطت من ب ، سا || به : سقطت من م || ومنها : ومنه د ، م (١١) نفسه : فى نفسه ن ، ه ، د ا (١٥) القبح : القبيح ن ، ه (١٧) فهو : سقطت من م || بتقريب : بتقرب ن : يتقرب م

وتبعيد و إيحاش أخرى. وليكن التقرب متوسطا ، لئلا يحس الإنسان . وكذلك باستئناس وتحبب تارة ، و بضد ذلك أخرى . والتحبب إنما يخيله الظاهر بحيث يصور الخير ، وتوجبه القرابة والمنزلة وحسن المنظر . فيجب أن يوهم كل ذلك . فإن كان التحبب لا ينفعه،ولم يكن من شأنه،فالأحرى أن يقتصر على التصديق . والسامع الأحمق أطوع للاستدراج منه للتصديق . فكذلك يجب أن يتلطف لمثله بالتصدير الخالب للقلب ، والمزين ، والمعظم .

واعلم أن الافتتاح بالمخسسات جدا،والغامات الموحشات فى الشكايات قبيح ، مسقط لرونق القائل ، كتصدير بعض الشاكين : إنك ستخلص عن قريب من بموتى . أو يقول فى المشورة : قد يكاد أن تلحقنى نكبة بالقتل ، فحينئذ تفقدون مثلى ؛ وهذه المصيبة ليست لى وحدى ، بل ولكم . والتصدير من الأشياء التى إنما يراد بها السامع ، لذلك ما صار أكثر الناس ينشطون لتطويله . وإن زيدوا ، فإن النفوس من السامعين تشتاق إلى الصريح ، لكن الإمعان فى التصدير و إطالته من الجبن،والضعف عن البوح ، والعجز عن التصريح . مثل العبيد الذين يُسئلون شيئا ، فيجا<و>بون بما يطيف به ، دون ما يسئل. ومدح السامعين نافع للاستدراج . وأما الخطبة ، إذا أعدت نحو الشكاية ، فليس يحتاج فيها إلى

---

(١) تبعيد : يتعبد م || أخرى : الحرى د || متوسطا : متوسط م || يحس : يحسس سا : يحسن بقية المخطوطات || وكذلك : سقطت من د (٢) تارة : وتارة م (٣) وتوجبه : ويوجبه م ، ه || القرابة : والقرابة ب ، م ، ه (كتب فوق الواو ن فى ه) ، سا (٤) ولم : أو لم ن ، ه (٥) فكذلك : وكذلك ه (٦) الخالب : الجالب ب ، م ، ه (٧) بالمخسسات : بالمحسنات ن ، دا ، ه : بالمحسسا سا || الغامات : العامات ب ، م ، ن : الغاضبات د : + جدا ه || قبيح : قبح م (٨) ستخلص : سيتخلص د || عن قريب : سقطت من سا (٩) يكاد : كاد م || بالقتل : وبالقتل م : بالفعل ه || تفقدون : يفقدون م ، ه (١٠) وهذه : فهذه ب || ليست : ليس د || وحدى : وحدها م || بل ولكم : بل لى ولكم ه : وبالكم د (١١) لذلك : ولذلك د (١٣) البوح : الموج سا (١٤) فيجاوبون : فيجابون فى كل المخطوطات . ولكن قارن : ارسطو ، ريطوريقا ، ٣ — ٤ — ١٠ (١٤١٥ب٢٢ — ٢٤) ؛ الترجمة العربية القديمة ٥٩ ب ٢٠ — ٢٢ || يطيف : يصيب سا || ومدح : مدح د : وفدح ن (١٥) اعدت : عدت ب ، دا || فيها : بها م

كثير من التصدير ، لأن أكثر هذا يكون فى الأمر المشهور. اللهم إلا أن لا يكون السامع أو الخصم عرف قدر الأمر ، فيحتاج أن ينبه قدره بالتصدير .

وأما مقاومة الشكاية فتارة أن يقول : لم يكن ؛ وتارة أن يقول : كان ، ولم يضر . وإنكار كون ما يشكى أصلا ، فهو على وجهين : لأنه إما أن ينكره أصلا ، أو ينكر كون جميع ما قال ، فيقول : ولا كل هذا . وإنكار الضرر على وجهين : إما أن ينكره أصلا ، أو يقول : لم يكن الضرر عظيما . وأيضا من إنكاره أن يقول : لم يكن قبيحا ، بل كان واجبا ؛ أو يقول: لم يكن لها كبير مقدار قبح . ووجه آخر أن يدعى الخطأ والزلة . ووجه آخر أن يقول : إن هذا كثير الشكاية بالجزاف ، فقد شكانى ، أو شكا فلانا ، ولم يكن من ذلك شيء .

وموضع آخر أن يقول : كانت نيتى جميلة فيما فعلته ؛ وإن كنت آذيتك ، فقد كانت فيه مصلحة لك . كالذى يحنث فى يمينه فيرى وجه التخلص أن يدعى نية مضمرة تخالف الظاهر من الحلف . ونحو آخر أن يقابل السيئة المشكوة بحسنات مشكورة ، فإن هـذا يوهن أثر الشكاية . وقد يقابل هذا ، فيقال : والدهاة إذا أرادوا أن يضروا، غمروا المضرور أولا بالمنافع ليؤمنوا . ويقال: إن أسأتُ فعلا ، فقد أسأتَ شكايته . وهذه المقابلة هجاء ما للشاكين ، ونسبة إياهم إلى التزوير والسعاية. ثم يقال : إن الساعى يمدح عند المسعى إليه يسيرا ، ويهجى عند الناس كثيرا ؛ وإن المعتذر أكرم من الشاكى ، فإن المعتذر يتحو

(٢) أو الخصم : والخصم ب ، ه || قدره : قدرة م (٣) لم يكن و : سقطت من سا (٤) فهو : سقطت من س (٥) الضرر : الضرس (٦) ينكره : ينكرها س || الضرر : الضرس (٧) لها : سقطت من ن || كبير : كثير ه ، سا (٨) قبح : قبيح م ، ن ، دا || الزلة : الذلة س || أن يقول : سقطت من س || إن : سقطت من م (١٠) آخر : اخرى م || نيتى جميلة : متى جهلة ن ، دا : نيتى جهله م (١١) يدعى : + الى م ، ن ، دا (١٢) نية : بقية ب : فيه ه || يقابل : يقال م ، س ، ن ، دا (١٣) فيقال : سقطت من سا (١٤) ويقال : أو يقال س ، سا . (١٥) ان د : لو بقية المخطوطات || فقد أسأت : فأسات س || شكايته : شكاية د ، س || للشاكين : الشاكين د || ونسبة : ويشير س (١٦) السعاية : السكايه سا (١٧) يهجى : هجا س

نحو الفضيلة ، ويثبت العدل ، والشاكى ينحو نحو المذمة ، ويحاول أن يثبت الأمر الخسيس الذى هو الجور .

والاقتصاص هو إيجاز لما يراد أن يظهر ويوضح بعد ، ولكن لا على ذلك النسق والترتيب ، بل بإشارة جزئية . وربما كان الاقتصاص مخلوطا بشىء غير صناعى ، وربما كان مخلوطا بالصناعى . ولما كان الاقتصاص كالرسم للتصديق ، وكان شيئا يحتاج أن يثبت فى الذهن أولاً إلى أن يتم ويرى ، فيجب أن لا يراعى فيه حقوق الترتيب ، فيخرج به عن الغرض فيه . وكثير من الأشياء ظاهرة ، ولا تحتاج إلى اقتصاص مجمل، لأن الجملة من أمره ظاهرة . إنما الحاجة فيه إلى إتباع التصديق بالتفصيل . فذلك هو المطلوب . مثلا : إذا كان يخطب فى مدح إنسان ، وذلك الإنسان معروف بمدح الناس إياه ، ومجهول المادح بالتفصيل ، فإذا وقع الاقتصاص قبل التفصيل، لم يفد معرفة شىء ليس عند الناس به معرفة مما يجب أن يفاد بالقول حتى يعتقد ويرى . فإذا لم يحتج إلى ذلك ، فالأولى أن يعرض عنه ، ويشتغل بالبيان . فمثل هذا لا يحتاج إلى اقتصاص . اللهم إلا أن يكون الحاكم غريبا ، فيحتاج أن يفعل ذلك .

ويجب أن يأتى الخطيب فى المديح بالتصديقات المأخوذة من الأفعال والأوصاف الخاصة بالممدوح ، فبها تعظم الفضيلة . وأما الأمور الاتفاقية والخارجية فيؤتى بها لتأكيد التصديق ، كما يقال : وبالحرى أن كان — وهو ولد الفاضلين — فاضلا .

(١) نحو الفضيلة : الفضيلة د (٣) يظهر: يراد س (٤) بل : سقطت من د || جزئية : حررية ب ، ن (٦) وكان : فكان م || أن لا يراعى : أن يراعى ن ، دا (٨) ولا تحتاج ... ظاهرة : سقطت من سا || لأن : ولأن د (٩) مثلا : وذلك مثلا د : ومثلا ب ، سا || يخطب : يطلب سا (١٠) ومجهول : مجهول س (١١) بالتفصيل : التفصيل د ، سا || الاقتصاص : الاختصاص س (١٢) به : سقطت من سا || به معرفة : معرفته ب || ويرى : سقطت من س ، سا (١٣) يشتغل : يشغل سا (١٥) فى المديح : على المديح د : بالمديح س || المأخوذة : + فى المديح سا (١٦) الخاصة : الخاصية ب ، د ، س ، م || فبها : فيها أن م || تعظم : تعظيم هـ (١٧) الخارجية : الخارجة س ، هـ || لتأكيد : ليؤكد د

والمشورة تشارك المدح ، كما علمت . وبأدنى تغيير لفظى يصير المدح مشورة ، كما إذا قلت : هو فاضل لأنه يفعل كذا وكذا ، كان مدحا . فإن قلت : افعل كذا وكذا ، تكن فاضلا ، كان مشورة . وأما الممادح البختية فقد تقلب إلى المشورة من وجه آخر ، بأن يقال : لا تعتمد الجَد ، بل الكد فينقلب هذا فى المشورة إلى مكان المذموم ، وذلك لأن المدح الحقيقى أيضا إنما هو بالأمور المكتسبة ، لا الاتفاقية . ولذلك قد تنقلب المشورة التى ذكرناها مدحا ، فيقال : إنما يجب أن يمدح مثل فلان المدرك بجده ، لا بكده . ولا شك فى أن القلب ربما أخرج إلى باب الضد . والأولى بالصدر والاقتصاص أن يكون معتدلا ، وأن لا تخلط به التصديقات فيشوش النظام . وإذا خلط الاقتصاص بذكر فضيلة القائل ، مهد للإصغاء إلى قوله التصديق ، وتكون تلك الفضيلة التى يذكرها من النحو الذى يلتذ به الحاكم .

وأما المجيب فلا يحتاج فى المشاجرة إلى اقتصاص كثير ، وخصوصا إذا أنكر الأمر أصلا ، أو أنكر الضرر . وجميل به أن يورد حججا فى تصحيح إنكاره بردها على الشاكى أو فى إلزامه الصفح . ويجب أن يكون الاقتصاص وخصوصا من المعتذر لطيفا مقبولا ، فيه كلام خلقى يدل على الخير ويدعو إليه ، فيفيد المتكلم سمتا ومحلا وهيئة محمودة ، وذلك يوهم أنه لا يختار إلا الخير . فإن الكلام الخلقى يتعلق بالاختيار . ولذلك ليس فى التعاليم قول خلقى يتعلق بجميل أو قبيح ، أو نافع

(١ — ٣) كما إذا ... مشورة : سقطت من سا (٢) هو فاضل : فاضل هو ب (٣) الممادح : للادح سا || تقلب : نقلت س ، م ، سا (٦) المشورة : هذه المشورة د || ذكرناها : دكرنا س (٧) المدرك : + يدرك م || لا : ولا سا (٨) اخرج : يخرج ه || إلى : من س || الضد : الصدر س ، م ، ه (ثم وضع ن فوق الراء فى ه) ، سا (٩) تخلط : يختلط س ، ن ، د ا || به : بها م || فيشوش : ويشوش د (١٠) مهد : فهذا ه (١٢) يحتاج : + فى قوله م || فلا يحتاج فى المشاجرة : فى المشاجرة فلا يحتاج س (١٣) الضرر : للضرر م : بالضرر س || حججا : + على الشاكى د || بردها : يردها م : ويردها س (١٤) فى : سقطت من م || الزامه : اكرامه س (١٥) المعتذر : المعتدل م || يدل : + فيه سا (١٦) إلا : الى س (١٧) ولذلك : وكذلك م

أو ضار . اللهم إلا عند بعض أصحاب سقراط . وقد تستعمل الأقاويل الخلقية دلائل على خلق الخصم . مثلا إذا قيل : إنه يتكلم و يمشى معا ، فيدل ذلك على أنه نزق ، عجول ، وأنه لا يتكلم عن روية ، بل يعتمد المجازفة . لأن الأحوال الخلقية تستند إلى هيئات الاختيار . و إذا لم يقع بذلك تصديق ، دل عليه بعلامة وعلة ومثالٍ مما فعله . وأيضا فقد يجب على المجيب أن يرذل الأخذ بالوجوه ، بأن يقول : هذه حيلة ؛ وهذا تباكى الطرارين .

والاقتصاص لا يدخل فى المشورة ، كما قلنا مرارا ، إلا بالعرض ، حين يعزم على ذكر أمر كان ، واقتصاصه ، والاحتجاج على حاله ، وما يلزمه من الخير أو الشر ، ثم ينتقل عنه إلى المشورة . وكذلك إذا ابتدأ بضرب مثل أو بمدح ، ثم انتقل إلى المشورة ، فيحتاج أن يصحح ما يقتصه ، إن كان مكذبا ؛ وخصوصا الشاكى ، إذا كان خصمه ينكر أصل الفعل . وأما إذا سلم ، ثم جحد أنه ضر بما فعله ، أو ادعى أنه عدل فيه ، وأنه كان السبب فيه خصمه ، وأنه ابتدأه به ، فقد ضيق على نفسه الاحتجاج ؛ وخصوصا فى الأخير من الوجهين : وذلك حين يقر بالفعل و بالضرر ، ويدعى الاستحقاق . فإنه يجعل المسىء هو الشاكى ، فيحتاج أن يبين أمورا . وأما إذا جحد الأصل ، فقد ضيق الأمر على شاكيه .

(١) الأقاويل الخلقية : الاشارات الخليقة د (٣) بل : سقطت من م (٤) تستند : مستند س (٥) مما : فيما د : بما ب || فعله : يفعله ب (٦) تباكى : يناتى ه || الطرارين : الطنارين د (٧) قلنا : قلناه م ، ن ، سا || بالعرض : بالعوض م (٨) يعزم : يعرض ن ، د ا || على حاله : عن حاله س || يلزمه : يلزم ب ، د ، م ، سا (٩) أو الشر : والشرد || وكذلك : ولذلك ن ، د ا || بمدح : مدح س (١٠) فيحتاج : + الى م ، ن ، د ا || يقتصه : يقتضيه م : نعقمه س || مكذبا : منكرا ب ، ن ، د ا : منكرا كتبت تحت مكذبا فى ه (١١) خصمه : سقطت من س || وأما : أما س || ثم : به س (١٢) ابتدأه : ابتدأ د : ابتدوه ه (١٣) الأخير : الاخر سا (١٣ — ١٥) الاحتجاج وخصوصا ... امورا : سقطت من ن (١٤) الاستحقاق : الاستخفاف سا || المسىء : المشكى ب ، سا : المشتكى م (١٥) وأما : سقطت من ن

والممـاراة فى المشورة هى : إما فى أن الأمر لا يكون ولا ينفع ، أو يكون ولا ينفع ، أو ينفع ولايكون بعدل، وأن المشار إليه ليس ممـا يحتاج إليه فى الأمر ، أو أنه يجب أن يكون لاعلى هذا النحو بل على نحو آخر .

والدلائل نافعة. والأمثلة أنفع فى المشورات بمقايسة ما يكون بما قد كان . وأما الضمائر فهى فى الخصومة أنفع ؛ فإن المثالات قليلة النفع فيها ؛ لأن المشكو كائن وداخل فى الوجوه . فيجب أن يغير نظام الضمائر على ما قيل فى الجدل . وفى بعض المواضع يجب أن تذكر على الترتيب إذا كان الكلام قويا ويزيده الترتيب إيضاحا. ولتتذكر من علم الجدل ما ينبغى أن تعتمد عليه فى ذلك . وإذا أردت أن تحدث انفعالا، فلا تأت بضمير البتة ، فإنهما متمانعان. فإن الانفعال يشغل عن الضمير، والضمير يشغل عن الانفعال . فإن الانفعال يتقرر بالتخييل والألم ، ويميل بالاختيار إلى حال ؛ والضمير يخبر إخبارا من غير اختيار .

والمشورة أصعب من المشاجرة ، لأن القول فى المعدوم أصعب من القول فى الموجود . والتعلق بالشريعة فى المشاجرات باب قوى ، لأن الاحتجاج به مؤكد ، ولا يجسر على مخالفته ورده ، كما يجسر على رد سائر المقدمات . اللهم إلا أن يقع من الخصم تشكك فى أمر الشريعة نفســه . وأما المحمودات فى الظاهر فتصلح جدا فى المدح . والتوبيخ أنجع من التثبيت ، لمـا فيه من إحداث الألم ، وإحلال الصغار بالمخاطب .

(١—٢) أو يكون ولا ينفع أو ينفع : سقطت من د (٢) أو ينفع : سقطت من ب ، سا || بعدل : بعدك سا || وأن : فان م || اليه : عليه د (٣) أو أنه : وانه س ، سا || لا : سقطت من سا || النحو بل : التحويل ب ، م (٤) المشورات : المشوريات د ، س ، م || بمقايسة : لمقايسة ن ، دا (٥) واما : فاما د || فهى : وهى م || الخصومة : الخصوميه ب ، م ، سا (٦) الوجوه : الوجود س ، ه ، ن (ثم كتب فوق الدال هاء فى ن) || يغير : يعين ن ، دا (٨) إيضاحا : ايضا د || ولتتذكر : ولدكر م : ونبتذكر ه (٩) بضمير : بالضمير س || متمانعان : يتمانعان س، م، ه (١٠) بالتخييل : بالتحليل م : بالسخيل ب (١١) يميل : يمثل س || إخبارا : إخسارا د (١٢) (فى المعدوم) اصعب : اصوب س (١٤) اللهم : سقطت من د (١٦) التثبيت : التثبت س

وأما كلام الخصم فبعضه ينتقض، كما علمت، بالمقاومة، وبعضه بالمعارضة بقياس آخر . وإذا قاومت فى المشورة والخصومة ، فمن الحسن أن تبتدئ بنقض ما قاله الخصم ، ثم تقصد إلى إثبات نقيض ما حاوله . فإن المشير ، إذا أبطل مشورات غيره ، أصغى جدا إلى مشورته إصغاء ليس كما لو ابتدأ بالمشورة، خاصة إذا كان ما يشير به منجحا ، سديدا ، مؤيدا بالتصديق البالغ . وينتفع بأن يقول فى جوابه للشاكى : إن المصر على الشكاية لا يلتفت إلى المعذرة . وإنك سليط ، فصيح ، تماحك فى كل شيء ، أو تعظم كل شيء ، أو تقتدر على الغلبة ، وتحسن الكلام ، فتصدق عند الناس ، ولا تصدق عند الله . أو يقول : أنت لجوج مغرى بالإطالة . أو يقول : أنت أبله ، لا تعرف ما تقول ؛ والعجب من اشتغالى بك .

فصل [الفصل الخامس]

فى السؤال الخطابى وأنه أين ينبغى وفى الجواب وفى خاتمة الكلام الخطابى

فلنختم هذا الفن بذكر كيفية السؤال والجواب ، وكيفية الخاتمة .

اعلم أنه ليس بناء الخطابة على السؤال عن المقدمات . وقد عرفناك هذا فيما سلف . ولكن للسؤال فيها أيضا مواضع نافعة . فمن ذلك : السؤال عن الشيء

---

(١) ينتقض : ىىقض س || بالمقاومة : بالمفاوضة ب ، د ، دا ، ه (كتب أولا بالمقاومة ، ثم كتب تحتها بالمفاوضة فى ه) (٥) سديدا : شديدا م (٦) بأن : ان م || المصر : المصير م (٧) فصيح : فضح س || تماحك : تماحك م ؛ تماحل د : يماحك سا || أو تعظم كل شيء : سقطت من سا (٩) لا : ولا د (١٠) اشتغالى بك : سقطت من د (١١) فصل : فصل ه ب : الفصل الخامس س، م (١٢) أين : كيف س || وفى الجواب : فى الجواب م ، ن ، دا (١٤) فلنختم : فليختم د || الخاتمة : الخطاب سا (١٥) بناء : سقطت من د || فيما : + قد م (١٦) فيها أيضا : أيضا فيها د

الذى إن أجيب فيه بنعم ، لزم الخصم شىء فى خاص ما يقوله . وإن أجيب بلا ، كان ذلك ، أو ما يلزم عنه، عند السامعين قبيحا ، مستنكرا . أو بالعكس. والثالث : أن يكون القائل واثقا أنه لا يجيب إلا بطرف ، وأن ذلك الطرف نفس الضمير الذى ينتج المطلوب ، كقولهم : أليس دخل الدار بغير إذن ، وفقد مع دخوله المتاع ؟ حين يعلم المخاطب أن الآخر يعترف به ، ويسلمه ؛ وكما يجيب بنعم تؤخذ عليه ، فينتج أنه إذاً لص . والأول يفارق هذا بأن ذلك الجواب تلزمه شنعة ، وهذا يلزمه المطلوب . وهذا نافع حيث لا يمكن المتكلم إثبات الشىء إلا بتقرير الخصم به . وأيضا إذا وثق بأنه يجيب جوابا فيه تناقض ، فيعجب من بلهه . وأيضا إذا كان السؤال ذا وجوه ، ومن حق المجيب أن يفصل تفصيلا طويلا . فإذا سُئل ولم يفصل ، ألزم ؛ وإن مال إلى التفصيل والتطويل ، أمل وأوهم أنه ، أى المجيب ، قد تبلد وتشوش. فإن الجمهور لا يفطنون للتفصيلات ، إنما يقنعهم من الجواب ما كان جزما ، وفصلا "بنعم" أو "لا" . فإذا ابتلى المجيب عند الدهماء بمثل هذا فاختصر وأجاب بلا تفصيل، قطع . وإن أخذ يفصل ، أوهم أنه يتعلق بحواشى الكلام والهذيان ، وقد ضاق عليه المجال . والمسائل الخطابية أيضا قد تكون مهملات .

(١) يقوله : هوله د (٢) أو ما يلزم : وما يلزم س || عنه : منه د، م، ن || السامعين : السامع سا || أو بالعكس : وبالعكس هـ (٣) يجيب : يحسب د (٥) دخوله : وصوله هـ || حين : حتى س || ان : + المخاطب م (٦) وكما : فكاد || تؤخذ : فتوخذ ب ، م || عليه : علة هـ (ثم صححت فى الهامش) || أنه : سقطت من ن، دا || أنه إذاً : إذاً أنه د (٨) بتقرير : بتقدير س || بانه : انه د (٩) ذا : ذو س || ومن حق : من حق د، س (١٠) طويلا : طولا س || فاذا : واذا د (١١) أمل : ولم يتم بل يميل إلى غيره د || أوهم : فاوهم ب، ن، دا : اوهم د || انه : انها م، ن ، دا || انه : + عائدة م، ن، دا || أى : إلى م، ن، دا (١٢) للتفصيلات : للتفصلات د || يقنعهم : يمنعم س || الجواب : التفصيلات س (١٤) وأجاب : أجاب م (١٥) الخطابية : الخطبية س

والحق يوجب أن يتوقف فى أمر المهمل . والتوقف يوهم الاحتيال للتخلص عن الإلزام . ويجب أن لا يكون السؤال المقصود قريبا من الابتداء ، وعلى ما قيل فى طوبيقا . وأما الجواب فيجب أن يتحرى فيه مقابلة أغراض السائل ، وسائر ما قيل فى طوبيقا . ويجب أن لا يسئل عن النتيجة ، ولا عما بعد النتيجة ، للعلة المذكورة فى طوبيقا .

وقد يستعان بالهزل ، فى أوقات الضرورة ، وبالمزاح . وقد قيل فى موضع آخر فى المزاح ، وإن الذى يليق بالكريم منه غير الذى يليق بالخسيس . وإن الذى يليق بالكريم منه التعريض ، وهو تكين المعنى ، دون التصريح . ويجب أن يكون مشيرا به إلى تفضيل نفسه ، وتخسيس خصمه ، واستدراج السامع .

وأما المواضع والأنواع ، والتعظيم والتصغير ، والأمليات ، والخلقيات ، وأجزاء الخطبة ، والمقاومات فقد علمتها مما سلف فى هذا الكتاب . والذى يليق بآخر الخطبة ، وهو الخاتمة ، أن يكون مفصلا غير مخلوط بما قبله ، مثل الصدر ، وخصوصا فى المشوريات ، وهو أن يقول : هذا هو الذى قلته ، وسمعتموه . والحكم اليكم . كما يقال عندنا : أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم . إنه غفور رحيم .

---

(١) يوجب أن : + الحقيقة موجبات ان م : + الحقيقة موجبات ب ، د ، ن ، سا : الحقيقة موجبة دا || أمر : آخر س || الاحتيال : الإحسان د : الاحتمال ب (٢) عن : عند د || ويجب : ويوجب ب ، ن ، دا ، سا || وعلى : أو على د (٤) عما : عن ما د : ما م ، ن ، دا (٩) تفضيل : التفصيل ب ، م ، ن ، دا ، سا (١٠) والتصغير : أو التصغير م ، سا || الأمليات : الالهيات د (١١) المقاومات : المقدمات د || مما : بما س ، ه ، سا (١٢) بآخر : بأجزاء د || مخلوط : سقطت من سا (١٣) الصدر : لصدر د || المشوريات : المشورات س || هذا هو : هذا س (١٥) رحيم : + وهو حسبنا كافيا وعليه توكلنا ونعم الوكيل وبه التوفيق والعصمة والحول والقوة . تمت الخطابة بحمد الله وحسن توفيقه والصلوة والسلم على محمد نبيه وآله ه : + تم الفن الثامن من الجملة الأولى فى المنطق ن : + تم الفن الثامن من الجملة الأولى من المنطق وهو فى الخطابيات . والحمد لله حق حمده ب : + تم كتاب الخطابة بفضله ومنه د : + تم الفن الثامن من الجملة الأولى من المنطق وهو فى الخطابيات من كتاب الشفا . والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد وآله أجمعين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا م : + الحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم المعين سا .

فهرس الأعلام

دليل الكتّاب

(آ)

(ب)

(ت)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ١١ شعبان سنة ١٣٧٣
(الموافق ١٤ أبريل سنة ١٩٥٤) م٤

مدير المطبعة الأميرية

حسن على كايوة

المطبعة الأميرية ١٥٩٠٠ – ١٩٥٣ – ١٠٠٠

grecque et de sa littérature lui fut d'un grand secours. Il faut également signaler que M. Selîm Sàlim n'est point un novice dans l'étude de la rhétorique d'Avicenne ; il a déjà donné de "Fi ma'ànî Kitab Riṭoriqa" une édition exacte à laquelle nous avons fait allusion. Il fait précéder son édition du texte par une préface dans laquelle il traitait des écoles grecques de rhétorique, connues d'une part par les penseurs de l'Islam et qui, d'autre part, avaient exercé une influence très nette sur la rhétorique d'Aristote et de ses disciples. La présente édition se termine sur un index des noms propres et des termes. Elle apporte un précieux concours à la publication du livre du Shifà' qui demande la collaboration d'efforts conjugués. Le livre de la Rhétorique d'Avicenne ainsi livré au public permettra, on n'en peut douter, la poursuite de toute une série d'études et fera revivre un monument du patrimoine musulman.

Le sort a voulu que la Logique d'Aristote fut le premier de ses ouvrages à être traduit en arabe; elle put être ainsi confrontée avec la rhétorique encore naissante (1). *On sait que le livre de la Rhétorique, lui-même, a été traduit plusieurs fois* (2) *; la plus ancienne traduction date de la seconde moitié du deuxième siècle de l'Hégire. Les philosophes musulmans l'ont résumée, expliquée, commentée Avicenne, autant que nous le sachions, en fut le commentateur le plus clair et le plus explicite. La publication de son livre de la Rhétorique jette une lumière nouvelle sur cette science chez les arabes; elle montre à quel point cette dernière subit l'emprise de la rhétorique grecque.*

Le Dr. Mohammad Selîm Sàlim s'est chargé de cette publication ; depuis plus de quatre ans, il a rassemblé les manuscrits, en a fait l'étude comparative. Avec neuf de ces manuscrits d'inégale valeur, il est vrai, il put se livrer cependant à l'étude critique du texte en question (3). *Il ne se borna pas à ce travail et recourut à l'original grec de la Rhétorique d'Aristote. Il se le devait. Avicenne lui-même n'avait-il pas souhaité une telle confrontation, parlant souvent de certaines questions qu'il avait rencontrées chez Aristote et dont il ne perçait pas le sens* (4) *? La connaissance que l'éditeur du texte a de la langue*

---

(1) Madkour, *L'organon d'Aristote dans le monde arabe*, Paris, 1934, p. 27-29.

(2) Ibn al-Nadîm, *Fihrist*, éd. Flügel, p. 233.

(3) ...., p. 13-20.

(4) *Id.*, p. 10.

Plus personne aujourd'hui ne met en doute le fait que la rhétorique arabe a été influencée par la philosophie et spécialement par la logique [1]. Jadis, l'on distinguait entre la méthode des Motakallemin et celle des littérateurs ; la première consistait dans l'étude de la rhétorique à la lumière de la théologie et de la philosophie [2]. L'histoire a montré également que la plupart de ceux qui ont travaillé la rhétorique furent des philosophes ou des gens qui se piquaient de philosophie. Qu'il suffise de mentionner Qodâma b. Ja'far et 'Abd al-Qâhir al-Jorjânî que l'on compte tous deux, et à juste titre, comme les fondateurs de la rhétorique arabe [3].

Il n'est pas douteux non plus que la Logique d'Aristote—et la Rhétorique en fait partie—a, plus que tout autre ouvrage exercé son influence sur la rhétorique arabe; elle a été liée avec elle dès le début et ne s'en sépara pas tout le temps que dura son développement. A l'intérieur de la rhétorique arabe, on trouve des considérations logiques sur les termes, les propositions et les raisonnements. Lorsqu'il s'agissait de faire la théorie des belles lettres, ces considérations étaient tenues pour nécessaires au même titre que la philologie et la syntaxe. Elles étaient en outre estimées comme le complément nécessaire de l'étude d'Ilm al ma'ânî qui se basait sur la définition et le raisonnement [4].

---

(1) *Ibid.* et Amîn al-Khôlî, *Al-Balâgha al-'arabiyya wa Athr al-Falsafa fîhâ*, Le Caire, 1931.

(2) *Id.*, p. 19-21.

(3) *Id.*, p. 4-8.

(4) Al-Sakkâki, *Miftah al-'Olûm*, Le Caire, 1318 H., p. 70.

l'auditeur en l'étonnant et le charmant tout à la fois (1). *La métaphore est mieux à sa place dans le style poétique, mais elle a aussi son utilité dans la prose. L'important est que l'on soit capable de s'en servir à bon escient et de l'employer là où il le faut* (2). *La valeur d'une métaphore dépend du sujet d'où l'image a été tirée et de l'usage qu'on en fait. Plus le sujet auquel on a emprunté l'image est aimable et connu, plus le passage à l'antétype devient facile et aisé. La comparaison suit en rhétorique les mêmes lois que la métaphore : toutes deux présentent le même intérêt. Soit par exemple le cas de : " Achille s'est élancé comme un lion "* (3).

Nous n'avons pas besoin de faire remarquer qu'en tout ceci, Avicenne suit Aristote; il reprend ses idées et répond à ses adversaires. Dans sa Rhétorique, il nous fournit l'expression arabe la plus claire de ce que le Maître stagirite a écrit en grec (4). *Il s'écarte seulement de lui dans certains détails particuliers, comme la division du livre, les définitions de certains termes techniques. Mais ses idées en matière de rhétorique portent un cachet aristotélicien évident. Il est probable que, dans son désir de suivre pas à pas son Maître, il n'a pas songé à faire le pont entre les idées qu'il reproduit et la littérature arabe qu'il avait devant lui; nous l'aurions pourtant souhaité.*

---

(1) *Id.*, p. 202–203.
(2) *Id.*, p. 206.
(3) *Id.*, p. 212.
(4) Doktôr Ṭaha Ḥossayn, *Naqd al-Nathr*, Le Caire, 1933, p. 24–27.

Le seul progrès de sa pensée est qu'il tente ici d'appliquer de telles théories à l'argumentation oratoire. Il s'abandonne alors à des développements politiques, moraux et psychologiques. Il n'omet pas de signaler l'existence d'autres arguments rhétoriques distincts des preuves logiques, commes les attestations et les témoignages (1).

(3) Etude proprement rhétorique.

À peine Avicenne a-t-il terminé toutes ces considérations, qu'il passe à des questions touchant les diverses parties de l'éloquence : manière d'exprimer les idées, figures de rhétorique, ornements du style. Il insiste sur la nécessité de bien choisir les expressions, leur valeur littéraire classique, leur emploi répondant aux exigences de la situation. La force de persuasion d'une idée dépend de la manière dont elle est exprimée. Il est frappant de voir la noblesse de l'expression aller de pair avec celle de l'idée exprimée ; la fermeté du style accompagne d'ordinaire la profondeur de la pensée, tandis que les défauts du langage réagissent sur la pensée et la rendent défectueuse (2). *L'orateur doit être bref lorsque la brièveté est de rigueur ; il s'étendra longuement là où c'est le lieu d'être long* (3).

La métaphore, comme la comparaison, appuient l'idée et la renforcent. Elles frappent l'esprit de

---

(1) *Ibid.*

(2) *Id.*, p. 199–213.

(3) *Id.*, p. 199–213.

(2) Le raisonnement par l'exemple.

Il consiste essentiellement à appliquer à un objet le caractère d'un autre objet qui lui ressemble, c'est un passage du particulier au particulier, grâce à une analogie entre eux. Cette analogie peut être réelle ou apparente, elle peut être aussi une simple ressemblance de noms [1]. *Aussi ce type d'argumentation ne fournit-il pas une certitude apodictique. Il atteint son apogée lorsque les cas particuliers se relient par une cause commune. Quant à ses autres formes, elles n'agissent qu'au plan de l'opinion et ne procurent à la foule qu'une conviction subjective. Ce raisonnement analogique, étudié en logique, est celui que les juristes musulmans ont convenu entre eux d'appeler qiyâs* [2]. *Parmi les anciens, certains n'admettaient pas son emploi dans l'argumentation oratoire et se contentaient de l'enthymème* [3]. *Dans l'Islam, certains Zahirites lui ont dénié toute valeur : ainsi les Râfidites, les Davidites refusent le qiyâs* [4].

Il est clair qu'Avicenne se borne ici à exposer des théories de logique dont il avait précédemment parlé dans ce qu'il appelle. "Les formes dérivées du syllogisme". Il avait établi que ces formes n'atteignaient pas le niveau du raisonnement démonstratif [5].

---

(1) Ibn Sînâ, *Al-Ishârât*, Leyde, 1892, p. 64-65; *Kitàb al-Mâjou'*, p. 25.
(2) *Id*, p. 26.
(3) *Ibid.*
(4) Ibn Sînâ, *Al-Najâ*, Le Caire, 1913, p. 90–91.
(5) Ibn Sînâ, *Al-Khatâba*, p. 117–126.

sections du livre à des études de fond et des études de forme qui sont exposées dans la quatrième et dernière section. Mais, quoi qu'il en soit, toutes les deux sont liées entre elles et se complètent.

(1) L'enthymème.

C'est un raisonnement réduit à la mineure et dans lequel on a supprimé la majeure de peur que la fausseté de cette dernière ne saute aux yeux ou qu'elle ne suscite des objections. Par exemple, l'on dira : ce jeune homme erre dans les ténèbres de la nuit, il cherche donc l'occasion de voler. Cela suffit pour convaincre les auditeurs. Car si la majeure était mentionnée et qu'il fût dit : quiconque erre dans les ténèbres de la nuit recherche l'occasion de voler, la preuve s'effondrerait manifestement et l'effet de persuasion que l'on cherchait serait perdu (1). L'enthymème joue en rhétorique un rôle analogue à celui de la démonstration dans les sciences. Ce genre de raisonnement basé sur l'opinion est apte à produire une conviction passagère ; il convient pour haranguer les foules (2). Avicenne s'efforce d'appliquer la théorie de l'enthymème aux divers types d'arguments oratoires : délibératif, d'apparat et judiciaire. Dans certains cas, l'enthymème est altéré ; on l'accepte quand même en rhétorique. Mais s'il devient défectueux et abject, ne visant qu'à induire en erreur, le devoir de l'orateur est de le rejeter (3).

---

(1) Ibn Sînâ, *Kitâb al Majmou'* p. 23–24.

(2) *id*, p. 25.

(3) Ibn Sînâ, *Al-Khitâba*, p. 187–190.

de ses penchants; des émotions, telles que plaisir et douleur, amour et aversion. La rhétorique est ainsi rattachée solidement à la psychologie (1). *La troisième section porte sur l'argument judiciaire qui est le dernier type d'argumentation oratoire, mettant en évidence ses liens avec la politique et les instincts naturels de l'âme humaine, comme la pitié et la cruauté, le courage et la couardise* (2). *La quatrième section traite de l'ordre du discours et de ses particularités, du langage orné et des termes à proscrire. Avec elle, s'achève l'exposé, des idées d'Avicenne sur l'éloquence* (3).

Il est possible de grouper toutes ces idées sous deux chefs principaux. Le premier concerne les raisonnements oratoires valables, lorsqu'il s'agit de haranguer les foules: que l'orateur veuille louer ou blâmer, s'excuser ou adresser des reproches. Les plus importants sont l'enthymème Σν Θύμημι *et le raisonnement par l'exemple* (μιχρᾶδειγηχ). *Le second réunit tout ce qui touche l'organisation du discours, la belle composition qui donne toute sa clarté à l'exposé de l'argumentation, la rend convaincante, comme, par exemple, le choix des mots, la détermination de leur place à l'intérieur de la phrase, l'emploi du sens littéral ou du sens figuré, la qualité de l'élocution, le modèle de la voix, les moments où celle-ci doit être impérative, la tenue extérieure de l'orateur, sa position par rapport à son auditoire. Avicenne consacre les trois premières*

---

(1) *Id*, p. 53–126.
(2) *Id*, p. 129–193.
(3) *id*, p. 197–247.

de abou'l al Hassan al 'Aroudi. Cet ouvrage a pour objet la définition de la rhétorique, l'exposé de son utilité, des liens qui l'unissent à la dialectique, des buts de l'orateur, des procédés de raisonnement ; il fournit en un mot les principes fondamentaux de l'art oratoire [1]. *Il est rédigé dans un style clair où la dialectique côtoie la politique et où la logique se mêle à la morale et à la psychologie. On peut ainsi considérer cette œuvre comme un résumé exact de la première partie de la Rhétorique d'Aristote et une bonne introduction à la doctrine de l'éloquence, telle qu'Avicenne la professe.*

Le second ouvrage—la Rhétorique qui est l'objet de cette préface—est le livre. huitième de la Logique, celle-ci représentant la première des quatre Sommes dont se compose la Shifâ' [2]. *Il comprend quatre sections subdivisées chacune en plusieurs chapitres. La première section explique la définition de la rhétorique, son utilité, ses rapports avec les autres arts et les différentes sortes de démonstration. C'est à peu de chose près la véritable préface de tout le livre, et en cela elle s'apparente parfaitement au premier dont nous venons de parler; elle est seulement plus fouillée et plus ample* [3]. *La seconde section envisage séparément les espèces d'arguments oratoires et spécialement le délibératif, et celui d'apparat ; elle les analyse à la lumière du caractère humain,*

---

(1) Ibn Sînâ, *Kitâb al-Majmou'* Le Caire 1950, p. 15–76.

(2) Ibn Sînâ, *Al-Madkhal,* Le Caire, 1952, p. 44.

(3) Ibn Sînâ, *Al-Khitâba,* Le Caire, 1954, p. 1–126.

les idées sans ambitionner la noblesse de l'expression ou la haute qualité de la composition. Son style dans l'ensemble n'atteint pas un niveau extraordinaire. Son principal souci fut d'exposer, le plus clairement possible, les thèses scientifiques et philosophiques.

Il ne se préoccupa point spécialement de la littérature et ne lui consacra dans ses traités et ses épîtres rien qui mérite d'être mentionné. Le plus probable est qu'il parla seulement de la rhétorique et de la poétique pour imiter Aristote et suivre ses traditions. Là encore il tenait aux règles plutôt qu'à l'analyse et à la critique littéraire. Il exposa les principes et la théorie sans s'arrêter aux textes et aux morceaux choisis. Rhétorique et poétique ne furent pour lui que deux sections de la dialectique et de la logique, ou, en d'autres termes, deux branches secondaires de la philosophie.

***

Avicenne a composé en Rhétorique deux ouvrages qui procèdent du même esprit. Tous deux forment une partie de la logique ; tous deux contiennent les mêmes idées et les mêmes théories. L'un est bref, l'autre, copieux.

Le premier intitulé : "Fi Ma'âni Kitab Riṭoriqa", c'est une section du livre de la "Sagesse 'Aroudienne" ou "Kitâb al Magmou'". Il l'a composé à Boḳhara, n'ayant pas encore vingt-et-un ans, à la demande

PRÉFACE

DU DOCTEUR IBRAHIM MADKOUR

LA RHÉTORIQUE CHEZ AVICENNE

Avicenne n'a été ni un orateur, ni un conférencier et s'il s'est adonné à la politique, celle-ci ne lui offrit pas une carrière de tribun et de meneur de foules. Sa manière d'enseigner était plutôt un entretien et un dialogue qu'un exposé et un discours. Il ne se livra pas, en effet, à l'enseignement dans les mosquées ou les madrasats. Un petit nombre de disciples fidèles se groupèrent seulement autour de lui pour noter ce qu'il leur dictait ou étudier en sa présence certaines de ces œuvres. Etaient-ils embarassés par quelque point délicat, ils lui demandaient alors des éclaircissements. Mais, malgré tout, au cours de sa vie mouvementée il ne lui fut pas donné de tenir beaucoup de ces réunions savantes et paisibles.

On ne peut pas, non plus, le mettre sans réserves au rang des écrivains ou des poètes. Car sa prose est parfois obscure et compliquée; s'il s'y applique, son style devient trop laconique et fatiguant. Il lui arrive d'enjoliver, poussant à l'extrême l'art de ciseler les expressions. Sa poésie est en majeure partie didactique, visant à bien rendre le sens et à bien exprimer

Troisième section

Quatrième section

TABLE DES MATIÈRES

Première section

Deuxième section

IBN SĪNĀ

AL-SHIFĀ'

LA LOGIQUE

VIII—RHÉTORIQUE

(Al Khaṭâbah)

PRÉFACE ET REVISION
PAR
LE Dr. IBRAHIM MADKOUR

TEXTE ÉTABLI PAR
LE Dr. MOHAMED SELIM SALEM

Publication du Ministère de l'Instruction Publique
(Culture Générale)
à l'occasion du Millénaire d'Avicenne

IMPRIMERIE NATIONALE, LE CAIRE
1954

IBN SĪNĀ

AL-SHIFĀ'

LA LOGIQUE

VIII—RHÉTORIQUE
(Al Khaṭâbah)

PRÉFACE ET REVISION
PAR
LE Dr. IBRAHIM MADKOUR

TEXTE ÉTABLI PAR
LE Dr. MOHAMED SELIM SALEM

Publication du Ministère de l'Instruction Publique
(Culture Générale)
à l'occasion du Millénaire d'Avicenne

IMPRIMERIE NATIONALE, LE CAIRE
1954